obeikandl.com

شبهات معاصرة حول الإسلام

obeikandl.com

شبهات معاصرة حول الإسلام

حقيقتنا وحقيقة الآخر

الأستاذ الدكتور د. محمد صابر

دار المعرفة
بيروت - لبنان

obeikandl.com

جميع حقوق الملكية الأدبية والفنية
محفوظة لدار المعرفة بيروت ـ لبنان

Copyright© All rights reserved
Exclusive rights by **Dar Al-Marefah**
Beirut - Lebanon

ISBN 9953-85-251-0

الطبعة الأولى
1431هـ - 2010م

دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع
DAR AL-MAREFAH
Printing & Publishing

جسر المطار شارع البرجاوي • هاتف: ٨٣٤٣٠١ ـ ٨٣٤٣٣٢
فاكس: ٨٣٥٦١٤ • ص.ب: ٧٨٧٦ ـ بيروت ـ لبنان
Airport Bridge Birjawi Str. • Tel: 834301-834332
Fax: 835614 • P.O.Box: 7876 Beirut - Lebanon
Email: info@marefah.com • www.marefah.com

obeikandi.com

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقدمـــة

الحمد الله والصلاة والسلام على سيدنا محمَّد ﷺ وآله وأصحابه أجمعين.

أما بعد فإني في الواقع عندما كتبت هذا المؤلف المتضمن لحوارات ومواضيع تخص مشاكل المرأة والحدود في الإسلام، ما فرطت وما استحييتُ في التعرض لأمور يعيّب على المرء الخوض فيها لأسباب اجتماعية ولوجود عقول ضيقة، كي تعي شعوبنا وتعلم أن النظام الإلٰهي هو الأصل والصحيح.

ولقد بينت في هذا المجال قصصاً حقيقية تعكس واقع الغرب كما هي وكما حدثت، ليعي شبابنا أن نظامنا الاجتماعي هو الأمثل إلى الأبد. وإن قيامي بذلك هو لأجل شيءٍ واحد، ألا وهو: أن لا تختلط على أمتنا أمور قد تتناقلها الألسن على غير حقيقتها من الغرب، وذلك لإفساد الأُمة وخاصة في القضايا الاجتماعية، كقضية الزواج حيث أن المرأة في الغرب تلقى أخلاّء كثيرين في فترة شبابها وقد يَفوتها قطار الزواج بعد ذلك، إن تزوجت فلا تلقى الزوج الذي تتمناه.

و دت في مواضيع هذا الكتاب الفرق بيننا وبين الآخر من حيث عدد الأولاد غير الشرعيين، حيث بلغ عدد الأطفال غير الشرعيين في شرق ألمانيا 60٪ من مجموع الولادات، وهل يروق لمجتمعاتنا أن تكون في المستقبل القريب أو البعيد هكذا؟، وهل يقبل مجتمعنا هذه الظاهرة؟ لقد بدأت الدول الغربية لا تعترف بدور الدين في الإصلاح حتى دينهم - المسيحي - والقصد من وراء ذلك، هو الغطاء القانوني، فالقاعدة القانونية تقول أن الأصل في الأمور: الإباحة، وبالتالي لا جريمة مثلاً في القانون الألماني للإنجاب خارج مؤسسة الزواج.

وبيّنت أيضاً كيف يُفكر الناس عنا كمسلمين في الغرب، وكيف أنّهم فهموا أو ساءَ فهمهم لديننا، ومعلوماتهم عن الإسلام كثيراً ما وصلت إليهم خطأً بدون لُبِّ الدين، ولا تتعدى

تلكُم المعلومات أموراً سطحية عن الدين لا أكثر ولا أقل، وعلى المستويات العالية بدأ الآخر يريد أن يعرف لماذا الحجاب والنقاب وأسسهما العلمية، وماذا عن النظر وفضول النظر، إذ أنهم يريدون أن يعرفوا حكمة تلك الأمور.

وستجد في المؤلف كيف اقتنعوا بشكل يرضي حتى علمائهم وأساتذتهم، خصوصاً وأنا شخصياً عشت في الغرب سنوات عديدة وعرفتهم على علاّتهم وحقيقتهم وخالطّتهم، ولم أبخل في علاقاتي حتى مع حكّامهم، فليستفد من يروم الذهاب إلى هناك سواءً كان طالب علم أو تجارة أو دبلوماسي أو سفير . . . هذا وقد بينت حال شعوب هذه الدول ولم أبخل عليهم في ذكر بعض من محاسنهم التي هم عليها في تلك البلاد.

كما أني كتبت مؤلفي هذا و وضعته بين يدي القارىء العزيز ليقارن بكل إنصاف أموراً اجتماعية بيننا وبين الآخر في كل نواحي الحياة من الأحكام والزواج، وتعاليمنا الاجتماعية وتعاليمهم، حيث أن المقارنة التي قصدتها هي في الأكثر عبارة عن حوارات بين مسلم حقيقي على سنة الله ورسوله ـ أي ليس المقصود مسلماً لا يعلم من الإسلام شيئاً ومسجل في سجل الولادة كمسلم فقط - وبين الآخر، وإني متيقن أنه لو قارن القارىء بين ما جاء في ديننا وما هو موجود في مجتمع الغرب، عَلِمَ عظمة دينه وصِدقِ نيات من هم فعلًا مسلمون حقيقيون، وهم كما يقال عنهم :على سنة الله ورسوله حيث يقول ﷺ: «**خير الأمور أوساطها**»[1] وقال ﷺ: «**إن الدين يسر ولن يشاد الدين إلّا غلبه فسددوا وقاربوا وأبشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشيءٍ من الدرزة**»[2].

هذا وقد دونت في مؤلفي هذا، الرّدَّ على أبواق لاغِيَةٍ من هنا وهناك ـ عن أمور لا علم لهم فيها ولا يعرفون ما في ديننا أو يعلمونها ولكن قصدهم الدَّس فيه على سبيل المثال تقول تلك الأبواق: ذُكِرَ في القرآن أنَ المرأة والأولاد والأموال عدوٌ للإنسان . . . يقصدون بذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [التغابن:15] أو يقولون: يقول نبي الإسلام ﷺ: «**ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء**» . . . حيث يقذفوننا بهذا الحديث أنّ ديننا يعتبر المرأة فتنة. وقد أوضحت تلك الأُمور كاشفاً

---

(1) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (35128)، ويشهد له قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ [الإسراء:29]

وقوله جلّ وعلا: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان:67].

(2) رواه البخاري رقم الحديث: 39 .

الحقيقة استناداً إلى قرآننا وأحاديث نبينا، ومستنداً إلى الحقائق العلمية الثابتة التي هم قد اكتشفوها في كثير من الأحيان، وكما يقول المثل: بفمك أُدينك . . . وآنذاك سيعلم القارىء عظمة دينه ومقام نبيه ﷺ، ويعلم أن أحكام شريعة الإسلام وضعت لسعادة العباد لا لشقائهم. . . كما سردت في مؤلفي هذا الفارق بين المرأة في شرقنا والغرب في نواحي الوفاء والتضحية. من أجل الرجل والأطفال، وبين غالبية النساء اللاتي يفتقدون معنى كلمة الوفاء والتضحية وذكرت قصصاً حقيقية مدهشة في نسائنا وفي الآخر، وفي الكتاب مواضيع أخرى سيلقاها القارىء ويُسر بها دون شك عندما يرى عظمة دينه.

هذا وقد أجبت في هذا المؤلف عن سؤال عُرِضَ على الأستاذ الدكتور محمد رمضان سعيد البوطي من قِبل رجل غَربي يدعى (مايك) عبر صديق للأستاذ البوطي وشاطرت سيادته لتوضيح الناحية العلمية التي توصَّل إليها علماء الغرب للإجابة الكاملة وإقناع (مايك) الذي سأل صديقاً مسلمًا له عبر الإنترنيت، وسؤال (مايك) الموجه لصديق الدكتور البوطي هو: هل أنت موافق على أن يمارس الجنس رجل في الثالثة والخمسين ـ يقصد به سيدنا محمد ﷺ ـ مع فتاة في التاسعة؟. . . إذا كنت لا توافق فأنت منافق، لأن دينك يسمح به . . .إلخ.

هذا ويرى (مايك) أن الرغبة التي قادت سيدنا محمد ﷺ إلى الزواج من عائشة، وهي تلك السنّ، ربما كانت من آثار مرض جنسي يتمثل في توجّه الشهوة إلى الصَّغيرات (Pedophelia)، والأستاذ البوطي كان قد ردّ على (مايك) في كتابه، إلّا أنّه لم يذكر له الناحية العلمية لذلك المرض، كي يُعلِمَ (مايك) أنه لا يعرف حتى أبسط الأُسس لذلك المرض، وأنا بدوري أعطيت لـ (مايك) وأقرانه جواباً علميا موثَّقًا شافياً لا رجعة فيه و يَسدُ ألسنتهم إلى الأبد.

كما درجت في كتابي عن السيدة عائشة ونضوجها العقلي والجسماني بشكل علمي دقيق ومستنداً في ذلك على الأبحاث العلمية الموثوقة التي هم-أي الغرب - مكتشفوها، و مبرهناً بتلك العلوم أنها ﵂ كانت ناضجة جسدياً وعقلياً عند زواجها بفخر الكائنات ﷺ ـ ناهيك عن عمرها ـ هذا حيث لم يتطرق أحدٌ إلى ذلك وبتلك الدقة المتناهية في أي مصدر آخر. .

كما بينت في مؤلفي هذا أمراً مهماً جداً، وهو أن السيدة عائشة عندما تزوجت الرسول ﷺ لم تكن ابنة تسع سنين بل أكثر من ذلك بكثير، وقد تمَّ استنباط هذا الأمر بدقة من قبل بعض العلماء الأفاضل، منهم الفيزيائي الباكستاني (شانافاس) الذي فصّل الموضوع

تفصيلاً دقيقاً، كما أن الكاتب عباس محمود العقاد والدكتور الشموط لهما السبق في هذا المجال.

إن هذه الاستنباطات العلمية عن العمر الحقيقي للسيدة عائشة تمحي وإلى الأبد ما ترددها بعض الدوائر الحاقدة على الإسلام وما يروجه بعض المستشرقين حول قصة زواج أُمّ المؤمنين عائشة، كما تفند تلك الاستنباطات الرواية الشهيرة التي تحدد سنها حين زواجها بتسع سنوات.

وسيجد القارىء هذه الاستنباطات في متن هذا المؤلف.

هذا و قد وضحت في الكتاب أموراً اجتماعية طال أمدها في مجتمعاتنا وأفسدت مجتمعاتنا في الوقت الذي لا نحصد من تلك الأمور إلا خسارة عظيمة لذوي العلاقة، فمثلاً ذكرت العجز العاطفي الذي لا يحس به كثير من أهل الفن ويودي بهم إلى الانغماس في المشاكل وتنتهي حياتهم بعدها بالندم بعد فوات الأوان. فليس النساء فقط وقعن فريسة العجز العاطفي إنما الرجال هم أيضاً وقعوا في صومعة العجز العاطفي. والغريب في أيامنا هذه أن الفنانة كأنها خلقت لجميع الرجال والفنان كأنه خلق لكل النساء ... أين نحن من هذا وذاك؟ هل هذه هي أخلاقنا وشيمنا وحضارتنا؟ ... لقد عدنا إلى عهد الجاهلية تماماً دون أن ندري ... وسبب العجز العاطفي الذي استوردناه من الآخر هو ابتعادنا عن تراثنا وديننا. هذا وقد ذكرت قصصاً حقيقية للقارىء في مجال العجز العاطفي لعله يأخذ منها دروساً وعبراً ليُجنِّب نفسه الإصابة بذلك المرض.

لقد ذَكَرْت في الكتاب أيضاً بعض أحكامنا في الشريعة الغرّاء والتي يقذفنا الغرب بها، و وضحت بشكل يقنع كل واحد أن تلك الأحكام هي الأمثل على الإطلاق لحياتنا الدنيا وفي سبيل سعادتها وإلى يوم القيامة، ليس لنا فحسب بل حتى للآخرين من غير ديننا، فالأحكام إذا وضعت من قبل البشر للبشر سيكون فيها نقص وعيب، بينما إذا كان الشارع هو خالق الكون والبشر فتبقى تلك الأحكام دستوراً لحياة تتلائم مع كل الظروف وكل الأزمان ولكل الشعوب، وينال الإنسان من تطبيقها بحذافيرها السعادة في الدنيا و الآخرة، لأن الإسلام نظام متكامل لا يجوز الأخذ ببعضه وترك الآخر.

كما بينت الأسباب الحقيقية لبعض المشاكل العويصة في مجتمعنا الإسلامي، والتي ظهرت في السنوات الأخيرة والتي ينتقدنا الآخر عليها لكوننا مسلمين، لذلك فإني على النقيض من ذلك ودون تفريط بيّنت أن تلك الأسباب، لا محالة هي وليدة عصرنا هذا، لأننا

ابتعدنا عن ديننا الحنيف،، وقد تكون تلك الأسباب خافية على كثير من الناس . . .

أخي القارىء: أرجو منك أن تقرأ مؤلّفي هذا بدقة متناهية، فإني إذ أرى أن الاستشراق والتبشير والاستعمار قد نجح في كثير من دولنا الإسلامية تربية أجيال متعاقبة، لا تَفقه الإسلام ولا تحفظ من القرآن إلّا آيات معدودات، كما أن تلك الدول تزرع الشبهات حول ديننا في قلوب شبابنا، وبهذا الأسلوب يغزونا الآخر غزواً فكرياً. وإذا اطّلع القارىء على مواضيع مؤلّفي هذا سيعلم ما حقيقة الآخر وما خباياه. وسيعلم أيضاً أن الإسلام الحقيقي ليس هو الخطر على الآخر أوعلى حضارته، بل إنه دون أدنى شك علاج حقيقي يحمي حضارة الآخر من الانهيار ويشفيها أيضاً من الأمراض التي توغّلت فيها اليوم.

أخي القارىء: مصيبتنا هي أن بعضاً من شبابنا ـ مع الأسف ـ مغرمون بالآخر (الغرب) الذي ذهب في تقديس الآلة مذهباً حمله على أن يهبط بالإنسان فيجعله مجرد خادم يتحرك بيد الآلة، ومن ثم فقدْ أعرض عن الاهتمام بل حتى التنبه إلى ما يغذي الوجود الروحي للإنسان ويملأ فراغه. وقد كان من المفروض أن يكون الأمر بالعكس. . .أن يتجه الاهتمام الأكبر إلى معنى الإنسان وحقيقته وتغذية طموحاته وأشواقه، وأن تكون الآلة مجرد خادم للمعنى الإنساني في كيان الإنسان. هذه المصيبة هي التي أورثت إنسان الحضارة الغربية فراغاً في فكره الذي دأبه البحث والتساؤل، وفراغاً في وجدانه الذي يظل يبحث عن الحب ولا يعرف المحبوب، وفراغاً في إدراكه لعلاقة ما بينه وبين هذا الكون[1].

وقد يسأل الرفيق القارىء ما المقصود بـ (الآخر) في مؤلّفي هذا ؟

(الآخر) هو كل من يجهل تعاليم الإسلام وشريعته مسلماً كان أو غير مسلم، شرقياً كان أم غربياً وهو بذلك في حالة حرب معها، يقول ما يراه هادماً لها.

اننا كمسلمين نلوم اجراء هؤلاء والمنضدعين بهم السائرين في ركابهم
الذين يتقولون على الإسلام بالجهل والغباء
خدمة وضيانة لأعداء دينهم وامتهم

كما يشمل معنى (الآخر) أيضاً أعداء الإسلام الذين ينتقدون ما في نظامه من عقوبات

(1) محمد سعيد رمضان البوطي، الإسلام والغرب، ص: 190، سنة 2007.

مستحقة منها حد السرقة الذي يقضي بقطع اليد، وحد الزنى الذي يقضي بالجلد والرجم. ويكفي في هذا المؤلف أن نضع الخصم أمام بحوث تحليلية، وتطبيقات واقعية كي يعلم أن شريعة الإسلام جاءت لخير البشرية ولا نظام ولا حكم يضاهيها، ثم نقول بعد ذلك هذا سبيلنا فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر.

كما أقصد بـ (الآخر) كل من يحاول أن يغزونا بأفكاره النفسية والخُلُقية الحديثة التي يحمل في ثناياها أفدح الأخطار على كيان شعوبنا الإسلامية ووحدتها وأُسس مجدها، وضعها طعمة سائغة يزدريها العدو دون أن يجد في ذلك غصَّةً في حلقومه، كما يفقدها كل مقوم من مقوماتها الإنسانية الراقية التي بها كانت خير أمة أُخرجت للناس، ويجعلها كبقرة حلوب تعلف بمقدار ما تستثمر من لبن أو لحم أو حرث. ولنكن حذرين مما وضع العدو لنفسه القاعدة التالية: (إذا أرهبك سلاح عدوك فأفسد فكره ينتحر به) مع الأسف لقد فعلوا ذلك وكذلك يفعلون باستمرار في شعوبنا الإسلامية، ونحن غافلون.

هذا وفي أحيان نادرة قد تشمل كلمة (الآخر) عالماً منصفاً ـ وهو ليس على ديننا ـ لكنه يؤيد قيمنا وتعاليمنا الإسلامية.

وأخيراً وفقني الله معكم لخدمة هذا الدين.

المؤلف

أ. د. دلاور محمد صابر

لغوٌ قيل في حق زواج سيدنا محمد ﷺ بعائشة ﵂ ....

نسمع من الآخر هنا وهناك شرقاً وغرباً في أيامنا هذه لغواً يقال في حق زواج رسول الله ﷺ من عائشة، فيقال كيف تزوج النبي محمَّد ﷺ وقد تجاوز الثالثة والخمسين من عمره من فتاة بلغت سنها التاسعة ؟

إنه ليس من باب التحدي أَنْ أَطلب من الآخر أن يقدم ولو دليلاً واحداً، وعلى مر التاريخ، يذكر أن السيدة عائشة قد شقيت بالزواج من رسول الله ﷺ ، وحتى دليلاً على أنها قد غُلبت على أمرها في إبرام ذلك الزواج...!، وإن كُلِّف المؤرخون و المتشرقون قديماً وحديثاً ليفتشوا صفحات التاريخ عن هذا الزواج، فلن يلقوا إلّا أمراً واحداً في هذا المجال وهو: أمُنا عائشة كانت أسعد النساء في المدينة كلها بهذا الزواج، وإن دققنا صفحات التاريخ نرى أن سعادتها ﵂ بزواجها من نبينا كانت تُضرَبُ بها الأمثال .

أخي القارىء: إن عدداً لا بأس به من الأوروبيين في عصرنا هذا وحتى الأمريكيين يظنون أن الرسل جاؤوا وقد كان لكل منهم مصالح خاصة، لا أكثر من ذلك...! حتى إنني ناقشت امرأة ألمانية عندما كنت طالب دكتوراه، فكانت تظن أن رسولنا كان رجلاً ذكياً وتعتبره من عباقرة زمانه، وكما هو الحال لبقية الفلاسفة، وقد نجح في إقناع كثير من شعوب البلاد العربية والإسلامية، هكذا كان ظن طالبة دكتوراه وهي مثقفة ومتحضرة. إذن فكيف يجب الاستماع إلى أقوال هؤلاء الناس الذين لا يعلمون من الأديان شيئاً، بل حتى لا يعلمون عن دينهم شيئاً؟ وهكذا ظنهم حتى بدينهم، وكل ما كانت هذه الفتاة الآنفة الذكر تعلم عن دينها هو: عطلة رأس السنة التي تتمتع بها في غضون أسبوعين من الزمان، ولا أقصد من هذا الكلام إهانة دينهم، إلّا أني أقصد بأنهم غير مطلعين حتى على حقيقة دينهم. بعد كل هذا، فكيف تؤثر فينا أقوال الآخر؟ على أية حال أجدني ملزماً بتوضيح حقيقة زواج رسولنا ﷺ وإثبات أن ذلك الزواج يتفق مع العلم مائة بالمائة، لذا فعليَّ أن أشرح مسبقًا بعض المواضيع ذات العلاقة بالمرأة الناضجة البالغة كالآتي:

مراحل المراهقة الكُبرى عند الفتاة والتي يعتبرُ البلوغ فيها متقدماً أو متأخراً بشكل غير طبيعي ؟..

مراحل المراهقة الكبرى عند الفتاة وبلوغها

يقول البروفيسور (شميتز) وهو أخصائي في طب الأطفال: من الواضح أن للمراهقة الكبرى مراحل، وأنه على الرغم من صعوبة تحديد مراحل المراهقة الكبرى فقد عُرضت شرائح أعمار متنوعة لتحديد إطار المراهقة (12-20 سنة، 12-18 سنة، 13-19 سنة)[1]. هناك ثلاث مراحل ضمن مراحل المراهقة الكبرى ومن المعروف أنه في 95٪ من الحالات، يبدأ البلوغ عند الفتاة بين عمر (8) سنوات و (13) سنة (ويعتبر الأطباء أن بدء البلوغ يكون متقدماً إذا حدث ذلك للفتاة بين السادسة والثامنة من عمرها، كما يكون متأخراً إذا بلغت الفتاة (13) أو (14) سنة من دون أن تظهر لديها أية علامة من علامات البلوغ. إذا كان هذا يحدث في الدول الغربية وفي الأجواء الباردة ـ لأن مؤلف الكتاب هو رجل غربي ـ وإحصاؤه متعلق بشعوب الغرب وليس بمناطقنا الحارة فكيف يكون في بيئتنا الحارة؟ إذا كان هذا الكاتب الغربي يُعدُّ العُمر (8) أعوام عمراً لبلوغ الفتاة أو هو الحد الأدنى للبلوغ، إذن فلماذا الهجوم الأهوج على نبينا ﷺ في أنه تزوج بفتاة عمرها (9) سنوات[سيجد القارىء في مواضيع آتية أن سن عائشة كانت أكبر بكثير من تسع سنوات عندما تزوجها نبينا ﷺ، وهناك إثباتات دقيقة تثبت ذلك دون أدنى شك] . . . .؟!! أما المدة التي تستوجبها عملية البلوغ تكون متغيرة، فقد لا تدوم عند الفتاة أكثر من سنة، كما قد تمتد أحياناً إلى أربع سنوات.

---

(1) لاروس: موسوعة الآباء والأمهات، تأليف بروفيسور جاك شميتز، أخصائي في طب الأطفال، أعَدَّ النص العربي د. يوسف فرحات، ص: 348 . سنة 1999.

أما عند الفتى فهي تتراوح بين سنتين وأربع سنوات ونصف، إذ أن الفتاة تبلغ أسرع من الفتى[1]. [أخي القارىء كل ما جاء آنفاً هو برهان لبلوغ الفتاة من الناحية العلمية والطبية، لكن اعلم جيداً وكما ذكرت آنفاً أن الاستنباطات الدقيقة لدعاة كبار تبرهن دون أدنى شك أنَّ سن السيدة عائشة كانت أكبر بكثير من تسع سنوات وسترى بدلائل دقيقة برهان ذلك].

هذا وقد استمدت المعلومات العلمية والطبية الآنفة الذكر من مصادر أجنبية حديثة لذا لا يستطيع القارىء أن ينكرها.

واستناداً إلى رأي الدكتورة (بنت الشاطىء) حيث تقول: أن بنات العرب لَسْنَ كبنات أوروبا الباردة، فهن سريعات النضوج جنسياً لأنهن يعشن في بلاد حارة، فإذا اعتمدنا على رأي بنت الشاطىء، والمعلومات التي ذكرت في كتاب (موسوعة الآباء والأُمهات) الآنف الذكر، نرى أن الفتيات يتم بلوغهن ـ إذا كان بلوغهن متقدماً ـ بين عمر السادسة والثامنة، وإذا تأخرت فبين 13 أو 14 سنة، وهذا يجعلنا متيقنين أن البلوغ حسب الأسس العلمية في المناطق الحارة يكون مبكراً ويدخل ضمن التصنيف الأول أي السادسة والثامنة. إذن استناداً إلى هذه الأسس العلمية، فالفتاة في الشرق الحار، يسبق بلوغها فتيات المناطق الباردة بسنين تتراوح بين (5 ـ 6) سنة، إذن ففتيات المناطق الحارة يسبقن في بلوغهن فتيات المناطق الباردة إذا ما قارناهما.

وهذا يعني إذا اعتبرنا سن البلوغ في المناطق ة عند الفتيات هي (6 ـ 8) سنوات، فتكون سن البلوغ في الدول الباردة حتماً أعلى من ذلك، إذا أخذنا دور المناخ في النضوج بنظر الاعتبار، لذا كانت العادة عند العرب أن يزوجوا بناتهم في سن عشر سنوات أو أصغر من ذلك.

هناك مِنَ الكُتّاب مَنْ لا يقتنعون برأي الدكتورة بنت الشاطىء الآنف الذكر، لكن دعني أيها القارىء العزيز أنْ أقدم لك مثالاً واحداً لربما يجعلك مقتنعاً برأيها كالآتي: تصوّر أن فتاة في العاشرة من عمرها في بلادنا تمتلك قامة طويلة، ممتلئة، ناضجة فسيولوجيًا وعقلياً، فبالرغم من صغر عمرها، ما المانع من أن تتزوج؟! هل هناك من لا يوافق على زواج هذه الفتاة؟ إذا كان الجواب :بـ (نعم) فإني لا أجد سبباً مقنعاً شرعياً وعلمياً يحولان دون ذلك.

(1) المصدر السابق نفسه، ص: 6.

تقدير نسبة الذكاء .... معادلة رياضية ..

ومدى مقدرة تلك المدارك الحسية (الخاصة بالمقدرة على الاحتفاظ بالمعلومات و الاستفادة من الخبرة والتجارب) قبل تقدير نسبة الذكاء د أن أُعرّف (الذكاء) وهو: مدى تنسيق ومقدرة المدارك الحسية والفكرية، خاصة على التحليل والتعليل والاستنتاج الصحيح السليم وبالتفاعل مع العقل ومدى تلك النتائج النهائية عن القدرة في التفهم والاستخلاص والتعبير، بناءً على معطيات المستجدات العقلية والروحية والنفسية وما شابه. وهذا يدفع بالمرء إلى الاستنباط الصائب في مجال نشاطه. والذكاء هو وراثي ويتأثر بالمحيط)[1].

كثيرًا ما يتحدث الغرب في هذا المجال بالذات عن النضوج العقلي والذكاء، ولا شك أن النضوج العقلي مرتبط بالذكاء. فإذا كانت المسألة تدور حول النضوج العقلي للفتاة فكثيراً ما نصادف فتاتاً صغيرة أو لداً صغيراً، يُعَدُّ عمرهم العقلي قد سبق عمرهم الزمني، وليس هذا مَقولَةٌ شعبية إنما هو أمر يندرج تحت عنوان المعايير العُمْرية في كتب علم النفس[2] ويعتمد هذا المعيار على معادلة تدعى بنسبة الذكاء (intelligance Quotient) ويساوي :

$$\text{نسبة الذكاء } I.Q. = \frac{\text{العمر العقلي}}{\text{العمر الزمني}} \times 100$$

فالطفل الذي يزيد عمره العقلي على عمره الزمني تكون نسبة ذكائه ونضوجه العقلي أكبر من 100. وبالمثل تكون نسبة ذكاء الطفل الذي يقل عمر العقلي عن عمره الزمني ـ أقل من 100. إذن فكثير من الفتيات يفوق عمرهن العقلي على عمرهن الزمني، وهذا يعني قد تكون فتاة مثلاً في العاشرة من عمرها أذكى وأنضج من بنت في الثامنة عشر من عمرها ـ على سبيل المثال ليس الحصر ـ إذن يظهر علمياً أنَّ هناك نوع من الترابط بين النضوج العقلي والذكاء حسب

(1) مناقشات في الفلسفة والعقل والطبيعة، المؤلفة (ول ديورانت) ترجمة إبراهيم محمد، ص: 19، بلا تاريخ، بتصرف.
(2) علم النفس، للدكتور عبد علي الجسماني، ص: 310، 1984.

العلوم النفسية. بعد كل هذا، هل هناك مانع من أن تكون سيدتنا عائشة من بين الفتيات اللاتي عمرهن العقلي سبق عمرهن الزمني؟ سوف نتحدث عن ذلك فيما بعد ونثبت ذلك.

obeikandl.com

البلوغ والحيض عند الفتاة ... ومتى تبلغ؟

وهل للبيئة دور في ذلك؟

إن مسألة الحيض مهمة بالنسبة لنضوج الفتاة، فالحيض الأول عندها قد يكون في عمر العشر سنوات، وهناك سؤال يطرح نفسه هنا وهو: هل يبدأ البلوغ اليوم بعمر أكبر مما كان بالأمس، فخير جواب هو جواب الأطباء والمصادر الطبية[1].

إن الإحصاءات المتنوعة تشير إلى أنّ معدّل العمر الذي يظهر فيه الحيض عند الفتيات قد تدنى بانتظام خلال مئة عام.

وفي الولايات المتحدة مثلاً، كان الحيض يحصل، في بداية هذا القرن، عند بلوغ الفتاة (14) سنة من العمر تقريباً، ثم استقرّ على الثانية عشرة والنصف في مطلع الستينات، وقد يكون لتحسّن الغذاء بعض التأثير في هذا المجال، أما البيانات التاريخية الموروثة، ولا سيّما عن العصور القديمة، تشير بوضوح إلى أنّ الفتيات كنّ يدخلن مرحلة البلوغ في عمر المراهقات في عصرنا، (هذا علماً بأن الحيض يشير إلى بلوغ الفتاة)[2]، و البلوغ (Puberty) هو طور النمو الذي تنضج عنده الأعضاء التناسلية وتصبح قادرة على تأدية وظائفها. ويعرف البلوغ عند الفتاة بكبر حوضها، ونمو ثديها وظهور شعر العانة والحيض[3].

إذن السؤال يطرح نفسه الآن هو: إذا كان المصدر الآنف الذكر (مصدر 6) في صفحة 352، يذكر أن البلوغ قد يتقدم أو يتأخر بشكل غير طبيعي عند الفتاة، وأن في 95٪ من الحالات يبدأ البلوغ عند الفتاة بين عمر 8 سنوات و13 سنة، حسنًا هذه الإحصاءات تخص دول الغرب بشكل خاص. فما رأيك أخي القارىء بالنسبة لبلادنا الإسلامية الحارة،

(1) لاروس: موسوعة الآباء والأمهات، ص: 352، 1999.

(2) لاروس: موسوعة الآباء والأمهات، ص: 406، 1999.

(3) الموسوعة الطبية الحديثة صادرة عن هيئة الإشراف على تأليف الموسوعة، المجلس الاستشاري، ج1 الطبعة الثانية، ص: 246.

هل حرام على الفتاة أن تبلغ في سن التاسعة من عمرها بفضل مناخها الحار؟ وقد يتقدم البلوغ فيها. . . أو بعبارة أخرى يكون البلوغ متقدماً عندما يحصل للفتاة بين السادسة والثامنة من عمرها، كما يكون متأخراً إذا بلغت الفتاة 13 أو 14 سنة، من دون أن تظهر لديها أية علامة من علامات البلوغ، فإذا كانت هذه أُسس علمية تستند إليها علوم الطب أي بلوغ الفتاة قد يحصل بين عمر 8 إلى 13 سنة، فلماذا نخشى من الفتاة في البلاد الحارة في أن تتزوج؟ في الوقت الذي هذا يعني أن الفتاة ناضجة جنسياً؟

وإن قيل كيف أن الرسول ﷺ تناسَبَ نفسياً مع السيدة عائشة وهي صغيرة في العمر - أي غير ناضجة - ؟ فقد تغنينا معادلة نسبة الذكاء المذكورة آنفاً عن ذلك . . .

وإن قيل أنها كانت غير ناضجة من الناحية الفسيولوجية، فذكرنا سالفاً أن المرأة في الدول الغربية قد يكون حيضها الأول في عمر عشر سنوات استناداً إلى المصادر السالفة، وقلنا أن النضوج الفسيولوجي في المناطق الحارة يسبق مثيلته في الدول الباردة . . . [رغم كل هذه المعلومات العلمية الراسخة،واستناداً إلى ما ذكرته في ما سلف و بعد تحقيق دقيق في كتب التاريخ، تم التوصل إلى أن السيدة عائشة كان عمرها أكثر بكثير من تسع سنوات وسيجد القارىء بعد حين تلك التحقيقات].

إذن فبماذا يحاججنا الآخر وينتقدنا، وأود هنا أن أُضيف نقطة مهمة وهي: لم تكن في عصر الرسول ﷺ شهادات ميلاد لوضع السن، ولكن كانوا يعرفون استعداد البنت للزواج كما يعرف الفلاح نضج الثمر، وذلك بملامح الفتاة وهذا الأمر تُجيد النساء معرفته.

ثم إن البيئة العربية كانت تُزَوِّجُ البنت بمجرد بلوغها النضج خوفاً من الانحراف .

إذن فإن ميقات النضج الجنسي يختلف باختلاف البيئة والمناخ، فكثير من البلاد الأفريقية والجزيرة العربية، تبلغ الفتاة فيها مرحلة الطمث، ومن ثم مرحلة الأُنوثة الناضجة في سن مبكرة. هذه (مصر) مثلاً، فإنّ من المألوف هناك أن يظهر الحيض (الطمث) عند الفتاة في سن العاشرة من عمرها أو أقل منه، ويظهر ذلك في فتيات كثيرات من الدول الحارة الأخرى كالسودان ونيجيريا . . .الخ، في الوقت الذي يظهر فيه الطمث عند فتيات مناطق البلاد الأوروبية الباردة في أعمار تتجاوز الرابعة عشر، إذن توَضّحَ الآن كل شيءٍ علمياً، فهل من محاجج؟! هكذا يتعامل المجتمع المسلم مع مشروع زواج رسول الله ﷺ من عائشة، وأنه لم يكن ز اج رضاء بوضع شاذ، بل تناغم طبيعي مع واقع المناخ والبيئة.

ولعل المثال التالي يقنع كل واحد منا لو تمعَّنَ فيه بإنصاف

نفرض أن الموز أو أي فاكهة زرعت في بلد حار جداً والحرارة ضرورية لنضج تلك الفاكهة، يا ترى أين ستنضج الفاكهة أولاً؟ أين ستكون قابلة للأكل بوقت أسرع؟ طبعاً لا شك أن الجواب هو: في المناطق الحارة، وأين يتأخر النضج؟ في المناطق الباردة طبعاً، والآن نطرح سؤالاً كالآتي: ماذا يعمل المزارع الذي تنضج ثمرته هل يدعها أشهراً دون أن يقطفها؟ أم يقطفها عندما تنضج تماماً؟ طبعاً جواب العاقل هو: عندما تنضج تماماً، وبعكس ذلك ستقع الفاكهة من فوق الشجرة على الأرض وتذبل. إذن هكذا يتم التعامل مع الفتاة التي تنضج في المناطق الحارة، فيتم تزويجها لرجل عند نضجها التام، أما نفس الفاكهة في البلاد الباردة وبنفس العمر فلا يتم نضجها إلّا مثلاً بعد شهر أو شهرين أو ربما أكثر، فإذا تم قطفها في زمن واحد مع المناطق الحارة، فهل تكون الثمرة ناضجة؟ وهل تكون قابلة للأكل؟ طبعاً لا .... أليس ما جاء آنفًا هو انسجام طبيعي مع واقع المناخ والبيئة والعِلم؟ ثم لا أعلم لماذا ينتقدنا أعداؤنا؟ فلو اطلعوا على مشاعر السيدة عائشة تجاه نبينا محمد ﷺ، لأيقنوا أنّها كانت تعيش حياة أسعد زوجة في زمانها وأنها كثيراً ما صرحت بذلك، فإذا كانت هذه مشاعر تلك الزوجة الصادقة، فما قيمة مشاعر الآخرين ؟

فإذا كانت صاحبة العلاقة راضية تمام الرضا بذلك الزواج، فما علاقة الآخرين بذلك الزواج.

معايير الشخصية الناضجة:

وهل تنطبق على أُمّنا عائشة ﵂ ؟

ناهيك عن النضوج الفسيولوجي الذي أثبتناه علميًا للسيدة عائشة بالتفصيل في المواضيع السّالفة الذكر، لنرى في الآتي، هل الشروط التي يذكرها علمائهم في النضوج العقلي تنطبق على النضوج الكامل لسيدتنا عائشة، من حيث الشخصية والذكاء وهي في تلك السن الصغير؟

إن وجهة نظر[1] (ألبورت Allport)

في تطور الشخصية ونضجها تقول: يولد الطفل ويكون لديه عدد من خصائص واستعدادات فطرية و وراثية وكذلك يكون له من الأجهزة والأنسجة الجسمية ما يساعدانه على القيام بعدد من الوظائف التي تنمو وتتمايز يوماً بعد يوم. على أية حال فإن ألبورت (Allport) يذكر مراحل التطور والعوامل التي تتدخل في تشكيل شخصية الفرد، ثم يستعرض (ألبورت) العوامل التي تدخل في تكوين نظام الشخصية والمراحل التي يمر بها هذا البناء، فيقترح علينا ستة معايير للحكم على اكتمال نمو الشخصية ونضجها، وهذه المعايير هي:

1 ـ **الإحساس بالذات، وامتدادها في مجالات واهتمامات متعددة .**

2 ـ **القدرة على الانتماء إلى الآخرين بحرارة .**

3 ـ **تقبل الذات، والشعور بالأمن، أي صحة نفسية جيدة، أي التحكم بنفسه من الانفعال الزائد عند مواجهة المشاكل.**

4 ـ **واقعية الإدراك، والتفكير، والأفعال، والعمل بطريقة واقعية.**

5 ـ **موضوعية الذات، والتبصر بالأمور، وروح المداعبة .**

6 ـ **العيش في وفاق مع عقيدة أو فلسفة تملأ عليه حياته وتضع أمامه هدفاً أسمى.**

وأوجز العالم (ألبورت) تلك الخصائص فقال: إن الشخصية الناضجة يكون لها «أخلاقيات ونفس أفضل» ودعنا الآن نوضح بعض التفاصيل عن كل واحدة من هذه المعايير على حدة:

1 ـ الامتداد للإحساس بالذات: Extension of the sense of self

يتطلب الدور الاجتماعي لكل فرد منا أن يكون له من الاهتمامات والواجبات ما يكرس له جانباً كبيراً من وقته وعمله خارج إطار أعماله وحاجاته الخاصة. أي أن الحياة للشخص الناضج هي أكثر من مجرد الحصول على الطعام والزواج والأطفال.

فالفرد يتعلم أثناء نموه من مرحلة الطفولة إلى المراهقة، ثم إلى النضوج أن يداوم

(1) علم النفس: عبد علي الجسماني، 1984، ص: 262 - 272 بتصرف .

على سحب خبراته إلى مواقف جديدة خارج حدوده الضيقة في عمل صداقات جديدة، في التوصل إلى أفكار جديدة، وفي طموح جديد، وعمل جديد... وهكذا.

وليس معنى هذا أن كل شخص نشيط يمكن أن يكون متعدد الاهتمامات، لكن لا بد له من أن يكرّس وقته أو أن يندمج في عدد من الأعمال التي تعطي للحياة معنى وهي أولى العلامات على نضوج الشخصية.

2 ـ **الدفء في العلاقات مع الآخرين**: Warmth to wards others

تتطلب الشخصية الناضجة القدرة على أن يرتبط الفرد بعلاقات دافئة مع الآخرين، في حياته الأسرية، ومع الأصدقاء، ومع زملاء العمل ... الخ. ويجب أن نوضح أن الارتباط وحده ليس دفئاً في العلاقات والاندماج معهم، ولكن الشخص الناضج يكون له شعور بالارتباط والاندماج مع رفقائه وقد يعمم ذلك على علاقاته مع كل الناس.

3 ـ **الشعور بالأمن ـ وتقبل الذات**: (Emotional Security self acceptance)

لا بد للشخص الناضج أن يواجه المواقف بأقل قدر من الصراعات النفسية بينه وبين المجتمع، ولذلك فإن الشخص الناضج هو من يتحكم في نفسه بعدم الانفعال الزائد عند مواجهة المشاكل. فكل منا لديه مخاوف من الخطر، والموت، والفشل ولكنها كلها مواقف يمكن أن نتعامل معها بطريقة مقبولة. وإلّا تحولت إلى مخاوف مرضية. من منا لا يتعرض للفشل والإحباط كل يوم في حياته؟ ولكن الشخص الناضج هو الذي يتعامل مع هذا الفشل ويتخطى العقبات، أو أن يستسلم للقدر الذي لا مفر منه. فليس حقيقياً أن الشخص الناضج هو ذلك الشخص الذي يكون دائماً هادىء المزاج، منشرحة أساريره، وقد يكون مكتئباً أو متشائماً في بعض الأحوال، ولكنه يعرف كيف يتناول هذه المواقف دون أن تؤثر فيه وفي حقوق الآخرين، أو دون أن يقوم بأفعال صبيانية انفجارية.

فمن المعروف أن الشعور بالأمن ينمو مع الطفل منذ طفولته المبكرة، وفي المراحل المتأخرة من الطفولة فإنه يتعلم أن كل خوف ليس من الضروري أن يقوده لكارثة، فقد يدخل في مخاطر جديدة أو مغامرات يبتهج لها. وقد يتعرض للفشل فيها أو الضرر، ولكنه يتعلم منها ويصبح أكثر حرصاً في المرات القادمة دون انزعاج كبير، وهو لذلك يسمى بـ «التحكم في الذات» (Self Control).

4 ـ الإدراك الواقعي: Realistic Perception

يتطلب الشخص الناضج القدرة على أن يدرك، وأن يفكر بطريقة مرنة تتفق مع المتطلبات الواقعية للموقف. ويتطلب هذا منه قدرات عقلية معينة، وقدرة لغوية، وقدرة على حل المشكلات، وذاكرة، ... الخ. وليس معنى هذا أن كل من كانت نسبة ذكائه عالية أن يصبح ذا شخصية ناضجة، فالذكاء العالي لا يضمن باستمرار النضج في الشخصية.

فالمهارات في إيجاد الحلول مطلوبة وكذلك القدرة على الاندماج في العمل ولكن إعطائه كل الوقت لا يعني للشخص الناضج أن ينسى نفسه وينسى الناس الآخرين، بل إنه يجب أن يحفظ نفسه في علاقة مع المواقف الأخرى، والناس الآخرين أيضاً.

5 ـ موضوعية الذات: (Self Objectification) البصيرة، وروح الدعابة

وبالرغم من صعوبة الحكم على قدر التبصر لدى الفرد إلّا أن (ألبورت) يقترح معادلة بسيطة يتكون البسط فيها مما يعتقده الناس عن الشخص، ومقامها فكرة الشخص عن نفسه. وقد وجد أن الناس الموضوعيين ذوو ذكاء أعلى. والطريف أنه قد وجد أن الاستبصار ذو علاقة ارتباطية عالية مع روح الدعابة.

فكيف يفسر هذا؟

إن روحُ الدعابة هي القدرة على الضحك على الأشياء التي يحبها الشخص بما فيها نفسه ويظل يحب هذه الأشياء دون أن يغير اتجاهه منها، ويجب أن نفرق بين روح الدعابة والضحك الاستهزائي، أو العدوان اللفظي أو الإساءة إلى الغير وخصوصاً المعارضين للشخص في المواقف المتعددة.

فالشخص الذي يتسم بروح الدعابة يستطيع أن يدرك ما وراء الحوادث من تناقض بين النية أو الاتجاه من جانب، والأداء والعمل من جانب آخر، ويستطيع أن يقف عند هذه السخافات فهو لذلك رجل موضوعي. وقلما يضحك الطفل أو حتى المراهق على نفسه، فهو يرى أن فشله وإحباطه يُعتَبَر خبرة مؤلمة موجعة وليس مدعاة للضحك من النفس أو الآخرين.

وبالرغم من أن كل منا يرغب في أن تكون شخصيته لها من المميزات ما يرغب فيها إلّا أن هذا التمني غير ممكن، ولكن ما يحدث أن كل شخص يحاول أن يظهر أحسن ما

لديه من صفات أو خصال موجودة فعلًا، وإلّا حدث التصادم بين التمنّي والواقع، وخير معين على حفظ هذا التوازن هو الاستبصار، وروح الدعابة، التي أساسها الموضوعية الذاتية. وليس معنى أنه إذا استأثرت روح الدعابة بالفرد أنه سيستمر في موضوعيته، ولكن لابُد أن يندمج معها الإحساس بالقيمة والاتجاه نحو هدف معين أو أهداف معينة في الحياة يجب العمل من أجل تحقيقها، وإلا فقدت الحياة قيمتها.

6 ـ العيش في وفاق وانسجام بفضل عقيدة أو فلسفة موحدة

لا نستطيع القول بأن أهداف الحياة تكون واضحة منذ الطفولة، وحتى في فترة المراهقة فإنها قد تظل غامضة، حيث يغلب عليه البحث عن كيانه واستقلاله، وتبدأ أهداف الحياة في الظهور في بداية فترة الرشد (النضج) وتتحدد بوضوح.

وتختلف درجة فعالية متابعة الفرد لهذه الأهداف في مراحل حياته المختلفة. فالمراهق يميل إلى أن يكون طموحاً ومثالياً، ويكون حساساً للفشل والإحباط وقد يتغلب على هذه المواقف.

وعندما يتعدى سن العشرين سيتعلم الفرد كيف يؤقلم أهدافه الطموحة جداً في ضوء الظروف الواقعية. فيتعلم أن فرص العمل ليست باستمرار في انتظاره وعليه البحث عنها، وأن طريقه في هذا العالم ليس دائماً مفروشاً بالورود، كما كان يعتقد فيما مضى. وكذلك فإن العراقيل التي كان من المتوقع أن يتوخاها أو يواجهها في الماضي ولم يكن بإمكان الفرد التغلب على تلكم الأوهام إلا إذا أبعد أولًا عن نفسه هذه الأهداف غير الواقعية التي رسمها لنفسه في مرحلة سابقة.

فهذا الشعور بالاتجاه (التوجيه ـ sense of direction)هو الذي يعطي الحياة هدفاً واحداً unifying purpose . يضاف إلى هذه القيم التي توجه الفرد Value Orientations والتي يؤمن بها.

وهنا يأتي دور العقيدة والدين في تكامل الشعور والالتزام الأخلاقي، الذي يؤدي بدوره إلى عاطفة دينية تجعل من حياته هدفاً واحداً.

فالشخص الناضج هو الذي يعيش في انسجام
مع عقيدة وفلسفة واحدة لحياته.

وبالنسبة للنقطة الأولى من معايير الشخصية الناضجة يتطلب الدور الاجتماعي لكل فرد أن يكون له من الاهتمامات والواجبات ما يكرس له جانبًا من وقته وعمله خارج إطار أعماله وحاجاته الخاصة، أي أن الحياة للشخص الناضج هي أكثر من مجرد الحصول على الطعام والزواج والأطفال . . .

فالسيدة عائشة معروفة بدورها الاجتماعي و واجباتها التي أنيطت إليها في بيتها وخارج بيتها ﵂ ، وهناك كتب في سيرتها منذ أدخلت بيت النبوة رغمًا من صغر سنها وإلى أن وافاها الأجل.

أما النقطة الثانيه في المعايير، هي: أن الشخصية الناضجة تتطلب منها القدرة على الارتباط بعلاقات دافئة مع الآخرين في حياته الأسرية، ومع الأصدقاء، ومع زملائه. . . إلخ.

ولا يتطلب أن أشرح كل ذلك في حياتها الأُسرية بالتفصيل وكانت من المتميزات في ذلك، ويكفي أن يكون رسول الله ﷺ راضياً عنها في كل أمورها . . .

فإذا ما قارنا النقطة الثالثة في معايير الشخصية الناضجة في كتاب الدكتور عبد علي الجسماني[1]، حيث نرى أنَّ السيدة عائشة ﵂ واجهت حديث الإفك بشجاعة وذكاء، فبعد حديث الإفك، (أخذ رسول الله ﷺ يستشير بعض أصحابه في الأمر وفي فراق أهله، فمنهم من يقول: يا رسول الله أهلك ولا نعلم إلّا خيراً، ومنهم من يقول: لم يضيق الله عليك، والنساء كثير، واسأل الجارية، يعني بريرة، تصدقك، فدعا رسول الله ﷺ بريرة، وسألها: « **هل رأيت من شيء يريبك من عائشة؟**» . . فأخبرته أنها لم تعلم عنها إلّا الخير، فقام عليه الصلاة والسلام على المنبر، فقال: «**يا معشر المسلمين، من يعذرني من رجل قد بلغ أذاه في أهل بيتي؟ فوالله ما علمت على أهلي إلّا خيراً، ولقد ذكروا رجلاً ما علمت عليه إلَّا خيراً**»، فقام سعد بن معاذ فقال: أنا أعذرك منه يا رسول الله، إن كان من الأوس ضربنا عنقه، وإن كان من الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك، فتلاغط الناس في المسجد حتى أسكتهم رسول الله ﷺ.

قالت عائشة: ثم دخل عليّ رسول الله ﷺ وأبواي عندي وهما يظنان أن البكاء فالق كبدي، ولم يجلس عندي منذ قيل ما قيل، وقد لبث شهراً لا يوحَى إليه في شأني بشيء،

(1) عائشة أم المؤمنين ، محمد سعيد البوطي ، 2005 ص: 49.

قالت: فتشهّد حين جلس، ثم قال: «**أمّا بعد يا عائشة، فإنه قد بلغني عنك كذا و كذا، فإن كنت بريئة فسيبرئك الله، وإن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله وتوبي إليه**»، قالت: فما قضى رسول الله ﷺ مقالته، قلص دمعي حتّى ما أحسّ منه بقطرة، فقلت لأبي: أجب عني رسول الله ﷺ فقال: والله ما أدري ما أقول، فقلت لأمي أجيبي عني، فقالت: والله ما أدري ما أقول، فقلت: (والله لقد عرفت أنكم قد سمعتم بهذا، حتى استقرّ في نفوسكم وصدقتم به، فإن قلت لكم إني بريئة - والله يعلم أني بريئة - لا تصدّقوني في ذلك ولئن اعترفت لكم بأمر - والله يعلم أني بريئة - لتصدّقني.

إني والله ما أجد لي ولكم مثلاً إلا كما قال أبو يوسف: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف:18] قالت: ثم تحولتُ فاضطجعتُ على فراشي).

الآن جاء دوري للتعليق على الموضوع وكالآتي :

الغريب هنا أن السيده عائشة كانت قد تزوجت الرسول ﷺ في السنة الثانية من الهجرة، وحديث الإفك حدث في السنة الخامسة للهجره أي في غزوة بني المصطلق. إذن كان عمر السيدة عائشة آنذاك (12) سنة. **ملاحظة**: حسب استنباط الداعية الدكتور إبراهيم الشموط وغيره كان عمر السيدة عائشة في السنة الخامسة للهجرة أكثر من 20 عاماً، أي في حدود 28 عاماً، وسيلقى القارىء هذا الاستنباط في المواضيع التالية، أليس من الغرابة أن يكون لهذه السيدة هذا الجواب الآنف الذكر البليغ؟ حتى لو كانت في العقد الثاني من عمرها؟ أليس هذا دليل على نضوجها عقلياً وفسيولوجياً، إني أرى أنها بهذا النضوج قد فاقت المعايير التي وضعها (ألبورت) لنضوج الشخصية علماً أن هذه المعايير قد وضِعَت من قبل علماء الغرب وليس المسلمين.

وإذا كان علم النفس يعرّف الشخصية[1]: أنها الأنماط السلوكية المختلفة التي يستجيب بها الفرد للمؤثرات التي تقع عليه، سواء كانت هذه الأنماط تعبيرات ملامح الوجه أو الإشارات الجسمية أو التعبيرات الكلامية أو طرق التفكير. يا ترى جواب السيدة عائشة آنفاً في الدفاع عن برائتها مستعينةً بآية من كلام الله جلّ وعلا في مقابلتها مع الرسول وفي حضور أبيها وأمها، هو جواب سيدة ليست في الثانية عشر من عمرها بل إن هذا الجواب

(1) علم النفس، الدكتور عبد علي الجسماني، 1984، ص: 216.

يصعب قوله حتى على كثير من المثقفين من الرجال والنساء في يومنا هذا، هذا هو الكلام المؤثر لأُمِّنا عائشة، وهذه هي طريقة تفكيرها. فأين نحن من أقاويل الأعداء حول النضوج وغيرها من الأمور؟... إذن هكذا كان السلوك المميز لهذه السيدة الفاضلة، وهكذا تنطبق شخصيتها ونضوجها مع أحدث علوم النفس بل فاقتها...!!جواب في منتهى العقلانية وأوج النضوج والشخصية القوية.

ثم إذا كان الذكاء كما يُعرَّفُ في علم النفس[1]: إنه القدرة على التفكير، ويعتقد غيرهم إنه القدرة على معالجة الرموز، وإدراك العلاقات والاستدلال توصلاً لتعميمات حقيقية صحيحة. ويذهب فريق آخر إلى تعريف الذكاء أنه الفطنة والنباهة، يا ترى ألا ينطبق هذا التعريف على عائشة ﵂ ؟

ثم إذا تتذكر يا صاحبي القارىء في تعريف الذكاء قبل صفحات فقد قيل: أنَّ الذكاء وراثي ويتأثر بالمحيط، يا تُرى بنت من كانت السيدة عائشة؟ بنت ترعرعت في بيت (الصّديق﵁) ومحيط بيت الصديق، إذن فكيف يكون ذكائها ونضوجها العقلي... ؟!!، أياً كان تعريف الذكاء.. أليست جميع تلك التعاريف تنطبق على نباهة وفطنة وقدرة السيدة عائشة وعلى نضوجها، طبعاً المثال السالف الذكر بين رسول الله ﷺ وأبو بكر﵁ وأم عائشة وعائشة هو مثل واحد بين عشرات الأمثال التي تبرهن نضوج، وشخصية، وفرط ذكاء هذه السيدة، وقد اكتفيت بمثال واحد وإذا كنت تريد المزيد ففتش عن سيرتها ﵂ في الكتب والمصادر المختلفة الأخرى. [أخي القارىء: هل يعقل أن يكون الجواب السالف الذكر صادراً من قبل فتاة يبلغ عمرها (12) سنة؟ ولتوضيح أكثر لعصرنا هذا أقول: هل من الممكن لفتاة في الصف الخامس الابتدائي التي يطابق عمرها عمر السيدة عائشة (أي 12سنة) أن تتحدث وتناقش بهذه البلاغة والفصاحة؟

قد يكون هناك من يحاججني في هذا الأمر ويقول: بل هناك من يحفظ القرآن بكامله في هذا العمر، أجيب على ذلك وأقول: نعم ربما هناك من يحفظ القرآن في هذا العمر،ولكن لا يحتاج ذلك الحفظ إلى عقل وفطنة و نضوج،وكما هو معلوم لدى الجميع،هناك من يحفظ مادة علمية أو شعراً أو نثراً ولكن لا يفهم منه شيئاً... نعم، إنه من المعروف أن أمر الحفظ بالذات يحتاج إلى صفاءٍ و فراغٍ فكري ولا يشترط أن يكون للمرء

(1) المصدر السابق نفسه، ص: 62-63.

في هذه الحالة فطنة وبلاغة ونضوج وتحليل صائب. فالشخصية الناضجة بحاجة في المواقف الصعبة إلى فطنة وبلاغة ونضوج وتحليل صائب كالموقف الصعب الذي واجه السيدة عائشة وهو أصعب مشكلة يواجهه المرء في الحياة.

أليس الجواب السالف الذكر للسيدة عائشة في ذلك الموقف الرهيب، هو جواب إنسان في منتهى البلاغة والفصاحة والنضج، أبَعْدَ هذا الجواب جواب؟ دعني أخي القارىء أن أعود إلى القصة مرة أخرى، وفي هذا الموقف المحرج لعائشة و في وجود حضرة الرسول ﷺ ووالديها، ماذا فعلت عائشة بعد الجواب الآنف الذكر؟ قالت عائشة: تَحَوَّلتُ فاضطَجعْتُ على فراشي. وذلك لأنها واثقة من نفسها، فإنها تصرّفت كالشخص الناضج، وكما يوصف في معايير الشخصية الناضجة، فإنها تحكمت في نفسها من أي انفعال عند هذه المواجهة . . . أليس بعد هذا النضج في الشخصية نضجٌ رفيقي القارىء؟ أنها تخطت كل العقبات واستسلمت للقدر، وأن هدوء أُمّنا عائشة هنا دليل على شخصيتها الناضجة . . . فهل هي بهذا التفكير والتصرف تمتلك عقل اثنتا عشرة سنة؟ أم أنها تملك عقل وشخصية امرأة ناضجة كاملة، بل تفوقت في الذكاء والنضج على أذكى وأنضج امرأة بجوابها الفطن في ذلك الموقف، إنها لم تقم بأية أعمال صبيانية انفجارية في ذلك الموقف. إذن أين الأبواق التي تقول: كيف تزوجها النبي وهي غير ناضجة؟ هل بعد هذا النُضجِ نُضجٌ؟. . [يا صاحبي القارىء: إذا كان هناك من يدَّعي أن عمرالسيدة عائشة في الموقف الآنف الذكر كان 12 عاماً، فبارك الله في عبقرية وذكاء هذه الفتاة الصغيرة ـ نضج وعقل وفطنة وذكاء ـ وإذا كان عمرها أكثر من عشرين عاماً حسب التحقيقات التي يجدها القارىء فيما بعد و تثبت ذلك، فيكون الجواب الذي صدر منها هو جواب امرأة ناضجة فطنة في هذا العمر بكل معنى الكلمة].

ويتطلب الشخص الناضج كما سلف في (معايير الشخصية الناضجة) القدرة على أن يدرك، وأن يفكر بطريقة مرنة تتفق مع المتطلبات الواقعة للموقف. ويتطلب هذا من الشخص قدرات عقلية معينة، وقدرة لغوية وقدرة على حل المشكلات، وذاكرة فذة . . . . الخ. ولنرى ماذا فعلت عائشة بعد نزول آية البراءة، جاء إليها رسول الله فقال ﷺ: «**أبشري يا عائشة، أما الله فقد بَرّأكِ**»، فقالت لها أمها: قومي إليه (أي أشكريه)، فقالت عائشة: لا والله لا أقوم إليه ولا أحمد إلّا الله هو الذي أنزل براءتي . . . أنظر أيها القارىء إلى فطنتها، ونضوجها، وذكائها فجوابها جواب ناضجة يرضي الجميع ويُفرّح حتى رسول الله ﷺ.

هذا وقد بدأت أولى مراحل خطبة رسول الله ﷺ لعائشة، بوحي أوحيَ به إليه فقد وى البخاري ومسلم في صحيحه عن عائشة أنها قالت: قال رسول الله ﷺ: **«أُرِيْتُكِ في المنام ثلاث ليالٍ، جاءني بكِ الملك في سَرقَةٍ من حرير، فيقول: هذه امرأتك، فأكشف عن وجهك فإذا أنت هي فأقول: إن يكُ هذا من عند الله يُمْضِهِ»**[1].

هنيئاً لكِ يا أمّاه يا عائشة فَلَكِ ذلك القلب المترع بالطهر والإيمان، والذكاء، والنضج، والتقوى، وهنيئاً لكِ وقد رفع الله لكِ ذكراكِ . . . فأنتِ التي قال عنك ﷺ: **«خذوا شطر دينكم عن هذه الحميراء»**.

وقد أجمع الذين كتبوا عن السيدة عائشة وعن حياتها، بأنها كان لها حظاً وافراً من الفصاحة والبيان، وكانت مِنْ أفْصَح نساء العرب في عصرها لساناً. هل بعد هذا الوصفِ وصفٌ؟ نقِرُّ جميعاً: إن عقل السيدة عائشة ونضوجها ونسبة ذكائها كانت في القمة ؟!!

وى الترمذي عن موسى بن طلحة قال: ما رأيت أحداً أفصح من عائشة، وى محمد بن سيرين عن الأحنف بن قيس قال: سمعت خطبة أبي بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب والخلفاء كلّهم، هَلُمَّ جراً إلى يومنا هذا، فما سمعت الكلام من فم مخلوق أفخم ولا أحسن منه من فيِّ عائشة[2]. وهناك نماذج من كلامها يمكن قراءتها في كتاب عائشة أم المؤمنين للدكتور سعيد رمضان البوطي[3] والقدرات العقلية واللغوية والذاكرة الآنفة الذكر كلها تنطبق على السيدة عائشة في النقطة الرابعة من معايير الشخصية الناضجة السالفة الذكر والنقطة الخامسة (البصيرة) فإذا لم تكن في عائشة فعند من تكون البصيرة؟

أما النقطة السادسة، فهل من امرأة عاشت في وفاق وانسجام مع عقيدتها وفلسفة دينها كعائشة منذ نعومة أظفارها؟ إذن تم البت في النقاط الست التي ذكرت عن شخصية عائشة الناضجة. وأعتقد أنها تفوقت في نضوجها على تلك النقاط الستة. . .

إذن كفى بالطعن بهذا الدين الحنيف، كفى أيها الجاهلون عن الغوغائية . . . وإني أجزم بقطعية حقيقة ·واج السيدة عائشة إما قد بلغت السابعة عشرة أو قاربت الخامسة

---

(1) أخرجه البخاري في كتاب التعبير، ومسلم في فضائل الصحابة. ومعنى سرقة: القطعة من الحريرالفاخر.

(2) رواه الحاكم في المستدرك، وانظر الإجابة للزركشي، ص: 75 بتحقيق الأستاذ سعيد الأفغاني.

(3) عائشة أم المؤمنين، أيامها د.محمد سعيد رمضان البوطي ... سيرتها الكاملة في صفحات 2005، ص: 78.

والعشرين من ربيعها عندما تزوج منها المصطفى عليه السلام، وهذه الحقيقة ستتوضح بعد قراءتك في صفحات تالية.

استنباط صائب وجدير بالاهتمام - من قبل بعض الكُتاب حول سن السيدة عائشة عند زواجها بنبينا محمد ﷺ :

حيث كانت إما سبع عشرة سنة أو أكثر من ذلك بعد عرض وتحليل علمي دقيق حول سن سيدتنا عائشة، أرى ضرورياً أن أعرض على قرّائي ما كُتب في هذا الموضوع من قِبل الباحث (أحمد محمد جمال) حيث له رأي مغاير لما شاع في كتب السيرة، ويستند بذلك إلى كتاب الدكتور إبراهيم شموط: (أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ)، وأرى أن ما كتبه أمر صائب لا شك فيه، وسأعلق بين حين وآخر على هذا الموضوع.

يقول الكاتب الباحث أحمد محمد جمال صاحب المقالة[1]:

خلال محاضرتي في دورة تدريب الدعاة والأئمة الأفارقة بنواكشوط في موريتانيا أوائل شعبان 1397 هجري. تلقيت سؤالاً من الأخ (ع.خ) يقول فيه: يزعم بعض المستشرقين أن زواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالسيدة عائشة وهي في سن صغيرة يعتبرعبثاً بفتاة لا تعرف شيئاً عن الزواج بينهما، فما الرد عليهم؟

وكان جوابي للأخ السائل: إني أنا نفسي لا أصدق أن الرسول ﷺ أبرم عقد النكاح مع أبي بكر ﷺ على ابنته عائشة، وهي بنت ست سنوات، ودخل عليها وهي ابنة تسع سنين، كما تروي ذلك كتب السنة الأثيرة وغيرها من المراجع.

وكنت قد قرأت دفاعاً للدكتورة عائشة عبد الرحمن / بنت الشاطئ/ عن زواج عائشة في هذه السن، بأن بنات العرب لسن كبنات أوروبا الباردة، فهن سريعات النضوج جنسياً لأنهن يعشن في بلاد حارة. ولم أقتنع بهذا الدفاع أيضاً، ثم قرأت للدكتور إبراهيم شموط كتابه: (أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ) فوجدته يدحض كثيراً من المفتريات والشبهات التاريخية التي ألصقت بالإسلام وكتابه ورسوله ﷺ وصحابته وغير ذلك من قضايا وأحداث وشخصيات إسلامية، ومن بين هذه القضايا والأحداث التي ناقشها الدكتور شموط زواج الرسول من عائشة فقال: أطلق المؤرخون لأقلامهم العنان في موضوع زواج الرسول ﷺ من عائشة فقالوا:

---

(1) موقع الداعية الدكتور محمود عكام. وقد تصرفت في الموضوع بين حين و آخر لأجعله أكثر وضوحاً وتوثيقاً.

إن هذا الزواج انتهاك لحرمة الطفولة، واستجابة للوحشية الجنسية، وعبثٌ واضح من رجل كبير بطفلة صغيرة لا تعرف شيئاً من مآرب الرجال. وأضاف الدكتور شموط: إنه لزاماً على كل باحث أو قارئ في موضوع زواج الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بعائشة أن يعرف الأمور التالية:

أولاً ـ إن كتب السيرة التي قدرت للسيدة عائشة تلك السن الصغيرة عند زواج الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بها روت بجانب ذلك أمراً أجمع الرواة عليه[1]: وهو أن

---

(1) وقال في الطبقات الكبرى: أخبرنا عبد الله بن نمير عن الأجلح عن عبد الله بن أبي ملكية قال: خطب رسول الله ﷺ عائشة بنت أبي بكر الصديق فقال: إني كنت أعطيتها مطعماً لابنه جبير فدعني حتى أسلها منهم، فاستسلها منهم فطلقها فتزوجها رسول الله ﷺ، المصدر (الطبقات الكبرى ج: 8 ص: 59).

وقال في الإصابة في تعريف الصحابة ج 4 - صفحة27، عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدم نسبها في ترجمة والدها عبد الله بن عثمان رضي الله تعالى عنهم. وأمها أم رومان بنت عامر بن عويمر الكنانية ولدت بعد المبعث بأربع سنين أو خمس، فقد ثبت في الصحيح أن النبي ﷺ تزوجها وهي بنت ست وقيل سبع ويجمع بأنها كانت أكملت السادسة ودخلت في السابعة ودخل بها وهي بنت تسع وكان دخوله بها في شوال في السنة الأولى كما أخرجه بن سعد عن الواقدي عن أبي الرجال عن أبيه عن أمه عمرة عنها قالت: أعرس بي على رأس ثمانية أشهر. وقيل في السنة الثانية من الهجرة. وقال الزبير بن بكار: تزوجها بعد موت خديجة قبل بثلاث سنين. قال أبو عمر: كانت تذكر لجبير بن مطعم وتسمى له.

قلت: أخرجه ابن سعدٍ من حديث ابن عباس بسند فيه الكلبي وأخرجه أيضاً عن ابن نمير عن الأجلح عن ابن أبي مليكة قال: قال أبو بكر: كنت أعطيتها مطعماً لابنه جبير فدعني حتى أسلها منهم فاستسلها. وفي الصحيح من رواية أبي معاوية عن الأعمش عن إبراهيم عن الأسود قالت: تزوجني رسول الله ﷺ وأنا بنت ست سنين وبنى بي وأنا بنت تسع وقبض وأنا بنت ثمان عشرة سنة.

وقال صفة الصفوة: عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنها كانت مسماة لجبير بن مطعم فخطبها رسول الله ﷺ فقال أبو بكر رضي الله عنه: دعني حتى أسلها من جبير سلاً رفيقًا فتزوجها رسول الله ﷺ (المصدر صفة الصفوة للإمام الدين أبي الفرج ابن الجوزي تحقيق الشيخ خالد طرطوسي - دار الكتاب العربي بيروت، ص 286 سنة الطبع 2008) - وفي مطبوعة دمشق «عن» بدل «بن» وهو خطأ: ابن إدريس، عن محمد بن عمرو، عن يحيى بن عبدالرحمن بن حاطب، قال: قالت عائشة: لما ماتت خديجة، جاءت خولة بنت حكيم فقالت: يا رسول الله، ألا تزوج؟ قال: "**ومن**" ؟ قالت: إن شئت بكرًا وإن شئت ثيبًا ؟ قال: «**من البكر ومن الثيب**»؟ قالت: أما البكر، فعائشة ابنة أحب خلق الله إليك، وأما الثيب، فسودة بنت زمعة، قد آمنت بك واتبعتك.

قال: اذكريهما علي.

قالت: فأتيت أم رومان فقلت: يا أم رومان، ماذا أدخل الله عليكم من الخير والبركة، قالت: ماذا ؟ قالت: رسول الله ﷺ يذكر عائشة.

قالت: انتظري، فإن أبا بكر آت.

فجاء أبو بكر، فذكرت ذلك له.

فقال: أو تصلح له وهي ابنة أخيه ؟ فقال رسول الله ﷺ: «**أنا أخوه وهو أخي، وابنته تصلح لي**».

فقام أبو بكر.

فقالت لي أم رومان: إن المطعم بن عدي كان قد ذكرها على ابنه، ووالله ما أخلف وعدًا قط. =

السيدة عائشة كانت مخطوبة قبل خطبة النبي لها إلى رجل آخر هو جبير بن المطعم بن عدي الذي ظل على دين قومه إلى السنة العاشرة للهجرة فمتى خطبها المطعم بن عدي لابنه جبير؟ ليس معقولاً أن يكون خطبها وأبو بكر مسلم وآل بيته مسلمون!! فقد كانت هناك خصومة شديدة وصراع عنيف بين المشركين والمسلمين، فالغالب بل والمحتم إذاً أن تكون هذه الخطبة قبل بعثة الرسول ﷺ في مكة، فإذا بنى بها النبي ﷺ ـ أي تزوجها ـ في العام الثاني للهجرة تكون سنها إذ ذاك قد جاوزت الرابعة عشرة، وهذا على فرض أن المطعم بن عدي خطبها لابنه جبير في يوم مولدها، وهو أمر بعيد كل البعد أن تخطب البنت في يوم مولدها.

ثانياً ـ إن خولة بنت حكيم زوج عثمان بن مطعون التي كانت تحمل همّ الرسول وتديم التفكيرفي شأنه بعد وفاة السيدة خديجة ذهبت لتعرض عليه الزواج كي يخرج من وحدته وأحزانه، وعندما سألها: «**من تريدين يا خولة؟**» أجابته: إن شئت بكراً فعائشة بنت أبي بكر، وإن شئت ثيباً فسودة بنت زمعة. وعرضُ خولة على الرسول الزواج من سودة الثيّب أو عائشة البكر يُفهم منه أن كلتيهما صالحتان تماماً لأن تكون زوجة له تسد الفراغ الذي خلفه فقد خديجة ﵂.

ثالثاً ـ كان اغتباط السيدة أم رومان والدة عائشة شديداً عندما فسخت خطبة ابنتها من جبير بن المطعم بن عدي، وخطبها الرسول حتى قالت لأبي بكر: هذه ابنتك عائشة قد أذهب الله من طريقها جبير وأهل جبير، فادفعها إلى رسول الله تلقَ الخير والبركة. والأم حين تطلب لابنتها الزواج تكون أعرف الناس بعلامات النضج في ابنتها.

هذه خلاصة ما عرضه الدكتور شموط من استنباطات ومفاهيم عن زواج الرسول بعائشة مما يدل على أن سنها يوم عقد عليها بمكة لم يكن ست سنين ويوم دخل بها بالمدينة لم يكن تسع سنين.

= قالت: فأتى أبو بكر المطعم.
فقال: ما تقول في أمر هذه الجارية ؟ قال: فأقبل على امرأته، فقال: ما تقولين ؟ فأقبلت على أبي بكر، فقالت: لعلنا إن أنكحنا هذا الفتى إليك تدخله في دينك ! فأقبل عليه أبو بكر، فقال: ما تقول أنت ؟ قال: إنها لتقول ما تسمع.
فقام أبو بكر وليس في نفسه من الموعد شيء، فقال لها: قولي لرسول الله ﷺ فليأت، فجاء.

ونزيد الأمر توضيحاً أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ظل بعد أن بعثه الله رسولاً في مكة ثلاث عشرة سنة، وكان أبو بكر أول من أسلم من الرجال، وكان فسخ خطبة عائشة من جبير بن المطعم بسبب إسلام أبي بكر. فكم كان سنها عندما خطبها وعندما فسخ خطبتها؟ وعلى فرض أنها ولدت قبل بعثة النبي بعام أو عامين وأنها كانت مخطوبة لجبير بن المطعم منذ ولادتها فإن سنها تكون عندما دخل بها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في المدينة المنورة في السنة الثانية للهجرة سبع عشرة سنة لا تسع سنوات. نقول ذلك من باب الافتراض فحسب، ولتوضيح ذلك للقارىء أقول: [أي بحساب بسيط لو فرضنا أن سن السيدة عائشة قبل بعثة المصطفى ﷺ كان عامين وكانت مخطوبةً منذ ولادتها لجبير بن المطعم فيكون عمرها عندما دخل بها الرسول ﷺ في المدينة المنورة في السنة الثانية للهجرة كالآتي: 2 عام وهو سنها قبل البعثة + 13 عام[1] وهو عدد السنين التي مكث الرسول ﷺ في مكة منذ بعثته + 2 عام (سنتي الهجرة) عندما دخل الرسول بها ﷺ فالمجموع = 17عام]. أما المعقول والطبيعي والمتعارف عليه فهو أن أقل سن يخطب فيها الفتاة هي العاشرة ويدخل بها في الثانية عشرة أوالثالثة عشرة أو... فإذا قلنا أن سن السيدة عائشة عندما خطبها جبير كانت عشر سنوات ثم فسخت خطبتها عند بعثة الرسول وإسلام والدها وخطبها الرسول بعد وفاة زوجته الأولى خديجة في مكة ودخل بها في السنة الثانية للهجرة بالمدينة تكون سنها عندئذ الخامسة والعشرين وليست تسع سنين».

أما حساب عدد السنين في هذه الحالة وهو المعقول والطبيعي يكون كما يلي: [كان عمر السيدة عائشة 10 سنوات عندما خطبت لجبير بن المطعم قبل بعثة الرسول ﷺ +13سنة وهي المدة التي قضاها سيد الكائنات ﷺ في مكة منذ بعثته + 2سنة وهما سنتي الهجرة عندما تزوج رسولنا ﷺ بعائشة في المدينة، إذًا المجموع هو: 10+13+2=25 سنة .... وهل من رافض لما وضحته آنفًا وليس هناك دليل منطقي وحسابي يمحي ما وضحته آنفًا وما تم استنباطه من قبل الأستاذ الفاضل الدكتور إبراهيم الشموط جزاه الله خيراً. ونشير كما فعل الدكتور

(1) قال ابن إسحاق: ورسول الله ﷺ يومئذ ابنُ ثلاث و خمسين سنة، وذلك بعد أن بعثه الله عزّ وجل بثلاث عشرة سنة، فأقام بها بقية شهر ربيع الأوّل، وشهر ربيع الآخر وجمادَيْن ورجباً، و شعبان، و شهر رمضان، وشوّالاً، و ذا القعدة، و ذا الحجة - وولي تلك الحَجة المشركون - والمحَرَّم، ثم خرج غازياً في صفر على رأس اثني عشر شهراً في مَقْدمة المدينة .
السيرة النبوية لابن هشام، المجلد الثاني، ص: 167، سنة 2004، منشورات دار ومكتبة الهلال.

شموط إلى خولة بنت حكيم التي جاءت إلى الرسول بعد وفاة خديجة لتخفف من همه وحزنه وتعرض عليه أن يتزوج بكراً أو ثيباً فهل يعقل أن تعرض عليه وهو في مثل هذه السن ـ نحو الخمسين – وفي مثل تلك الحالة من وفاة زوجته الأولى التي واسته وصدّقته وأعطته؟، هل من المعقول أن تعرض عليه خولة زوجة طفلة في السادسة من عمرها لتحل محل خديجة وتملأ فراغها؟

هذا ما انتهينا إليه في هذا الموضوع وهو ما يدفع طعن الطاعنين بعد بحث واستنباط واقتناع وليس مجرد دفاع عن نبي كريم ورسول عظيم نحبه ونفديه بالآباء والأمهات، ونسأل الله السداد والثبات.

أخي القارىء الكريم: لكي تتأكد أنت وحتى الدكتور الفاضل الشموط وأنا عن أن السيدة عائشة ولدت قبل البعثة فلنقرأ ما نقله الفيزيائي الباكستاني (شانافاس) عن ما قاله الشيخ الطبري في كتابه (تاريخ الأمم والمماليك ج 4 صفحة 50 دار الفكر بيروت) حيث يقول الطبري: إنه يجزم أن الأولاد الأربعة لأبي بكر الصديق ولدوا قبل الإسلام إذن تكون السيدة عائشة قد ولدت قبل الإسلام .

إذن أخي القارىء: هل هناك أدنى شك في استنباط الدكتور الشموط؟طبعاً الجواب هو: كلا .هذا وقد استفدت في هذا المضمار من موقع الداعية الدكتور محمود عكام ووضحت الموضوع، ووثقت ما جاء فيه كما علقت عليه بين حين وآخر وأدخلت في الموضوع حساباً بسيطاً ليتوضح الأمر للقارىء جيداً، وإن كان الفضل في كتابة هذا الموضوع يعود أولاً للدكتور الشموط.

أخي القارىء الكريم تعال معي لنتعلم كيف تم التاريخ الهجري في الإسلام[1] لنستنبط ما يكون قد حدث قبل ذلك:

لم يعرف العرب التاريخ الحسابي كما هو معروف اليوم. فقد كانوا يؤرخون أيامهم بالأحداث التي تتميز بها كبناء الكعبة، وانهيار سد مأرب باليمن، وموت كعب بن لؤي الجد السابع للنبي ﷺ، وحادثة الفيل، ويوم الحرب بين الأوس والخزرج يوم بعاث.

على أن المسلمين أرّخوا بالهجرة لما كان لها من أثر في انتشار الإسلام ولما لها من أثر في تغيير مجرى التاريخ العالم.

(1) التربية الإسلامية، العدد الثالث السنة الخامسة والعشرون بتصرف : الدكتور محمد صادق البنداق.

ويقول الحاكم في (الإكليل) عن الزهري: (إن النبي ﷺ هو الذي أمر بالتاريخ الهجري بعد نزوله بقباء).

وذكر عن أبي طاهر محسن الزيادي: (أن الرسول ﷺ أرَّخ بالهجرة حين وجه كتابه لنصارى نجران وأمر عليًا ﷺ أن يكتب فيه أنه كتب لخمس من الهجرة).

ويبدو من روايات المحدثين أن السبب في التفكير باعتماد تاريخ إسلامي هو (أن سيدنا عمر ﷺ أرسل خطاباً لأبي موسى الأشعري ﷺ عامله على البصرة، وذكر فيه شعبان. فكتب له أبو موسى يقول: أنه يأتينا من أمير المؤمنين كتب فلا ندري على أيها نعمل، وقد قرأنا كتاباً محله شعبان، فما ندري أهو الذي نحن فيه أم الماضي)؟.

وقيل أن عمر ووجوه الصحابة ﷺ تدارسوا موضوع التاريخ وأرادوا أن يجعلوا مبتدأه من البعثة النبوية ثم عدلوا وقالوا: بل من وفاة النبي ﷺ ثم عدلوا، وهنا قال علي ﷺ: بل منذ خرج النبي ﷺ من أرض الشرك، فاتفقوا على أن يكون المبدأ من سنة الهجرة. وانتهى الأمر بقرار عمر ﷺ : الهجرة، وأرَّخوا بها وبالمحرم لأنه منصرف الناس من حجهم.

وهكذا اتفقوا على اعتماد مبدأ للتاريخ الإسلامي الهجرة التي حصلت في 8 ربيع الأول الموافق 20 أيلول 622م وجعل مبتدأ السنة الهجرية أول المحرم ليتفق مع أول السنة القمرية.

ولا ريب أن الهجرة كانت نقطة تحول في التاريخ الإسلامي والإنساني وبداية ترسيخ العقيدة الإسلامية. إذن كيف يرى القارىء العزيز دقة حسابات التاريخ قبل الهجرة؟ هل يا ترى كانت دقيقة؟

إن تأييدي لما عرضه الدكتورالشموط من استنباطات جاء من باب أن في ذلك العصر أي قبل أكثر من ألف وأربعة مائة وثلاثين عاماً لم تكن هنالك شهادات الميلاد، لذا لا أشك أنه كان هناك أخطاء حصلت في تلك الفترة من أمور تخص التواريخ كتقدير العمر وغيرها، فاسمح لي عزيزي القارىء في عرض مثال على شهادات الميلاد في أربعينيات القرن الماضي في العراق لتقتنع بما ذكرته لك آنفاً، حيث كان هناك أخطاء في أكثر من أربعين بالمائة من شهادات الميلاد، فتبين أن دوائر تسجيل الشهادات كانت تؤرخ ميلاد أكثر العراقيين

في الأول من الشهر السابع، فلو كان الطفل مولوداً قبل ثلاث سنوات وعند مراجعة والده بعد ثلاث سنوات لدائرة تسجيل شهادات الميلاد ـ جهلاً بهذه الأمور ـ كان يسجل في تلك السنة ـ أي سنة المراجعة ـ وفي الأول من تموز ناهيك من شهر المراجعة و يومه . . .ولو راجع المرؤ في سنة ميلاده كان يسجل في تلك السنة ولكن في الأول من تموز حتى لو كان مولوداً في شباط تلك السنة. ومن باب الفكاهة أن مشرفي في الدكتوراه وهو من أصل ألماني كان يقول لي في الأول من تموز من كل عام: أن أربعين بالمائة من العراقيين سيحتفلون بعيد ميلادهم في هذا اليوم. حيث أني كنت قد قصصت عليه تلك القصة. فأخي أليس من حقي إذن أن أؤيد الأستاذ الشموط؟.

obeikandl.com

سبق (عباس محمود العقاد) الباحثين لتفنيد رواية السن لزواج السيدة عائشة

«إن أول من تصدى لتفنيد الشبهة[1] في عمر السيدة عائشة هو المفكر الموسوعي عباس محمود العقاد في كتابه الخاص بسيرة السيدة عائشة ﵂ «الصّدّيقة بنت الصديق، الطبعة الخامسة سنة 1963» ومن الغريب أن صحفياً مصرياً يدعى إسلام بحيري نشر مقالة في صحيفة (اليوم السابع) المصرية التي صدر في 5/ 7/ 2008 لتفنيد رواية السن المشهور لزواج السيدة عائشة دون أية إشارة للمصدر الذي أخذ منه [حيث المصدر الأصلي هو للفيزيائي الباكستاني (شانافاس)[2]] كما أن العقاد سبقه ـ أي سبق شانافاس ـ التطرق لهذا الموضوع ومن الواضح أن العقاد سبق جميع الباحثين بأكثر من نصف قرن في هذا المجال، إن عباس محمود العقاد كان له السبق العلمي في التصدي لمواجهة هذه الشبهة من شبهات المستشرقين».

وفي أول تعليق للعقاد على سن عائشة حين زواجها بالرسول ﷺ يقول العقاد: «ولا يعرف على التحقيق في أي سنة ولدت عائشة ﵂ ولكن أقرب الأقوال إلى الصدق وأحراها بالقبول أنها ولدت في الحادية عشرة أو الثانية عشرة قبل الهجرة، فتكون قد بلغت الرابعة عشر من العمر أو قاربتها يوم بنى بها الرسول ﷺ (ص: 39 الصّدّيقة بنت الصديق الطبعة الخامسة دار المعارف الطبعة الخامسة سنة 1963) وفي معرض ثنائه على أم المؤمنين عائشة واعتزازها بذاتها وافتخارها بحداثة سنها يقول العقاد: (وإذا عرضت مناسبة للسن فليس أحب إليها من أن تقول: وكنت جارية حديثة السن أو حدث ذلك لجهلي وصغر سني وربما راقها أن تختار من الروايات التي ذكروها لها عن سنها أقرب تلك الروايات إلى التصغير وأولاها أن

---

(1) مجيب الحميدي، موقع نيوز يمن الإخباري، بتصرف. ملاحظة : طبعة كتاب العقاد الذي اعتمد عليه (مجيب الحميدي) هي الثانية عشر، بينما الطبعة التي أنا إعتمدتُ عليها هي الخامسة، حيث يختلفان في أرقام الصفحات.

(2) نص للكاتب تُرجم للعربية بعنوان: هل كانت عائشة عروساً وهي في السادسة؟ يمكن مراجعته بالإنكليزية على الرابط: وأنا وضعت النص الإنجليزي في نهاية هذا المؤلّف.
http://www.ilaam.net/Articles/Ayesha.html .

تميزها عن زميلاتها بميزة الشباب) (نفس المصدر الآنف الذكر ص38).

ويفسر العقاد اختلاف أصحاب السير في تحديد تاريخ ولادة عائشة وتاريخ زواجها بقوله: (وتختلف الأقوال في سن السيدة عائشة يوم زفت إلى النبي ﷺ في السنة الثانية للهجرة، فيحسبها بعضهم تسعاً ويرفعها بعضهم فوق ذلك بضع سنوات.

وهو اختلاف لا غرابة فيه بين قوم لم يتعودوا تسجيل المواليد إذ قلما يسمع بإنسان ـ رجلاً كان و امرأة ـ في ذلك العصر إلا وكان له تاريخان و ثلاثة لميلاده أو زواجه و وفاته وقد يبلغ الاختلاف بين تاريخ وتاريخ في تراجم المشهورين فضلاً عن الخاملين عشر سنين) (الصّدّيقة بنت الصديق، الطبعة الخامسة، دار المعارف صفحة 59).

أخي القارىء العزيز: أما زلت تتذكر ما كتبته سالفاً حول تاريخ ميلاد العراقيين؟ فإنه تأييد لما كتبه العقاد.

ويؤكد العقاد تفسيره لما روته عائشة عن تاريخ زواجها بقوله: (أنها كانت تسمع تقديرات عمرها ممن حولها لأنها لم تقرأها بداهة في وثيقة مكتوبة. فكان يعجبها على سنة الأنوثة الخالدة أن تأخذ بأصغرها (الصديق الصّدّيقة بنت الصديق، صفحة 60)ويورد العقاد أقوال لعائشة تدل على تفاخرها بصغر سنها ويختم العقاد بالقول: (ذلك هو التقدير الراجح الذي ينفي ما يقوله المستشرقون على النبي بصدد زواجه بعائشة في سن الطفولة الباكرة، وكل تقدير غير ذلك فهو تقدير مرجوح) (نفس المصدر الآنف الذكر صفحة 60-61).

يؤكد العقاد أيضاً مستنداً إلى ما جاء في السير بروايات حسنة أنها ـ أي السيدة عائشة ـ كانت مخطوبة لجبير بن المطعم بن عدي الذي ظل مشركاً على دين قومه حتى السنة العاشرة للهجرة ويستبعد العقاد أن يكون أبو بكر قد وافق على خطبتها لرجل مشرك وهو مسلم إلا إذا كانت هذه الخطبة قبل إسلامه وهذا يعني أن عائشة ولدت قبل البعثة (الصّدّيقة بنت الصديق، الطبعة الخامسة، صفحة 60)وهذا يثبت أن عمرها ـ عندما بنى بها الرسول ﷺ ـ كان أكبر بكثير من تسع سنين.

وهناك إثباتات أخرى مُقْنِعَةٌ تماماً حول سن السيدة عائشة، وضّحها الفيزيائي الباكستاني (شانافاس) بأنها كانت أكبر بكثير من تسع سنين عندما دخل بها الرسول ﷺ ومنها:

حساب عمر السيدة (عائشة) بالنسبة لعمر أختها (أسماء بنت أبي بكر-ذات النطاقين):

تقول كل المصادر التاريخية إن (أسماء) كانت تكبر عائشة بـ 10 سنوات، ومن بين تلك المصادر: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام)[1]، حيث يروي هذا المصدر: [روى شعبة عن مسلم القرى، قال دخلنا على أم ابن زبير فإذا هي امرأة ضخمة عمياء، نسألها عن متعة الحج، فقالت: قد رخص رسول الله ﷺ فيها. قال ابن أبي الزناد: كانت أكبر من عائشة بعشر سنين. قلت: فعمرها على هذا إحدى وتسعون سنة، وأما هشام بن عروة فقال: عاشت مائة سنة، ولم يسقط لها سنٌّ]. يذكر الفيزيائي الباكستاني شانافاس (shanavas)، أن (أسماء) ولدت قبل الهجرة للمدينة بـ 27 عامًا[2]، وهذا يعني أن عمرها مع بدء البعثة النبوية عام (610م) كان (14) سنة، وذلك بإنقاص من عمرها قبل الهجرة (13) سنة وهي سنوات الدعوة النبوية في مكة، لأن (27-13= 14سنة)، بما أن السيدة أسماء تكبر السيدة عائشة أم المؤمنين بعشر سنوات، إذن يتأكد لنا أن سن عائشة كانت 4 سنوات مع بدء بعثة الرسول ﷺ في مكة، أي أنها ولدت قبل بدء الوحي بـ 4 سنوات كاملات، وذلك عام 606م، وهذا يعني أن الرسول ﷺ عندما نكحها في مكة في العام العاشر من بدء البعثة النبوية كان عمرها (14) سنة، لأن (4+10=14 سنة)، أو بمعنى آخر أن (عائشة) ولدت عام (606 م)، وتزوجت النبي عام (620 م)، أي عندما كان عمرها 14 سنة وأنه كما ذُكر بنى بها ـ دخل بها ـ بعد (3) سنوات وبضعة أشهر» أي في نهاية السنة الأولى من الهجرة وبداية الثانية، عام (624م)، فيصبح عمرها آنذاك (14+3+1= 18سنة كاملة)، وهي السن الحقيقية التي تزوج فيها النبي الكريم (عائشة). إذن هل من منكرٍ لهذه الحسابات الدقيقة؟ وهل هناك شيء أضبط من الحساب؟.

أخي القارىء: هناك إثباتات أخرى تبرهن على أن عمر السيدة عائشة كان في حدود(18) عاماً أرجو أن تتطلع عليها وهي للكاتب (شانافاس) باللغة الإنجليزية في نهاية مؤلَّفي هذا[3].

---

(1) تأليف الحافظ المؤرخ أبي عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن قايماز الذهبي المتوفى سنة 748 هجري.تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، المجلد الثاني. ص: (512- 513) 2005.

(2) البداية والنهاية مجلد 8، صفحة 371، دار الفكر العربي، 1993 وكذلك تقريب التهذيب لابن الحجر العسقلاني، ص: 654.

(3) يمكن للقارىء أن يجد الإثباتات الأخرى باللغة العربية لـ (مجيب حميدي في الموقع نيوز يمن) أو لـ (إسلام بحيري) في بعض مواقع الإنترنيت، لكن السيد(بحيري)لم يذكر عن مصادره التي اعتمد عليها بالتفصيل، بل اكتفى بالقول في مقدمة مقاله بالنص الحرفي: بالاستناد لأمهات كتب التاريخ والسيرة المؤصلة للبعثة النبوية (الكامل- تاريخ دمشق - سير أعلام النبلاء - تاريخ الطبري - البداية والنهاية - تاريخ بغداد - وفيات الأعيان، وغيرها الكثير)، وهذا أسلوب غير حميد، كان عليه ذكر المراجع الأصلية لمقالته التي هي مأخوذة من الفيزيائي الباكستاني (شانافاس).

دعني أخي القارىء الكريم أن أذكر لك نقد سند الحديث الذي ذكر فيه عُمْر السيدة عائشة ليتوضح الأمر لنا جميعًا ولأجل ذلك فقد ذكرت بدوري نصوص تلك الأحاديث كما يأتي:

رفيقي القارىء العزيز اعلم أن الحديث الذي ذكر فيه سن(عائشة)جاء من خمسة طرق كلها تعود إلى هشام بن عروة،و لو دققنا في الروايات الآتية نرى أن كلها تعود إلى (عروة) الذي تفرد بالحديث عن عائشة أم المؤمنين كما تفرد بروايته عنه ابنه (هشام) وفي (هشام) تكمن المشكلة (حيث قال فيه ابن حجر في (هدي الساري) و(التهذيب): (قال عبد الرحمن بن يوسف بن خراش:كان مالك لا يرضاه، بلغني أن مالكاً نقم عليه حديثه لأهل العراق، قدم . جاء . الكوفة ثلاث مرات ـ مرة ـ كان يقول: حدثني أبي، قال سمعت عائشة وقدم . جاء . الثانية فكان يقول: أخبرني أبي عن عائشة، وقدم الثالثة فكان يقول: أبي عن عائشة).

(والمعنى ببساطة أن (هشام بن عروة) كان صدوقاً في المدينة المنورة، ثم لما ذهب للعراق بدأ حفظه للحديث يسوء وبدأ (يدلس) أي ينسب الحديث لغير راويه، ثم بدأ يقول (عن) أبي، بدلاً من (سمعت أو حدثني)، وفي علم الحديث كلمة (سمعت) أو (حدثني) أقوى من قول الراوي (عن فلان)،حيث في حديث البخاري يقول فيه هشام عن (أبي وليس، سمعت أو حدثني)، وهو ما يؤيد الشك في سند الحديث، ثم النقطة الأهم وهي أن الإمام [(مالك) قال: إن حديث (هشام) بالعراق لا يقبل)][1].

فإذا طبقنا هذا على الحديث الذي أخرجه البخاري لوجدنا أنه محقق، فالحديث لم يروه راوٍ واحد من المدينة، بل كلهم عراقيون مما يقطع أن (هشام بن عروة) قد رواه بالعراق بعد أن ساء حفظه، ولا يعقل أن يمكث (هشام) بالمدينة عمرًا طويلاً ولا يذكر حديثاً مثل هذا ولو مرة واحدة، لهذا فإننا لا نجد أي ذكر لعُمْر السيدة (عائشة) عند زواجها بالنبي في كتاب (الموطأ) للإمام مالك وهو الذي رأى وسمع (هشام بن عروة) مباشرة بالمدينة، فكفى بهاتين العلتين للشك في سند الرواية السابقة [ومن المآخذ على هذا الدليل ورود بعض الروايات الصحيحة في غير صحيح البخاري من طرق ليس فيها هشام]. أما الروايات عن هشام وأبيه هي كالآتي:

---

(1) (تهذيب التهذيب لابن الحجر العسقلاني)، دار إحياء التراث الإسلامي ج 11، ص: 50. لقد إستمديت هذا التحقيق من قبل مسلم باكستاني يدعىT.O. Shanavas، وقد كتبه باللغة الإنجليزية.

صحيح البخاري - (ج 12 / ص 282)

حَدَّثَنِي فَرْوَةُ بْنُ أَبِي الْمَغْرَاءِ حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مُسْهِرٍ عَنْ هِشَامٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَائِشَةَ ﵂ قَالَتْ: تَزَوَّجَنِي النَّبِيُّ ﷺ وَأَنَا بِنْتُ سِتٍّ سِنِينَ، فَقَدِمْنَا الْمَدِينَةَ فَنَزَلْنَا فِي بَنِي الْحَارِثِ بْنِ خَزْرَجٍ فَوُعِكْتُ فَتَمَرَّقَ شَعَرِي فَوَفَى جُمَيْمَةً. فَأَتَتْنِي أُمِّي أُمُّ رُومَانَ وَإِنِّي لَفِي أُرْجُوحَةٍ وَمَعِي صَوَاحِبُ لِي فَصَرَخَتْ بِي فَأَتَيْتُهَا لاَ أَدْرِي مَا تُرِيدُ بِي، فَأَخَذَتْ بِيَدِي حَتَّى أَوْقَفَتْنِي عَلَى بَابِ الدَّارِ وَإِنِّي لأَنْهِجُ حَتَّى سَكَنَ بَعْضُ نَفَسِي، ثُمَّ أَخَذَتْ شَيْئًا مِنْ مَاءٍ فَمَسَحَتْ بِهِ وَجْهِي وَرَأْسِي ثُمَّ أَدْخَلَتْنِي الدَّارَ، فَإِذَا نِسْوَةٌ مِنَ الأَنْصَارِ فِي الْبَيْتِ فَقُلْنَ عَلَى الْخَيْرِ وَالْبَرَكَةِ وَعَلَى خَيْرِ طَائِرٍ فَأَسْلَمَتْنِي إِلَيْهِنَّ فَأَصْلَحْنَ مِنْ شَأْنِي فَلَمْ يَرُعْنِي إِلَّا رَسُولُ الله ﷺ ضُحًى فَأَسْلَمَتْنِي إِلَيْهِ وَأَنَا يَوْمَئِذٍ بِنْتُ تِسْعِ سِنِينَ. (3605) .

صحيح مُسلم - (ج 7 / ص 245)

وحَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى أَخْبَرَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ ح و حَدَّثَنَا ابْنُ نُمَيْرٍ وَاللَّفْظُ لَهُ حَدَّثَنَا عَبْدَةُ هُوَ ابْنُ سُلَيْمَانَ عَنْ هِشَامٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ:

تَزَوَّجَنِي النَّبِيُّ ﷺ وَأَنَا بِنْتُ ست سِنِينَ وَبَنَى بِي وَأَنَا بِنْتُ تِسْعِ سِنِينَ.

مصنف ابن أبي شيبة - (ج 8 / ص 48)

حدثنا عبدة بن سليمان عن هشام عن أبيه عن عائشة قالت : تزوجني رسول الله ﷺ وأنا بنت ست سنين وبنى بي وأنا بنتُ تسع سنين.(71)

السُنن الكبرى للنسائي - (ج 3 / ص 333)

أخبرنا محمد بن آدم عن عبدة عن هشام عن أبيه عن عائشة قالت: تزوجني رسول الله ﷺ وأنا بنت ست سنين ودخل علي وأنا بنت تسع سنين وكنت ألعب بالبنات.(5569)

العلل - (ج 3 / ص 243)

حدثني أبي قال حدثنا حسن بن موسى قال حدثنا حماد بن سلمة عن هشام بن عروة عن أبيه قال: قالت عائشة: تزوجني رسول الله ﷺ متوفى خديجة قبل مخرجه إلى المدينة

بستين أو ثلاث وأنا بنت سبع سنين أو ست سنين، فلما قدمنا المدينة جاءتنا نسوة وأنا ألعب في أرجوحة وأنا محجمة فذهبن بي فهيأنني وصنعنني، ثم أتين بي رسول الله ﷺ فبنى بي وأنا بنت تسع سنين. (5073).

لماذا لا يضحك الآخر على نفسه؟

خاصة عندما يتزوج رجالهم وأصحاب الملايين في هوليوود وفي سن ما بين (80-90) سنة نساءً في سن يناهز الـ(20) سنة.

ليس زواج نبينا ﷺ كزواج رجال هوليوود الذين عندما تصل أعمارهم حدود موتهم - كأن يكونوا رجالاً في الـ (90) من العمر على سبيل المثال وليس الحصر - يتزوجون نساءً تبلغ أعمارهن في حدود العشرين سنة أقل أو أكثر من ذلك أحياناً، وتتظاهر تلك النساء بأنهن وقعن في حب تلكم العجائز، والكل يعرف أن ذلك الزواج زواج مصلحة ونفاق و هو من أجل المال والميراث والدنيا والشهرة لا غير. . وأسرد للقارىء بعض من أسماء الزيجات في هوليوود والفرق بين أعمارهم[1]:

- **روبرت موردوك و ندي دنع، فارق عمرهما 36 عاماً.**
- **ودوي ألن و سون بي، فارِقُ عمرهما 34 عاماً.**
- **جون هاليداي و لوتيسيا، الفرق أكثر من ثلاثين عاماً.**

وغيرهم من الزيجات، وفي هذه الأيام تزوجت إحدى ملكات الجمال تدعى (نيكول سميث) تناهز عمرها (27) عاماً برجل يناهز عمره (91) عاماً وكان الفارق بين سنيهما يبلغ حوالي 64 عاماً، وقد مات الرجل بعد ثلاث سنوات من زواجهما وترك لها أموالاً تتجاوز مقدارها المليار دولار.

نعم صدق العرب عندما قالوا: (يرون الذباب في عيون الناس ولا يرون الجبال في عيونهم).

---

(1) مجلة زهرة الخليج 2003، العدد 1273.

لماذا لا تنتقد الغرب أصحاب هوليوود، في الوقت الذي لا مقارنة بين زواج هؤلاء وزواج نبينا ﷺ من أُمّنا عائشة فكان زواجاً هي سعيدة به، وقد خيِّرت فيه ولم يُجبرها أحد في ذلك ولم يكن زواج مصلحة.

أليس كل ما ذكرته سالفاً موجِبٌ لإقناع حتى أعداء ديننا والذين يقذفوننا بهذا الزواج، هذا ولم يكن زواج السيدة عائشة بالرسول ﷺ من أجل المال والثروات، فالرسول ﷺ لم يكن له مال وثروات كي تتزوجه ﷺ عائشة ﵂ من أجلهما . . .

ناهيك عما شرحته آنفاً، فالأبواق المعادية كانت ولا زالت تقذفنا بفارق العمر في زواج رسولنا ﷺ بعائشة، وإن كان لهم عقول في رؤوسهم لوافقوني على كل ما ذكرته، وإن كانت عقولهم في بطونهم فليقولوا ما يشاؤون، فالعاقل تكفيه الإشارة . . .

أما الغاية الأخرى لزواج سيِّدنا محمد من أُمنا عائشة فهي غاية سياسية القصد من ورائها، وهي: (لزيادة الروابط بين الرسول ﷺ وبين أبي بكر ﵁، وقد كان من زعماء العرب، ولتسهيل المصالح بينه وبين صاحبه، فقد كان أبو بكر يُكْثِرُ الدخول عليه لصالح الدعوة الإسلامية)[1].

وهنا أمر وغاية وجيهة، فالدنيا دار الأسباب، و يجب الأخذ بتلك الأسباب فإننا لسنا في الآخرة.

(1) تحفة العروس: محمد محمود الإستانبولي ص: 58، 2001 بتصرف.

زوجات النَّبي ﷺ والرد على الآخر

وهناك شيء مهم يقذفنا الغرب به يقال أن (محمَّدًا) كان رجلاً جنسياً وما شابه ذلك من الأحقاد الدفينة نحو سيدنا محمَّد ﷺ . . .

لو كان سيدنا محمَّد كما يقال، حينئذٍ كان من المفروض أن يتزوج أبكاراً لذلك، ولنذكر النساء اللاتي تزوجن الرسول ﷺ ونذكر أعمارهن وحالاتهن لنقنع القارىء على أن زعم الأعداء لا صحة له وكالآتي:

إنَّ تعرض شخصية رسول الله ﷺ لانتقادات كثيرة من المبشرين وكثير من المستشرقين تنم عن حقد دفين ورثوه عن آبائهم وأجدادهم. فقد اتهموه عليه الصلاة والسلام بأنه رجل مزواج، وأن تعدد زوجاته دليل على طغيان ميوله الجنسية، وقولهم: إنه لو كان نبياً حقاً لشغله أمر النبوة والرسالة عن النساء . . . إلخ. والغريب هنا أن أبواق الغرب لا تكف عن ديننا وتفتش هنا وهناك عن حجج واهية لكي يسيؤوا إلى ديننا الحنيف، وقد رحم الله المسلمين، حيث أنه جلّ وعَلا قد رَدَّ هذه الأبواق منذ زمن نبينا محمَّد ﷺ.

فالرد على ذلك حاضر لا نطيل فيه، والتُّهمة قديمة منذ عهد الرسول ﷺ نفسها فقد سبق إليها بعض اليهود في المدينة . . . ونزل القرآن الكريم بالرد عليهم في قوله عزَّ وجل: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَانتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا ۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾[1].

إذن فمحمَّد ﷺ كغيره من إخوانه الأنبياء والرسل الباقين الذين تعددت أزواجهم وكانت لهم ذرية أيضاً. ومعنى ذلك أن تعدد الزوجات بالنسبة للأنبياء أمر لا يخالف أو لا يتعارض مع واجبات النبوة وأهدافها، بل قد يعين على تحقيقها.

---

(1) سورة الروم، آية: 47.

ومن ناحية أخرى لم تكن زوجات الرسول عليه الصلاة والسلام من الأبكار الحِسان ما عدا واحدة منهن هي (عائشة) ﵂ ، وقد تزوج بالأخريات وهن أرامل وبعضهن ذوات أولاد ـ من أزواجهن السابقين ـ إكراماً لهن ولأزواجهن الذين سبقوا إلى الإيمان به، وهاجروا إلى الحبشة أولاً ثم إلى المدينة ثانياً . . وكان زواجه من عائشة وحفصة ﵄ توثيقاً وتقديراً للصداقة و المودة بينه عليه الصلاة والسلام وبين أبي بكر وعمر ﵄ ما صاحبيه الأثيرين . . اللذين حفظا الإسلام من بعده ونشراه في العالمين.

كما كان زواجه من (زينب) بنت جحش ابنة عمته ﷺ بأمر الله ليبطل بذلك عادة التبني التي كانت سارية وجارية في العرب، فتزوجها أولاً زيد بن حارثة وكان ابنًا للرسول بالتبني ثم طلقها، فأُمِر الرسول بالزواج منها لإقرار هذا التشريع الإسلامي. وهو أن الابن الحقيقي للإنسان هو ابنه من صلبه، وهوحامل نسبه و وارث نسبه .

ثم كانت هناك حكمة أخرى لتعدد زوجات الرسول . . وهي أن أمهات المؤمنين روين عنه عليه الصلاة والسلام العديد من الأحكام والآداب العامة المتعلقة بالأسرة، وخاصة بأحوال النساء المعروفة، لأنهن متصلات به وقريبات منه، وكانت النساء المسلمات يأتين إليهن ليكنّ واسطات إلى الرسول في طرح السؤال وتلقي الجواب وشرحه للسائلات عملياً. كما حدث للسائلة عن كيفية التطهر في أعقاب العادة الشهرية وحالة الولادة. كان في زمانه ﷺ حياءُ الإيمان، لذلك كان من الصعب للنساء توجيه بعض الأسئلة الخاصة مباشرة إلى الرسول.

إذن أخي القارىء إنك ترى بعد هذا العرض البسيط أَنَّ زواج الرسول فيه أسباب مقنعة جداً بل لتعدد زواجه أمر في غاية الأهمية .

يطرح البعض سؤالاً نصه:

لماذا لم يُطلق النَّبي ﷺ الزوجات الخمس الزائدات ؟

أولاً ـ عرفت مما سبق أن الجانب الإنساني والسياسي والتشريعي والتفقهي كانا يفرضان بقاء زوجات النبي ﷺ حتى لا يهدم النبي ما بناه .

ثانيًا ـ أي امرأة تطلق من زوجها لها الحق أن تتزوج من رجل آخر، أما زوجات النبي ﷺ فلو طلقت واحدة منهن فإنها لا تحل لرجل آخر، وذلك لأن نساء النبي ﷺ هن

أمهات المؤمنين قال تعالى: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ۗ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ إِلَّآ أَن تَفْعَلُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِكُم مَّعْرُوفًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا﴾ (1).

فكيف يتزوج مؤمن من أمهات المؤمنين، لذلك قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتَ ٱلنَّبِىِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَٰظِرِينَ إِنىٰهُ وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُوا۟ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُوا۟ وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْ ۖ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ۚ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا﴾ (2).

من أجل ذلك نزل تصريح خاص للنبي ﷺ أن يجمع نساءه ولا يفرقهن بالطلاق، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّٰتِىٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَٰتِ عَمِّكَ وَبَنَٰتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَٰتِ خَالِكَ وَبَنَٰتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِى هَاجَرْنَ مَعَكَ وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِىِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِىُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۗ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِىٓ أَزْوَٰجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ (3).

أي أُعطيت مهورهن، وهُنَّ نساؤه اللاّتي في عصمته، كعائشة وحفصة ﴿رضي الله عنهما﴾، وأُطلق على المهر أجرٌ لمقابلته الاستمتاعَ الدائم بالبُضع وغيره مما يَحِلُّ الانتفاعُ به من الزوجة، كما يقابل الأجر المنفعة.

هل ميَّزَ القرآن النَّبي بهذا الزواج ...؟

إذا كان القرآن قد حدد أربعُ زوجات فقط، فإنه إن طلق واحدة أو ماتت فله أن يتزوج غيرها (ولا حرج على المستطيع إذا كان عادلاً).

---

(1) سورة الأحزاب، الآية: 6.
(2) سورة الأحزاب، الآية: 53.
(3) سورة الأحزاب: 50.

أما النبي ﷺ فإن الله أعطاه تسع نساء ثم حرم عليه كل النساء غيرهن .

قال تعالى: ﴿لَا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعۡدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَكَ حُسۡنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ رَّقِيبٗا﴾[1].

فهل ميَّز النَّبي نفسه بشيء وحرّمه على أُمته؟

وهل تحمل عبء الأرامل العجائز يعتبر ميزة. ولوكان الرسول ﷺ ـ حاشاه ـ رجل دنيوياً، لكان استثنى نفسه وأحَلَّ لنفسه زوجات أُخريات جميلات باكرات...

وإلَّا فأروني ما هي عوامل الشهوة من امرأة فاقت على الستين عاماً إنها (زينت بنت خزيمة).

ما هو نصيب الجنس في امرأة ناهزت الخامسة والخمسين ربيعاً تلكم - سودة بنت زمعة القريشية ـ؟ بل ما هي لذة الرسول في امرأة تدلي بنفسها عند خطبته لها:

إني مسنة، وإني أم أيتام، وإني شديدة الغيرة. تلك (أم سلمة) ولا يفوتنا فكلهن منكوبات فهذه هجرت أصلها وفصيلتها... وتلك ترملت في دار غربة... والأخرى أم أربعة أيتام. فهل هذا زواج شهوة أم عبئًا تلقاه النبي ﷺ؟

هؤلاء زوجات الرسـول ﷺ

هذه لمحة سريعة عن بعض زوجاته ﷺ توضح أهدافه السامية.

1 - عائشة رضي الله عنها .

تزوجها النبي تكريمًا لوالدها أبي بكر ـ رجل الإسلام الأول ـ وأكتفي هنا التحدث عنها رضي الله عنها لأني ذكرتها كثيراً وبالتفصيل.

2 - حفصه بنت عمر رضي الله عنها .

مات زوجها (خنيس بن حذافة) في إحدى المعارك الإسلامية. عرضها أبوها على أبي بكر وعثمان رضي الله عنهما فاعتذرا له عن زواجها. علم النبي ﷺ بما أناب عمر رضي الله عنه عندما رفض أبو

(1) سورة الأحزاب، الآية: 52.

بكر وعثمان ﷺ هذا الزواج فقدم النبي ﷺ على زواجها تكريماً لعمر ﷺ.

وكان عمر ﷺ يقول لابنته: والله إن النبي لا يحبك يا حفصة لولا أنا لطلقك. فهل هذا زواج شهوة أم تقوية للرابطة بينه ﷺ وبين عمر ﷺ؟

3 - سودة بنت زمعة ﷺ.

أرملة عجوز عمرها (80) سنة وقع زوجها شهيداً في إحدى المعارك. قالت هي نفسها: والله ما بي من حاجة إلى الرجال . .تقصد أنها مسنة وليست بها حاجة إلى الرجال[1]، ولكني أحببت أن أبعث يوم القيامة مع زوجات النبي ﷺ.أليس هذا زواج تشريف؟ ثم لو عادت لأهلها عذبوها وأرغموها على ترك الإسلام، فهبَّ الرسول ﷺ لنجدتها وكفالتها وتزوجها. ولنسمعها ما قالت للمصطفى ﷺ: إني لا أريد وأنا في هذا العمر إلّا أن أبعث وأنا إحدى زوجاتك. وهل يكون اقترانه ﷺ بها دليلًا على ما ذهب إليه أعداء الدين من تعدد زوجاته ﷺ، بأنَّ زواجه ﷺ كان لأجل الشهوة أو حب النساء ؟!! أليس هذا الزواج مواساة لأرملة مسلمة حقاً فلم يجد لها عائل بعد موت رجلها؟هل كان لها جمال في هذا السن لكي يتزوجها ﷺ؟ هل كانت شابة لكي يتزوجها ﷺ؟

هل كان لها مال لكي يتزوجها ﷺ؟والكلُّ يعلم أنّ المال لم يكن له قيمة عند رسول الله ﷺ؟ وهل يطمع في مثل هذه المرأة المسنة أحد؟ أليس هي عبىء على أي رجل إذا أراد الزواج بمثلها؟ إذن من أرحم بهذه المرأة غير رسول الله ﷺ؟ واجب من أن يلزم نفسه بإعالة هذه المرأة العجوز. أيها القارىء هل الآخر المعادي للإسلام ملم بكل هذه الحذافيز؟ أم أن الآخر جاهل لم يعلم ولم يسمع ولا يتردد على لسانه إلّا أن يقول: النبي تزوج بـ (12) امرأة . . . هذا كل ما يعرفهُ الآخر مع الأسف، ونحن المسلمون مع الأسف نقول عن الآخر أنه تقدمي، علمي، ثقافي . . . . انظروا أيها القراء: مَن سِوى نبينا كان يواسي هذه الأرملة المحزنة؟ من سواه ﷺ يجبر خاطر المكسور؟.

4 - أم سلمة ﷺ.

أيضاً أرملة عجوز ذات أربعة أولاد. كانت مع السابقين إلى الإسلام وهاجرت إلى الحبشة فراراً بدينها، ولكن تحملت من الإيذاء لا ينساه التاريخ. فلما خطبها النبي ﷺ علمت

(1) الطبقات الكبرى – الجزء الثامن – ص: 57 وما بعدها. وقارن أُسد الغابة في معرفة الصحابة – ابن الأثير – الجزء السابع.

أنها عبء ثقيل فاعتذرت، ولكن النبي ﷺ واساها وضمها إلى السيدة سودة بنت زمعة ﵂ في بيته الشريف. أليس هذا الزواج أكثر عبئاً من زواجه ﷺ بـ (سودة بنت زمعة) فهل من المعقول أنه ﷺ تزوجها لأجل شهوة، لو كان ﷺ يريد الزواج من الباكرات لكان وقتئذ تُهدى له ﷺ عشرات النساء، وأخيراً جاءت هذه الزيجة تكريماً للزوج أبي سلمة نفسه بعد استشهاده، وبرعاية أرملته وأطفاله الأربعة، وصلة لرحمه، فهو ابن عمة الرسول ﷺ. . .إنه ليحيرني الآخر عندما يكتب لغواً عن النبي ﷺ ـ من أتباع الشهوة ـ، وأود أن أسأل: هل الزواج بامرأة في سن تجاوز الخمسين وذات أطفالٍ هو زواج شهوة؟

5 - زينب بنت خزيمة ﵂ .

كانت قد تزوجت من (الطفيل بن الحارث بن عبدالمطلب) ثم تزوجت من أخيه (عبيدة بن الحارث) الذي قتل شهيداً في بدر حين خرج للمبارزة . . .

كانت هذه السيدة الجليلة تدعى بأم المساكين لحبها لهم وعطفها عليهم، وحين استشهد زوجها كانت قد تجاوزت سن الشباب، ولم تكن بذات جمال، وقد تزوجها الرسول الكريم عطفاً عليها ومواساة لها، وجبراً لمصابها، وحفظاً لدينها ورعاية لأبنائها، وتعويضاً عن زوجها الذي استشهد في الجهاد وهو يدافع عن حرمات الله . . . وقد تزوجها الرسول الكريم ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ بعد أن بلغت من العمر 60 سنة، وتزوجها سنة ثلاث من الهجرة. ولم يطل بها المقام في بيت رسول الله ﷺ وقد أدركتها المنية التي لا مفر منها فتوفيت ﵂ بعد زواجها من رسول الله بفترة وجيزة !.

وهل الزواج من سيدة بالغة من العمر 60 عاماً هو لأجل الشهوة؟.

6 - جويرية بنت الحارث ﵂

أبوها سيد بني المصطلق . . دفعه غروره أن يعلن الحرب على الإسلام ولكن سرعان ما خاب أمله، وانهزم جيشه وفر رجاله، وأسر نساؤه، ووقعت السيدة جويرية ﵂ أسيرة عند زيد بن قيس. وأصاب بنت العز من الذل ما أصابها، فذهبت إلى بيت النبي ﷺ تستجدي عطفه وتسترحم قلبه:

يا رسول الله: أنا بنت الحارث بن أبي ضرار سيد قومه. وقد أصابني من البلاء ما تعلم وأنا أستعين بك لتخلصني من الأسر، فإن مثلي لا تصلح أَمة تعامل معاملة العبيد. وهنا رأى النبي ﷺ أن يعبر عن إنسانيته الكريمة مع بنت زعيم أعدائه، فأعتقها. ثم رفع عنها ذل

الوحدة فعرض عليها وسام الشرف الأعظم بأن تصبح من زوجاته أمهات المؤمنين، وهذه تعتبر لها رحمة من عند رسول الله، وقد أتاح لها الفرصة لأن تعلن إسلامها وبهذا تصبح واحدة من أمهات المؤمنين.

أي شرف هذا وأي فضل؟ لقد سارعت إلى التلبية. فكان لهذا الزواج أثر مبارك على كل بني المصطلق الذين وقعوا في الأسر. فقد أعتق الرسول ﷺ بعد زواجه بها أهل مائة بيت من بني المصطلق (التي هم منهم)، وإن تيار من الوفاء من المسلمين لرسولهم ﷺ تجسد في إطلاق المسلمين لكل من بأيديهم من أسرى بني المصطلق وهم يقولون: أصهار رسول الله، فلا نبقيهم أسرى. . . سبحان الله من هذا الأدب الرفيع .

7 - صفية بنت حيي بن أخطب ﵂ ، سفيرة من مملكة اليهود.

زالت دولة اليهود نتيجة عذرهم وخيانتهم للنبي ﷺ وللإسلام، وبقيت مجموعة من النساء والأطفال، رأى النبي أن يؤلف قلوبهم فلعل الله يخرج منهن من يعتنق الإسلام.

وصفية كان زوجها ملك اليهود ـ كنانة بن الربيع ـ وينتهي نسبها إلى سيدنا هارون ﵇ فحياة الرق لا تصلح لزوجات الملوك، فكرم النبي أخاه هارون ومسح الرق والوحشة عن صفية وتزوجها بعد أن أسلمت .

أما قصتُها بشيء من التفصيل: فقد و قعت في الأسر بعد فتح خيبر، وكان أبوها وأخوها وزوجها قد قتلوا في المعركة . . ورفقًا ورحمة بها، خيّرها الرسول ﷺ بين إطلاق سراحها وإلحاقها بقومها إن أرادت البقاء على يهوديتها، وبين الزواج منه إن أسلمت فقالت له: (يا رسُول الله لقد هويت الإسلام وصدقت بك قبل أن تدعوني . . وخيرتني بين الكفر والإسلام، فالله ورسُوله أحب إليّ من العتق ومن الرجوع إلى قومي) . . . فتزوجها الرسول ﷺ، وجعل تحريرها من الأسر هو مهرها[1].

ومن الواضح أنه كان من الضروري ألا يتزوج ابنة ملك اليهود سوى من يفوق أباها منزلة ومكانة، وهو سيد ولد آدم ﷺ. . وليس معقولاً ولا مقبولاً أن تترك هذه المسكينة بعد ما كانت فيه من عز ورفاهية ورفعة لمن قد يسيء معاملتها، أو يضرب وجهها . .

ويؤيد هذه الرؤية رواية دحية الكلبي ﵁ فقد قال للنبي ﷺ: أعطني جارية من سبي

(1) طبقات ابن سعد - الجزء الثامن - ص: 138 - 148 .

يهود، فقال ﷺ له: «**اذهب فخذ جارية**»، فذهب دحية فأخذ صفية .. فرآها الصحابة فقالوا: (يا رسول الله، إنها سيدة بني قريظة وبني النضير، ما تصلح إلا لك)[1] فتزوجها ﷺ لذلك السبب.

وهناك حديث نبوي يقول: «**أكرموا عزيز قومٍ ذلّ**» فهل هناك من يكرم صفية أحسن من رسول الله ﷺ؟

8 - زينت بنت جحش رضي الله عنها

أعتق النبي ﷺ زيد بن حارثة رضي الله عنه ثم تبناه وسماه زيداً بن محمد لإيثار زيد العيشة مع النبي عبداً على أن يعيش مع أهله و والده حراً .

ثم عزم النبي ﷺ على تزويج زيد، فاختار له السيدة زينب بنت جحش رضي الله عنها ـ بنت عمة النبي ـ أميمة بنت عبدالمطلب بن هاشم وكانت من أعرق وأشرف بيوت قريش وأرفعها نسبَ وأمّاً . . . وكانت فيما يروون فائقة الجمال . .

وكان النَّبي ﷺ يهدف من وراء هذا الاختيار إلى تحطيم الأغلال التي وضعتها الجاهلية على العبيد فلا يتزوجون حرة ولا يسعدون بعيش.

وهذه التجربة سوف تنقل تعاليم الإسلام من المثل إلى الواقع. ولكن مع نبل التجربة إلا إنها صعبة على نفسية زينب - أول شريفة يتزوجها عبد ـ وإن أعتق ـ فامتنعت . . وامتنع أخوها. ولكن السماء قالت كلمتها في هذا الموضوع فلا اختيار مع الله قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب:36] وأطاعت زينب أمر السماء وسلمت جسدها لزيد أما قلبها فلا سلطان لها عليه. إنك تستطيع أن ترغم فرسك على الذهاب للحوض ولكنك لاتستطيع أن ترغمها على الشرب.

وكان لابد لهذا الزواج أن ينجب المشاكل. . . ويذهب زيد إلى النبي يشتكي، ويطيب النبي خاطره ويتألم نفسياً لأنه كان يتمنى نجاح التجربة. ولكن الوحي أخبر النبي أن زينب ستصبح زوجة له بعد أن يطلقها زيد. وفزع النبي من هذا الخبر، لأنه سوف يفتح عليه أفواه المنافقين.

---

(1) نقلاً من الموقع .www.islamway.com.

ويسلط عليها ألْسِنة الذين استقر قلوبهم قانون البيئة التي يحرم على الرجل أن يتزوج امرأة ابنه من التبني. فليخسىء كل من يتحدث ويتجرؤ على كلام الله، فالرسول كان قد فزع عندما نزلت الآية. فلوكان ﷺ شهوانياً لفرح بذلك،ولكن أمر الله مطاع...

وكتم الرسول الخبر راجياً أن يعفيه الله من هذا الزواج. وفي لحظات الخشية من ألْسِنَة الناس والرجاء في عفو الله جاء زيد يخبر النبي بعزمه على طلاق زينب فقال له النبي ﷺ: «**أمسك عليك زوجك - واتق الله**»، وهنا نزلت الآيات: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ﴾ (بنعمة الإسلام) ﴿وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ﴾ (بنعمة العتق) ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾ (فلا تطلقها) ﴿وَٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾ (لأن الطلاق أبغض الحلال) ﴿وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ﴾ (وهو أن زينب ستصبح زوجاً لك بعد طلاقها من زيد كما أخبرك الوحي) ﴿وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ﴾ (أي وتخشى حديث الناس بأنك تزوجت مطلقة ابنك من التبني) ﴿وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ﴾ (والله أحق أن تخشاه وحده ولا تخشى معه أحداً).

(لو دققنا هنا وبالذات في مجمل قصة زواج زينب بنت جحش لرأينا فيها حكماً بالغة، فعلى الرغم من أن الرسول ﷺ أعتقَ زيداً وتبناه، ثم أبطل الإسلام التبني فاسترد زيد اسمه الأول (وحريته من قبل)، فإن آل جحش رفضوا أن يزوجوه ابنتهم وهي من فتيات قريش المعدودات اللاتي يتنافس خيرة شباب العرب للفوز بهن ... ولكن الله تعالى شاء أن يمضي هذا الزواج لحكمة كبرى، بل لعدة مقاصد: أولها أن يهدم التفاخر بالأنساب، ويثبت القاعدة الخالدة الراشدة: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [1] [الحجرات: 13] وليس أغناكم وأعرقكم نسباً أو أفضلكم حَسَباً. لهذا نزلت الآية السالفة الذكر.

إذن هل أصبح الآخر على يقين وزودناه علماً، أن في هذا الزواج تطبيق عملي يشمل عدة جوانب مهمة في التشريع الإسلامي؟ ... هل للشهوة دور هنا؟.

وفي هذا المجال هناك روايات كاذبة حاقدة على الرسول ﷺ وهي: أنه ﷺ أخفى؟ في نفسه هوى زينب.

أولاً: أود أن أقول من المعروف أن زينب كانت بنت عمة الرسول ﷺ، وربيت تحت رعايته، ولو كان ﷺ له فيها مأرب لتزوجها منذ البداية، لم يكن يزوجها بنفسه (زيد) من

(1) .www.islamway.com.

قبل، وخاصةً أنه ﷺ رآها قبل فرض الحجاب، وكان النساء في المجتمع الجاهلي غير محجبات، فمن كان يمنعه من أن يتزوجها في البداية لو كان ﷺ راغباً فيها ؟! ولكن لم يفعل ذلك ﷺ، وأقوى ما قيل لتنفيذ مزاعم المنافقين حول هذه الآية الكريمة هو ما قاله الأستاذ الفاضل الشيخ (محمد الغزالي) ـ رحمه الله ـ حيث قال: إنهم يقولون إن الذي يخفيه النبي في نفسه ويخشى فيه الناس دون الله هو ميله إلى زينب. أي أن الله ـ بزعمهم ـ يعتب عليه عدم التصريح بهذا الميل...!! ونقول: هل الأصل الأخلاقي أن الرجل إذا أحب امرأة أن يشهر بها بين الناس؟ وخاصة إذا كان ذا عاطفة منحرفة جعلته يحب امرأة رجل آخر ؟!! هل يلوم الله رجلاً لأنه أَحبَّ امرأة آخر فكتم هذا الحب في نفسه ؟!! وهل كان يرفع درجته لو أنه صاغ فيها قصائد غزل ؟!! هذا والله هو السفه ! وهذا السفه هو ما يريد بعض المغفلين أن يفسر به القرآن !!

إن الله لا يعاتب أحداً على كتمان حب طائش ... والذي أخفاه النبي ﷺ في نفسه كان أذىً من هذا الزواج المفروض، وتراخيه في تنفيذ أمر الله به، وخوفه من كلام الناس عندما يجدون نظام التبني ـ كما ألغوه ـ قد انهار.

وما قصة زينب بنت جحش من زواجها وتطليقها وزواجها من سيدنا محمَّد إلَّا أمر إلٰهي قدَرِيٌّ شاءته إرادة من لا يغفل ولا ينام لإعلان حكم وتشريع جديدين في موضوع إبطال (التبني) وهي عادة كانت متفشية في المجتمع حينذاك .

﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا﴾ [الأحزاب:37]، أي: طلقها وانتهت عدتها. ﴿زَوَّجْنَٰكَهَا﴾ فالتزويج من الله. وليس للنبي دخل فيه. سامح الله المفسرين الذين جمعوا الإسرائيليات وأخطأوا فهم القرآن. ولكي لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطراً، هذه حكمة الزواج، بينها القرآن الكريم. وهي أن يزول ما بقي في أذهان الناس من أمر الجاهلية في موضوع التبني.

ومن قبل قد صحح القرآن نسب المتبني فقال :﴿ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [الأحزاب:5] فلم يبق بعد ذلك في موضوع التبني إلّا أخوة الإسلام .

وهي الرباط الاجتماعي المقدس،﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا﴾ [الأحزاب:37][1].

(1) المصدر الذي استفدت منه في هذا الموضوع: تعدد الزوجات، رعد كامل مصطفى الحيالي، 1990 بتصرف.

مايقوله أبله البلهاء

في حق سيدنا محمَّد ﷺ - حاشاه -

أنه كان لديه مرض (Pedophilia)

أي: توجُه الشهوة إلى الصغيرات.

لقد درجت هذا الموضوع هنا بعد أن اطَّلع القارىء الكريم على الزوجات اللاتي تزوجهن الرسول ﷺ، وبالذات لكي يَطَّلِعَ الفرد على أعمارهن، حتى يعلم اللاغون أن النبي ﷺ لو كان مصاباً بهذا المرض كان عليه ﷺ منذ شبابه أن يكون ـ حاشاه ـ كذلك ـ أي شهوة نحو الصغيرات ـ، أستغرب من الأحقاد التي يدفنها الآخر، وأشك أن ذلك يتأتى من جهلهم بأمور الدين وحتى لا يعلم كثير منهم أسباب بعثة الأنبياء و الرسل الذين بعثوا من عند رب العالمين.

وقد كتبت عن هذا الموضوع بالذات لأني قرأت موضوعات عن السيدة عائشة ﵂ في كتاب (عائشة أمُّ المؤمنين) للشيخ الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي ـ جزاه الله خيراً وهو من بني أمتي وقومي - يروي أنه تلَقّى أثناء إشرافه على طبع كتابه الآنف الذكر رسالة من صديق في الولايات المتحدة الأمريكية، تتضمن نقاشاً واجهه به، عبر شبكة الإنترنيت، من عرَّف نفسه باسم (مايك)، ويدور نقاش (مايك) هذا الرجل الحاقد حول ما يسمّيه: استنكار الفطرة السَّليمة لزواج رسول الله ﷺ من طفلة لا تتجاوز عمرها التاسعة.

ويتلخَّص نقاش مايك في أنَّ زواج رسول الله ﷺ من طفلة لا تزال تلعب بالدّمى، لا يتَّفق مع الفطرة الإنسانيّة السّليمة، وربّما يستند مايك إلى أخبار كاذبة اختلقها بعض المتقوّلين على التّاريخ الإسلامي وسيرة رسول الله ﷺ من ذلك قول أحدهم: إنّ محمَّداً بدأ يحلم بالاقتران بعائشة منذ أن كان عمرها بين الرابعة والخامسة، ويلصق هذا الافتراء بصحيح البخاري!!...

ويرى (مايك) أنّ الرّغبة التي قادت رسول الله ﷺ إلى الزّواج من عائشة، وهي في تلك السنّ، ربّما كانت من آثار مرض جنسي يتمثل في توجّه الشّهوة إلى الصّغيرات Pedophilia.

ويسأل (مايك) هذا الصّديق، عبر الإنترنيت: هل أنت موافق على أن يمارس الجنس رجل في الثالثة والخمسين مع فتاة في التاسعة؟ . .إذا كنت لا توافق، فأنت منافق، لأنّ دينك يسمح به، أما إن كنت موافقاً فإنّ كلّ ما يمكنني أن أقوله، هو أنّ عندي كثيراً من الناس الذين يرغبون في إقامة صلة معكم، ومع دينكم، للزواج من فتياتكم اللائي لم يتجاوزن التاسعة. وإليك أيها القارىء الجواب الذي وجهته إلى (مايك) هذا، من خلال الصديق الذي أطلعني على كلامه واعتراضه هذا:

أولاً ـ لم نقرأ في صحيح البخاري ولا غيره، أن رسول الله ﷺ كان يحلم بالاقتران بعائشة منذ أن كان عمرها بين الرابعة والخامسة، أي قبل وفاة خديجة، ولا شك أنه مجرد تقوّل وقح على البخاري، وتشويه مفتعل لمكانة رسول الله ﷺ وأخلاقه الإنسانية السّامية، فإن لم يكن كذلك، فهو تلاعب بما رواه الشّيخان البخاري ومسلم في صحيحهما عن عائشة أنّ رسول الله ﷺ قال لها: «**أُريتُكِ في المنام ثلاث ليال، جاءني بك المَلك في سَرَقةٍ من حرير، فيقول: هذه امرأتك، فأكشف عن وجهك فإذا أنت هي، فأقول: إن كان هذا من عند الله يُمضِهِ**».

ولا أستبعد أن يكون ذلك التقوّل البارد الّذي لا أصل له، ترجمة مغلوطة متعمدة لهذا الحديث الذي لا يفقهه إلّا من عرف معنى الوحي والنبوة، وعلم أنّ محمّداً ﷺ رسول الله إلى الناس جميعاً، وأنه مؤيد بوحي من الله عزّوجلّ .

ثانياً ـ إنّ محمّداً لم يصطف لنفسه من بين الفتيات هذه الفتاة الصّغيرة عائشة، ولم يتعلّق بها على الرغم من صغرها، ومن ثمّ فإنّه لم يذهب إلى أبويها ليلح عليهما أن يزوّجاه منها . . ولم يقل ذلك أحد ممّن عُني بالتاريخ والسّيرة.

وإنما الّذي حصل هو ما قد رواه البخاري وغيره، من أنّ خولة بنت حكيم جاءت إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله، ألا تتزوّج؟ قال: «**ومن؟**» قالت: إن شئت بكراً وإن شئت ثيباً، قال: «**مَنِ البِكر ومن الثيب؟**» قالت: أما البِكر فعائشة بنتُ أحبّ خلق الله إليك، وأما الثيب فسودة بنت زمعة وقد آمنت بك واتبعتك، قال ﷺ: «**فاذهبي واذكريهما عليَّ**» . . إلى آخر الحديث.

إذن، فقد كان رسول الله ﷺ خالي الذّهن من البحث عن فتاة بعينها، وإنّما التي نبّهته إلى عائشة واقترحتها له، إنّما هي خولة، كل ما في الأمر أنّها اقْتُرِحَتْ له، وأنّه وافق مبدئياً.

فأين هذا من تصوّر أنّ رسول الله ﷺ كان يعاني من مرض الرّغبة في الأطفال ؟!..

ثمّ إنّ في اقتناع خولة بعائشة، زوجةً لرسول الله ﷺ، وفي اقتراحها ذلك عليه، وفي موافقة والديّ عائشة بدون تردّد[1] ما يدلّ على أنّ هذا المشروع لم يكن فيه ما يقتضي الاستنكار من أيّ من المجتمع المكي عامّة أو المجتمع الإسلامي فيه خاصّة.

وإنّا لنعلم أنّه لو كان في هذا المشروع المقتَرَح ما يتعارض مع الفطرة الإنسانيّة السّليمة التي يحتجّ بها السيّد (مايك) لوجد من أعلن معارضته له مدافعاً عن هذه الفطرة الإنسانيّة المزعومة، لا سيما وجلّ أهل مكّة آنذاك خصوم ألدّاء لصاحب هذا المشروع.

ثالثًا ـ فإن قال السيّد (مايك): ولكن لا حجّة في رضا المجتمع المكّي بهذا النّوع من الزّواج، ما دامت الفطرة الإنسانية لا تقر (أن يمارس الجنسَ رجل في الثالثة والخمسين مع فتاة في التّاسعة)، فإنّ الجواب الذي ينبغي أن يغيب عن بال السيّد (مايك)، وكل من يتمتّع بزاد من الثّقافة، هو أنّ ميقات النّضج الجنسي في الفتيات يختلف باختلاف البيئة والمناخ، فالبلاد الحارة كالجزيرة العربية وكثير من البلاد الأفريقية، تبلغ فيها الفتاة مرحلة الطّمث، ومن ثمّ مرحلة الأنوثة الناضجة في سن مبكرة، إنّه لشيءٌ مألوف في مصر مثلاً أن ترى الفتاة الطّمث وهي في العاشرة، وربما رأته في كثير من مناطق نجد والسّودان ونيجيريا قبل ذلك، وهذا على النّقيض من البلاد الباردة التي تنطبق على آسيا الوسطى، وكثير من مناطق أوروبا، فرّبما تجاوزت الفتاة الرّابع عشرة دون أن ترى الطّمث.

وهذا هو الّذي يفسّر تعامل المجتمع المكّي مع مشروع زواج رسول الله ﷺ من عائشة، وبإيجابيّة تامّة غير متكلّفة، إنه ليس رضاً بوضع شاذ، ولكنه انسجام طبيعي مع واقع المناخ والبيئة، ولكن لا يبعد أن يقول السيد مايك: فهب أنّ الأمر كذلك، ولكن أليس من

---

(1) إنّ قول أبي بكر لخولة عندما جاءت تخطب عائشة لرسول الله ﷺ: وهل تصلح له وهي بنت أخيه، ليس استنكاراً للمشروع من حيث هو، وإنما ظنّ أنّ الأخوة الإيمانية التي كانت معقودة بينه وبين رسول الله ﷺ تجعل عائشة محرّمة عليه لأنه عمّها. بدليل قول رسول الله ﷺ له: «**إنّما أنت أخي في الإسلام**».

الظّلم أن يقترن رجل أذبلت السّنوات الطّويلة زهرة حياته، و وصل أو كاد أن يصل من ارتشاف نعيمها إلى الثّمالة، بفتاة تقبل على الحياة من جديد، وأن يعمد فيحنيها وهي برعم لم يتفتح..

الجواب الّذي لايغيب أيضاً عن فكر أيّ باحث موضوعي، هو أنّ الفارق ما بين الظّلم وغيره لا يتجلّى في شعوري وشعور أمثال (مايك) تجاه هذا الأمر الّذي لسنا نحن أبطاله، ولسنا مصدر الغرم أو الغنم الّذي فيه، وإنما يتجلّى هذا الفارق في شعور صاحبة العلاقة وأهلها المعنيين بالأمر..

إن الحبّ والكراهية هما اللذان يفصلان في هذه القضيّة، لا افتراضات الفضوليين وتصوّراتهم، ولو أتيح للسّيد(مايك)أن يطلع على مشاعر عائشة تجاه زواجها من محمّد ﷺ لأيقن أنها كانت تعيش حياة أسعد زوجة في العالم، ولقد صرحت هي بذلك أكثر من مرّة، فما قيمة مشاعر الآخرين عندما تكون غريبة عن مشاعر صاحبة العلاقة؟.

لقد تنازل إدوارد الثّامن عن عرش بريطانيا، بكلّ امتيازاته وذيوله، في سبيل حبّه لتلك التي كانت تتمتّع، كما قالوا: بنصف جمال، والتي طلقت قبله مرّتين، فهل يملك (مايك) أن يتغلب بحجّة المنطق التي يغار بها على سعادة (إدوارد) ومصلحته، على حجّة الحبّ الّذي هيمن على قلبه.

وإدوارد الثّامن إنّما عشق امرأة من حيث هي جسد وروح، أمّا الذين عشقوا محمّداً فإنّما عشقوا في شخصه مولاهم الأكبر الّذي هو الله ﷻ، فكيف يفترض أحدنا أن يمتلك من غيرته الوهميّة على مصلحة عائشة حجّة نستطيع أن نتغلب بها على حجّة قلبها اللاهف بالحب لرسول الله ﷺ الّذي بعث رحمةً للعالمين ؟!..

رابعاً ـ إن قياس السيد (مايك) والنّاس الّذين من حوله ومن شيعته، على رسول الله ﷺ في استحقاقهم الزّواج من فتيات صغيرات مسلمات، في مجتمعاتنا الإسلاميّة، قياس مع فارق كبير.

وبتعبير آخر:

انّ تقدّم شخص في مثل مكانة محمّد رسول الله عليه الصلاة والسلام الى العالم كافّة، الى خطبة فتاة مسلمة في مثل سنّ عائشة،

سيكون مصدر شرف وسعادة لها ولأسرتها بدون ريب.

ولن يكون لذلك إلّا شرط واحد هو يقين هذه الأسرة بالمكانة ذاتها التي يتمتّع بها هذا الرجل الخاطب.

ونظراً إلى أنه لن يوجد في العالم اليوم رجل يتبوّء المكانة التي كان يتمتّع بها محمّد خاتم الرُّسل والأنبياء إلى النّاس، فإنَّ هذا الشَّرط لا ينطبق إلّا عليه وحده من دون النّاس كلّهم إلى قيام السّاعة[1].

جزى الله الأستاذ البوطي خيراً فإنه عَلَمٌ رائد في أمور الدين، لكن كل ما تفضل به الأستاذ الفاضل الدكتور محمد رمضان سعيد البوطي لا يقنع ولا يشفي غليل (مايك)، إنما الذي يشفيه إن كان صادقاً في سؤاله، هو إقناعه علمياً، لأن (مايك)قد ذكر له آثار مرض جنسي يسمى بيدوفيليا (Pedophilia)، وأنا بصفتي مختصاً في مجال علم الهورمونات، فخير الأجوبة للسيد (مايك) هو: أن يعلم أن علماءهم الذين اكتشفوا هذا المرض و شخّصوه وبيَّنوا كيفية التعامل مع من لديهم هذا المرض، قد حددوا أن هذا المرض لا يظهر بعد (17 ـ 19)سنة من العمر، ولكي يقتنع (مايك) أكثر، فإني أذكر له ما كتبه علمائهم في هذا المجال وسأوافيه المصدر وموقع هذه المعلومة في المراجع وبالتحديد في شبكة الإنترنيت، وأود أن انقل لـ(مايك) ما ذكرته آنفاً باللغة الإنكليزية ليرتاح ويطمئن القرّاء أن ما قاله (مايك) لا يمكن أن ينطبق على نبينا محمّد ﷺ نهائياً وكالآتي

The diagnoses of pedophilia can not be assigned to an individual in late adolescence (age 17 to 19) who is involved in an ongoing sexual relationship with a 12 or ـ 13 year old person.[2]

أمّا نص الترجمة باللغة العربية هو: تشخيص مرض (بيدوفيليا) لا يمكن إقرانه بالمراحل المتأخرة لفترة المراهقة (بين17 ـ 19سنة) والذي يتورط في أعمال جنسية مستمرة مع أطفال تتراوح أعمارهم بين 12 ـ 13عام).

وهذا يعني أن مظاهر هذا المرض لا يمكن ظهورها حتى في تلك المرحلة المذكورة آنفاً أي (بين 17-19 سنة)، ويفيد هذا الكلام: أنه إذا كان الفرد مصاباً بذلك المرض فأقصى

(1) عائشة أُمُّ المؤمنين للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي 2005، ص: 20 - 26.
(2) www.minddisorders.com/ob-ps/pedophilia.html.

حد لإمكانية ظهوره هو قبل هذه الفترة من العمر أي قبل (17 ـ 12) سنة، وإلّا فلا يمكن ظهوره فيما بعد، وهذه المعلومة ثابتة علمياً.

وليعلم (مايك) أنَّ رسولنا ﷺ لم يتزوج إلا بعد أن بلغ الخامسة والعشرين من العمر، ثم إنه من الثابت من سيرته الشخصية ﷺ بالتعفف عن الفاحشة والتصريف الشائن الحرام للشهوة، (في الوقت الذي كان المجتمع الجاهلي ممثلاً بشرائح من الزانيات اللاتي كنَّ يملكن بيوتاً يستقبلن الزناة، وحتى إنهن كُنَّ يضعن عليها (رايات) ليعرفها شباب ورجال المتع المحرمة، وبالرغم من تلك الأجواء، ومع توفر أسباب الانحرافات الشائنة والسقوط في الفواحش في مجتمع مكة لم يُعرَف عن الرسول ﷺ إلّا التعفف بين جميع قرنائه، ذلك لأن عين السماء كانت تحرسه وتَصرِفُ عنه كيد الشيطان.

وبعد كل ما تقدم فليقرأ (مايك) ومن معه، ومن يجول في خاطره ـ من قرنائه ـ ما أثبت علماؤهم حول مرض الـ(بيدوفيليا)، ليتأكدوا أن ما قيل حول رسولنا هو زورٌ وبهتانٌ بنبينا المعصوم ﷺ، وليشفى غليلهم جميعاً، وليراجعوا الموقع السالف الذكر ليروا بأُم أعينهم أن مرض الـ(بيدوفيليا) يظهر قبل عمر 17 ـ 19 سنة، ونبينا ﷺ تزوج عائشة بعد أن جاوز الخمسين من عمره ﷺ.

وليعلم كل واحد أن الرسول ﷺ عندما بلغ الخامسة والعشرين رغب في الزواج ولم يبحث عن (البكر) التي تكون أحظى للقبول وأولى للباحثين عن مجرد المتعة، بل تزوج امرأة (خديجة) تكبره بحوالي (15) عاماً، ثم إنها لم تكن بكراً بل كانت ثيباً، وكانت لها أولاد كبار عمر أَحدهم كان يناهز العشرين، ومع كل هذا فمن المشهور أن (خديجة) هي المبادرة في اختيار النبي محمَّد ﷺ بعدما لمست منه ـ خلال تجارتها ـ من طيب وعفة وأمان... وظلّ ﷺ معها حتى وافتها الأجل وإلى رحاب الله، هذا يعني أنه ﷺ قضى ريعان شبابه معها ... أين السيد (مايك) وهل بقي عنده سؤال عن نبينا ﷺ؟ أم زالت جميع أسئلته واقتنع بالأمر ..

تجدر الإشارة أخيراً إلى أن الفرق بين سِنّي الرسول ﷺ وعائشة ليس بدعاً ولا غريباً، لأن هذا الأمر كان مألوفاً في ذلك المجتمع ولا زال ذلك مألوفاً في مصر وأفريقيا، وبهذه المناسبة تحدث لي زميلٌ ـ وهو جراح أخصائي ـ كان يدرس في مصر وقال: إن إحدى النساء اللاتي كنَّ ينظفن له الشقة كانت قد زوجت بنتها البالغة (8) سنوات لرجل

مصري في ألمانيا .... وقال الطبيب للمنظفة: هل تمزحين؟

قالت الأم: أنا تزوجت في السابعة من عمري وأنجبت الطفل الأول في الثامنة من عمري. أضاف لي الطبيب الزميل: كنت أعلم جيداً أن فتياتنا في البلاد الحارة مثل مصر وأفريقيا والسعودية يبلغن في سن مبكرة جداً ... وأضاف قائلاً: هل ترى بنتي هذه ـ مؤشراً إليها ـ إنها في سن الحادية عشر من عمرها، وإن أقرانها في هذا العمر في(مصر) لهن ضخامة تبلغ ضعف ضخامتها، وهذا دليل آخر ملموس من طبيب اختصاصي من العراق، كان يدرس في مصر على النضوج المبكر للفتاة في الدول الحارة ...

obeikandl.com

أَبواق معادية تقذِفنا بالآيتين الكريمتين

أبواق الفساد تقذفنا بالآيتين الكريمتين (14، 15) من سورة التغابن. ولكن خاب ظنهم لو علموا الحقيقة لسكتوا و اختبؤوا. . .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ۚ وَإِن تَعْفُواْ وَتَصْفَحُواْ وَتَغْفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُواْ وَأَطِيعُواْ وَأَنفِقُواْ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ ۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [التغابن: 14-16] ولكن خاب ظنهم . . . فلو علموا الحقيقة لسكتوا واختبأوا . . .

الحمد لله لقد أفاق الناس بعدما هوجم الإسلام من قبل أعداء الدين، عندها علم الناس الحقائق الدينية وإن كانت تلك الحقائق موجودة منذ مجيء الإسلام، ولكن للأسف فإن أكثر المسلمين لم يتفقهوا في دينهم فأثرت فيهم أقاويل الأعداء. إن كل ما جرى في الكون على الإنسان والحيوان والجماد وعلى مر العصور من تغيرات فيه حِكَمٌ يمكن تفسيرها بكتابنا، وهذا دليل على أن القرآن من عند رب العالمين. هذا وإن أيَّ إعراض عن السنة الكونية التي وضعت من قبل خالقنا يؤدي إلى الإخلال في الميزان، ولنرى ماذا رَوَّج الجاهلون عن الآيتين (14و15) في سورة التغابن.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ۚ وَإِن تَعْفُواْ وَتَصْفَحُواْ وَتَغْفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُواْ وَأَطِيعُواْ وَأَنفِقُواْ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ ۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾.

ماذا قيل عن هاتين الآيتين هنا وهناك وخاصة في الدول الغربية الكبرى عن طريق الإعلام، حيث حُرِّف تفسير تلك الآيات القرآنية، وقيل للناس في تلك البلاد أسمعتم بأن

دين محمّد يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ﴾ [التغابن:14]، من منكم أيها العالم المتحضر في بلادنا يَقبل أن يقول لأولاده وأزواجه (عدوّ)، حتى المال أصبح في دين محمّد عدواً؟... وإلى آخره من الأقوال المغرضة لديننا الحنيف التي لا أود ذكرها ...

وقبل أن أُجيبَ على هذه الاقأويل الباطلة من قبل الوسائل الإعلامية والمؤسسات الأجنبية المختلفة، أود أن أُؤكد على نقطة مهمة جداً ربما لا ينتبه إليها الكثيرون، وهي تفسير القرآن الكريم ... فليس كل من تكلم العربية يجوز له أن يفسر القرآن، إذن فكيف برجل غربي أو شرقي لا يجيد اللغة العربية يجوز أن يفسر القرآن؟ وكما ذكرت في بعض من مؤلفاتي: أن الذي يفسر القرآن يستوجب أن يتوفر فيه شروط كثيرة، وأن يكون ملماً بعلوم كثيرة كالفقه وأصوله، وسبب نزول الآية والنحو، والصرف، والمنطق وإلى آخره من العلوم التي لها صلة بالتفسير، فهناك موازين يجب أن يلتزم الفرد بها التزاماً صادقاً ودقيقاً إذا ما أراد تفسير الآيات القرآنية. ومن التعسف والشطط أن يفسر الآيات القرآنية من لم تتوفر فيه الشروط الآنفة الذكر. وهناك بنود أربعة يجب أن يلتزم بها المفسر لكتاب الله لكي يكون تفسيره صادقاً وصحيحاً. فما هي البنود الأربعة التي لو اتبعناها كان ذلك ميزاناً يُعتمدُ عليه لتفسير الآيات القرآنية؟ هذا الميزان يتكون من المقومات والأركان التالية[1]:

أولاً ـ خضوع التفسير لدلالات اللغة العربية وقواعدها التي لا خلاف فيها .

ثانيًا ـ خضوعه لقواعد تفسير النصوص المتفق عليها، كأحكام العموم والخصوص والإطلاق والتقييد والمنطوق والمفهوم الخ.

ثالثًا ـ ألّا يتعارض التفسير معارضة حادة مع مضمون آية أخرى في القرآن، بحيث لا يكون من سبيل للجمع بينهما تحت ظل أي قاعدة من قواعد تفسير النصوص.

رابعًا ـ ألّا يتعارض التفسير معارضة حادة مع الدلالة الثابتة لنص حديث نبوي صحيح، بحيث تترك هذه المعارضة سبيلاً سائغة للتوفيق بينهما.

---

(1) لماذا التعسف الباطل في تفسير القرآن بجر العلم إليه أو حجبه عنه؟. للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي. مقالة نشرت في العربي، عدد246، 1979، ص: 55.

من هذه المقومات الأربعة فقط يتكون الميزان الذي لابد من الاحتكام إليه لتفسير آية من القرآن وهو ميزان متفق عليه عند علماء العربية والتفسير والأصول جميعًا. وهو الذي يمثل القاعدة المشتركة التي يلتقي عليها كل من أقطاب مدرستي التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي، فما نعلم إماماً من أئمة التفسير بالرأي استجاز لنفسه الخروج عن سلطان هذا الميزان قيد شعرة. كما لا نعلم إماماً من أئمة التفسير بالمأثور حرم أو أنكر أي تفسير اجتهادي ينضبط بقيود هذا الميزان، وإن لم يتخذ من ذلك مذهبًا شخصيًا لنفسه في نطاق أعماله العلمية الخاصة.

لنعود الآن ونعرض تفسير هاتين الآيتين من قِبل عموم المُفسرين:

1 ـ تفسير محمد محمود حجازي 1963 الطبعة الثالثة.

المفردات: (فتنة) والفتنة بلاء ومحنة (ما استطعتم) جهد طاقتكم (شح نفسه) الشح البخل والحرص الشديدين (تقرضوا) المراد تتصدقوا وتنفقوا.

سبب النزول: روى أن الكفار قالوا: لو كان ما عليه المسلمون حقًا لصانهم الله عن المصائب في الدنيا.

فنزل قوله تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ...﴾ الآيات توضح حقيقة الدنيا، وما يصيب المسلم فيها من خير أو شر.

المعنى: لقد سبق بيان نتيجة الإيمان ونهايته، ونتيجة الكفر وغايته من الفوز العظيم للمؤمنين في الآخرة والمصير السيء للكافرين فيها .

أما الدنيا فأمرها سهل هين جداً إذ هي ليست دار جزاء ولا مثوبة، ولكنها دار عمل وتعب، وقد تكون محل ابتلاء واختبار بنزول المصائب والمحن على بعض الناس والمؤمنون الصادقون هم الذين يفهمون أن ما يصيب الإنسان فهو بأمر الله وبإذنه، وما كان ليتخلف عنه أبدًا، إذ كل شيء عنده بقضاء وقدر.

ومن يؤمن بالله، ويعتقد هذا فإن الله هاديه إلى الحق والصواب من الصبر والثبات، والرجوع إلى الله، ولذلك يبيت هادىء النفس قرير العين مستريح القلب، والله بكل شيء عليم، وغير المؤمن إذا نزل به حادث أو ألمّت به مصيبة ضجر وجزع، وأصابه الغم والكرب، وقضاء الله نافذ على الجميع.

وما علينا إلّا أن نطيع الله ورسوله في كل أمر ونهي فهذا هو العلاج الناجع، والدواء الصادق، فإن تولَّ البعض وأعرض فإنما حسابه على ربه، وما على الرسول إلا البلاغ المبين، فالله وحده هو الإلٰه المقصود في كل شيء. الذي له الملك وإليه يرجع الأمر كله فعليه وحده يتوكل المؤمنون . . .

أما الفهم الصحيح السليم للأزواج والأولاد، وللأهل والأموال فقد تكفلت به الآيات: 14، 15، إلى آخر السورة، فقد روى أن عوف بن مالك الأشجعي كان ذا أهل و ولد، وكان إذا أراد الغزو بكوا إليه ورققوه وقالوا: إلى من تدعنا؟ فيرق فيقيم - أي لا يذهب إلى الجهاد في سبيل الله - فنزلت الآية . . وفي رواية أنها نزلت في رجال أسلموا بمكة، وأرادوا أن يأتوا النبي ﷺ فأبى أزواجهم وأولادهم أن يدعوهم يأتون النبي ﷺ فلما أتوا ورأوا الناس قد فقهوا في الدين هموا أن يعاقبوهم فأنزل الله تعالى هذه الآيات .

يأيها الذين آمنوا إن بعض أزواجكم وأولادكم عدواً لكم، حيث يفعلون معكم فعل العدو، ويكونون حجر عثرة أمامكم يمنعونكم من فعل الخيرات، وقد يدعونكم إلى ارتكاب الذنوب والآثام في سبيل راحتهما والحرص على سعادتهما، ألست معي في أن من يفعل معي فعل العدو، ويمنعني عن الخير الذي ينفعني، ويحملني على فعل المعاصي يكون عدواً لي، ولو كان زوجًا أو ابنًا أو غيرهما؟ إذا كان الأمر كذلك فاحذروهم، وقوا أنفسكم من شرورهم وآثامهم .

ولكنهم من اهلك وذوي قرابتك فالمطلوب منك ان تحذر ما يوقعك في الشر فقط ثم تعفو وتصفح وتغفر، فإنك ان تعف وتصفح يعف عنك الله ان الله غفور رحيم

إنما أموالكم وأولادكم فتنة وبلاء، ومحنة واختبار قد يترتب عليهم الوقوع في الآثام والشدائد، وكثيراً ما رأينا المال والأولاد يدفعان صاحبهما إلى فعل المهلكات، ويحملان بعض الناس على الغرور الكاذب، وارتكاب الآثام والفظائع﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ﴾ [العلق:6-7]. والله عنده أجر عظيم فانظروا إليه ودعوا المال والولد فإنه لن ينفعكم يوم الحساب.

فاتقوا الله ما استطعتم، وابذلوا في تقواه جهدكم وطاقتكم، وليكن أحب شيء إلى النفس حب الله ورسوله، واسمعوا مواعظه وأوامره سماع قبول، وأطيعوه في كل ما أمر، وأنفقوا مما رزقكم يكن خيراً لكم وأفضل، ولا يكن الولد والأهل مدعاة للجبن والبخل، واعلموا أنه من يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون، إن تصرفوا[1] بعض الأموال في سبيل الله وابتغاء رضوانه يثبكم على ذلك ثواباً جزيلاً ويغفر لكم، والله مجاز في الطاعات حليم في العقاب على المعصية، وهو عالم الغيب والشهادة العزيز الحكيم. . .

إذن هذا هو التفسير لتلك الآيات التي تعرض لها المغرضون والحاقدون على دين الإسلام، وإني لا ألومهم لأنه هكذا نقلت إليهم تلك المعاني، أو ربما يعرفونه ولكنهم يودون تشويه سمعة ديننا الحنيف، مهما كانت نياتهم . . . فليقرأ كل من يدّعي مثلهم، فإن هذه التفاسير لم يتم وضعها اليوم إنما تتحدث عن حقيقة الآيات القرآنية وسبب نزولها قبل أكثر من 1400 عام.

هل علمت الآن أخي القارىء ما سبب نزول الآية؟ هل علمت أن مالك الأشجعي كان ذا أهل وولد، وكان إذا أراد الغَزْوَ بكوا إليه زوجاته وأولاده ورققوه وقالوا: إلى من تَدَعُنا؟ فيرق هو ويقيم، فنزلت الآية.

والرواية الأخرى أنها نزلت أيضاً في رجال أَسلموا بمكة وأرادوا أن يأتوا الرسول ﷺ فأَبى أزواجهم وأولادهم أن يدعوهم. أليست هذه المواقف المتخاذلة من الأزواج والأولاد مخالف للقيم الإنسانية النبيلة؟ أليست تلك الأمورُ مخالفةُ للجهاد في سبيل الله وإنقاذ البشرية من شر المشركين؟ إذن أليس منع الرجال من الجهاد أمر مخالف للقيم الإسلامية والاجتماعية وخاصة في فترة كان يريد العدو أن يهاجم المسلمين في بلادهم وينهي دعوتهم الصادقة؟ إذن من يدافع عن المسلمين كي تُصَد الهجمة الشرسة للعدو؟ أليس ذلك من واجب المسلم؟ وإذا ما قارنا هذا الأمر في تلكم الآيات بواقعنا العصري، وأخذنا حصراً جميع الدول الغربية والشرقية ـ غير المسلمة ـ مثالاً لذلك ونقول إذا عصى جندي أمريكي أو ألماني أو فرنسي أو روسي في دخول حرب ضد أعدائهم ـ بنظرهم – ما مصير ذلك الجندي؟ ناهيك عن العقوبة الصارمة التي يتلقاها من حكومته . . . لكن السؤال الذي يطرح نفسه هو: ما مصير مثل هذا

(1) سماه الله قرضا من حيث التزام الله ثوابه، فهو يشبه القرض من هذه الناحية فيكون استعارة.

الجندي في هذا العصرالمتحضر و المتقدم إذا ما أبى الدخول في حرب ما؟ أليس جزاؤه أشد العقوبات الصارمة،علماً بأنَّ كثيراً ما تكون تلك الحرب لأجل احتلال بلد أو السيطرة على ثروات ذلك البلد أو أي سبب آخر . . . ، وهذه هي سبب حروبهم حصراً . . . حيث إن مواطنو تلك البلاد لم يقترفوا ذنباً لا هم ولا حكوماتهم لأجل أن يحاربوا. . . وهناك أمثلة كثيرة على تلك الحروب التي تشنها الدول الغربية على الدول الإسلامية الغنية بثرواتها النفطية من البنزين والغاز والمعادن، وحتى الدول الإفريقية لم تسلم من تلك الحروب . . .

وبعد هذه الحقيقة المرة على بلاد لا تستحق أن تحارب، يتلقى الجندي المعارض لتلك الحروب. ناهيك سبب معارضته إن كان خوفاً من الحرب أم رأفة بتلك الشعوب التي تشن الحرب ضدها ـ عقوبة صارمة: قد يسجن سنين عديدة، وإذا عصى جندي أثناء اشتداد الحرب في دول عالم الغرب المعاصر فقد تصل العقوبة إلى رمي الجندي بالرصاص وقتله . . .

والآن نعود إلى المسلم أو المسلمين الذين نزلت في حقهم هذه الآيات وعلى سبيل المثال، مالك الأشجعي إنه لم يأبَ للذهاب إلى الجهاد بل مكث في بيته لأن زوجته أو أطفاله رققوه، ولكن هل كان لهم حق في ذلك؟ أليس الجهاد والدفاع عن الوطن وخاصة لأجل رفع راية الإسلام ورفع كلمة الحق والقضاء على الفساد والكفر واجب؟ أليس إذن تصرف الأولاد والأزواج في هذه العملية الشريفة أمر عدائي لله والأمة والوطن والدفاع عن كلمة الحق؟ أليس الموقف المتخاذل للأولاد والزوجة وبالذات في هذه الحال يعتبر شعوراً عدائياً تجاه كلمة الحق وعصيان عن أمر الله تعالى؟ وحتى بمفهومنا الاجتماعي فإن العصيان في هذه الأحيان للدفاع عن الوطن هو خيانة بكل معنى الكلمة.

ما بالك أخي القارىء بأولاد وزوجاتٍ يمنعون الرجال من نيل شرف ـ شرف الدنيا والآخرة ـ فالرجل المسلم والمتقي حقاً والملتزم بمبادىء ربه لو نال شرف الشهادة فالموت له بداية سعادته، لأنه سَيجد بعده ـ أي بعد استشهاده ـ كل أسباب السعادة، فالجنة التي عرضها السمٰوات والأرض تُزلَفُ له، وملائكة السماء تستقبله، ناهيك عن درجة الشهيد التي يقول تعالى عنها:

﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: 274].

ثم إن الله جلَّ و علا عندما يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ﴾ [التغابن:14] فيعني أنه ﷻ عَالِم بأن حب الأولاد والأموال عظيم عند الإنسان، - ويُعَدُّ ذلك مدحاً ضمنياً يظهر من خلاله أن حب الأولاد صفة ملازمة للزوج - لهذا حَذَّر الرجال مِنْ أن يوقعهم ذلك الحب في الشقاء ودون نيل شرف الجهاد ثم هناك نقطة مهمة ملفتة للنظر وهي أن أحب شيءٍ في نظر الرجال في حياتِهم هو الأولاد والزوجة بدرجة خاصة. فالوالد مستعد أن يُضحي بحياته لأجل أولاده وإذا أحب زوجته فهو أيضاً كذلك لها، ولكون هذين العنصرين مهمين لدى الرجل، فيمكن أن يمنعاه أحياناً - كما هي الحال في قصة مالك الأشجعي - من الجهاد والدفاع عن قضية عظيمة وهي رفع كلمة الحق و الدفاع عن الوطن، ولهذا جاء ذكر الآيتين 15 و16 في سورة التغابن، لكي ينبهنا ربنا عن ذلك، فأمْرُهُ تعالى بهذا الواجب العظيم يجب أن يكون أعظم عندنا كمسلمين من محبة الأولاد والزوجة، وذَكَرَ اللهُ الأَموالَ مَعَ الأولاد والأزواج، لأن الإنسان بصورة عامة يرتبط بحب المال بشكل قد يوصله إلى الهلاك، وحتى العُصيان عن أمر الله كما جاءَ في الآية الكريمة السابقة الذكر في سورة التغابن.

إذن هل يمكن لأحد أن يعترض في المسببين الآنفي الذكر؟ ليس في مجتمعنا فحسب بل حتى في المجتمعات الغربية.

الرد على الإعلام المُغرض

عن أن المال والأولاد قد ذكرهما القرآن بأنهما عدوان ... من دون أن يعلموا مغزى الآية

لقد أصاب الإمام حامد الغزالي[1] عندما قال: أعلم أن المال مثل حَيَّةٍ فيها سم وترياق، هناك أبواق معادية في الغرب تَبُث في أسماع شعوبهم أموراً خاطئةً لتعادي بها شريعتنا الغراء. متى يكون المال عدواً للإنسان؟هل وصف خالقنا جل وعلا الأموال والأولاد بأنهما عدوّان، وانتهى الأمر؟... عزيزي القارىء إنك الآن عرفت إنما قيل ذلك لأجل شيء نفيس على نفوس الرجال بكل معنى الكلمة وعرفت السبب في الموضوع السالف الذكر ...، ألّا إن بعض الأبواق تَبُث أن خالقنا وصف المال لأنه عدو وانتهى الأمر.

فليعلم كل فرد مسلم كان أو غير مسلم، أن الباري ﷻ قد سَمّى المال خيراً في مواضع شتّى في كتابه العزيز، فقال ﷻ: ﴿إِن تَرَكَ خَيْرًا﴾[البقرة:180]، وقال رسول الله ﷺ: «**نعم المال الصالح للرجل الصالح**»[2]، وكل ما جاء في ثواب الصدقة والحج، فهو ثناء على المال، إذ لا يمكن الوصول إليهما إلّا به. وهناك المزيد في مدح المال فلنستمر في ذكره، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾ [الكهف:82] وقال تعالى ممتناً على عباده: ﴿وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا﴾[نوح:12]. انظر أخي القارىء هنا يَمُنُّ الله علينا لا بالمال بل حتى بالبنين. وقال ﷺ: «**كاد الفقر أن يكون كفراً**»[3] وهو ثناء على المال.

يقول الإمام أبي حامد الغزالي: (ولا تقف على وجه الجمع بعد الذم والمدح، إلّا

---

(1) إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي، ص: 1768. بتصرف.

(2) أحمد والطبراني في الكبير والأوسط من حديث عمر بن العاص بسند صحيح بلفظ نعما.

(3) أبو مسلم الليثي في سننه، والبهيقي في شعب الإيمان من حديث أنس.

بأن تعرف حكمة المال، ومقصوده، وآفاته، وغوائله، حتّى ينكشف لك أنه خير من وجه، وشر من وجه، وأنه محمود من حيث هو خير، ومذموم من حيث هو شر. فإنه ليس بخير محض، ولا هو شر محض بل هو سبب للأمرين جميعاً. وما هذا وصفه فيمدح لا محالة تارة، ويذم أخرى. ولكن البصير المميز، يدرك أن المحمود منه غير المذموم)[1].

إذن هل فهمت الأبواق التي تعادينا ما هو المال والبنون ومتى يكونا خيراً ومتى يكونا شراً؟ هل نسوا ـ وهم أغنياء ـ وهم يحكمون العالم أنهم يتصرفون بثروات و أموال شعوبهم في تدمير البنى التحتية لكثير من شعوب العالم؟ بل بثرواتهم تلك يقتلون مئات الألُوف من الأبرياء، وشريعتنا تعتبر مثل هذه الأموال التي تصرف في هذه الأمور عدوّاً للإنسان . . .

منزلة المال في الدنيا

إن المال في ديننا هو سبب للسعادة البدنية والصحة والسلامة، حيث يقول الإمام الغزالي في المصدر السابق ذكره: (لا تنال السعادة إلّا بثلاث وسائل في الدنيا، وهي: الفضائل النفسية: كالعلم وحسن الخلق. والفضائل البدنية: كالصحة، والسلامة. والفضائل الخارجة عن البدن: كالمال وسائر الأسباب. وأعلاها النفسية، ثم البدنية، ثم الخارجة، فالخارجة أخسها).

والمال من جملة الخارجات. وأدناها الدراهم والدنانير، فإنهما خادمان، ولا خادم لهما، ومرادان لغيرهما، ولا يرادان لذاتهما. إذ النفس هي الجوهر النفيس المطلوب سعادتها، وأنها تخدم العلم والمعرفة ومكارم الأخلاق لتحصلها صفة في ذاتها. والبدن يخدم النفس بواسطة الحواس، والأعضاء. والمطاعم والملابس تخدم البدن، وقد سبق أن المقصود من المطاعم إبقاء البدن، ومن المناكح إبقاء النسل، ومن البدن تكميل النفس وتزكيتها، وتزيينها بالعلم والخلق. ومن عرف هذا الترتيب، فقد عرف قدر المال و وجه شرفه، وأنه من حيث هو ضرورة المطاعم والملابس التي هي ضرورة بقاء البدن، الذي هو ضرورة كمال النفس، الذي هو خير. ومن عرف فائدة الشيء وغايته ومقصده، واستعماله لتلك الغاية، ملتفتًا إليها، غير ناسٍ لها، فقد أحسن وانتفع، وكان ما حصل له الغرض محمودًا في حقه. فإذاً المال آلة و وسيلة إلى مقصود صحيح. ويصلح أن يتخذ آلة و وسيلة إلى مقاصد فاسدة،

(1) إحياء علوم الدين، لأبي حامد الغزالي، ص: 1766-1767.

وهي المقاصد الصادة عن سعادة الآخرة، وتسد سبيل العلم والعمل فهو إذاً محمود مذموم. محمود بالإضافة إلى المقصد المحمود، ومذموم بالإضافة إلى المقصد المذموم[1]. فمن أخذ من الدنيا أكثر مما يكفيه، فقد أخذ حتفه وهو لا يشعر، كما ورد به الخبر. ولما كانت الطباع مائلة إلى اتباع الشهوات القاطعة لسبيل الله، وكان المال مسهلاً لها، وآلة إليها، عظم الخطر فيما يزيد على قدر الكفاية فاستعاذ الأنبياء من شره، حتى قال نبينا ﷺ: **«اللَّهُمَّ اجْعَلْ قُوتَ آلِ مُحَمَّدٍ كَفَافاً»**[2] فلم يطلب من الدنيا إلّا ما يتمحض خيره وقال: **«اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مِسْكِيناً وَأَمِتْنِي مِسْكِيناً وَاحْشُرنِي فِي زُمْرَةِ الْمساكين»**[3] واستعاذ إبراهيم ﷺ فقال: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم:35] وعنى بهما هذين الحجرين الذهب والفضة، إذ رتبة النبوة أجلُّ من أن يخشى عليها أن تعتقد الإلٰهية في شيء من هذه الحجارة، إذ قد كفى قبل النبوة عبادتها مع الصغر. وإنما معنى عبادتهما حبهما، والاغترار بهما و الركون إليهما قال نبينا ﷺ: **«تَعِسَ عبد الدينار وتعس عبد الدرهم ولاَ انْتَعَشَ وَإذا شِيكَ، فَلاَ أنْتَقَشَ»**[4].

فبيّن أن محبهما عابد لهما ومن عبد صخرة فهو عابد صنم.أي إذا شاك شوكة فلا يقدر على انتقائها وهو إخراجها بالمنقاش.

نعم هكذا كان الأنبياء والرُسل ابتداءً من سيدنا إبراهيم ﷺ وإلى سيدنا محمَّد ﷺ، فلم تكن مهتهم جمع الأموال والذهب والفضة، بل كانت مقاصدهم إسعاد البشرية وإرضاء الله وتنفيذ أوامره جلّ وعلا. قارن أخي القارىء بين حال المسلم الصحيح المقتدي بالأنبياء والرسل وبين حكام العالم اليوم شرقاً وغرباً بلا استثناء مسلمين وغير المسلمين، فلا حاجة للتعليق على ذلك والكل يعرف الحقيقة، إذن كفى الطعن بهذا الدين العظيم...

---

(1) حديث من أخذ من الدنيا أكثر مما يكفيه فقد أخذ حتفه وهو لايشعر: تقدم قبله بتسعة أحاديث وهو بقية احذروا الدنيا.

(2) حديث اللّهم اجعل قوت آل محمّد كفافًا: متفق عليه من حديث أبي هريرة.

(3) حديث اللهم أحيني مسكينًا: الترمذي من حديث أنس وابن ماجه والحاكم وصحح إسناده من حديث أبي سعيد وقد تقدم.

(4) حديث تعس عبدالدينار تعس عبدالدرهم - الحديث: البخاري من حديث أبي هريرة ولم يقل وانتقش وإنما علق آخره بلفظ تعس وانتكس ووصل ذلك ابن ماجه والحاكم.

ديننا يرى أن في المال سَمٌّ وترياق

ليس بخاف على العاقل أن المال كالحية فيها سم وترياق، فالإنسان متى ماعرف غوائله وفوائده، أمكنه أن يحترز من شره، ويستدر من خيره، فالمال إذن فوائده ترياقه وغوائله سمومه[1].

الاستعانة بالمال على العِبادة

النوع الأول: يستطيع الإنسان أن ينفق المال على نفسه، إما في العبادة، أو الاستعانة على العبادة. أما في العبادة، فهو كالاستعانة به على الحج والجهاد، حيث لا يمكن أن يحصلا إلّا بالمال، وهما من أمهات القربات، أما الفقير فهومحروم من فضلهما. والمال يقوي الإنسان على العبادة، فذلك هو المطعم والملبس والمنكح، وكافة ضرورات المعيشة الأخرى. فإذا لم يتوفر المال لم تتيسر للإنسان الحاجيات الآنفة الذكر، وبالتالي سينشغل القلب بتدبيرها، فلا يتفرغ للدين . . . إذن عزيزي القارىء أرأيت كيف أن المال يعينك على العبادة، فأين الذين لم يفهموا دين الإسلام لنُعلّمهم ما هو تفسير المال في شرع الإسلام؟ . . .

اذن على كل مسلم أخذ الكفاية من الدنيا
لأجل الاستعانة به لتقوية دينه
وما زاد عن ذلك يصنفه الإمام الغزالي من حظوظ الدنيا فقط.

أما النوع الثاني: من الاستعانة بالمال: فهو ما يصرفه العبد على الناس، ويقسمه الإمام الغزالي إلى أربعة أقسام هي: الصدقة، والمروءة، ووقاية العرض، وأجرة الاستخدام. فبالمال يتصدق الإنسان ولا يخفى علينا ثوابه، فإنها تطفئ غضب الرب تعالى، وفضلها معروف. أما المروءة، فهو صرف المال إلى الأغنياء والأشراف، في ضيافة، وهدية، وإعانة، وما يجري مجراها، وإنها لا تسمى صدقة لأن الصدقة هي ما يسلم إلى المحتاج، لكن الفوائد التي ذكرت في المروءة يكتسب العبد بها الإخوان والأصدقاء، وبه يكتسب صفة السخاء، ويلتحق العبد به بزمرة الأسخياء.

(1) إحياء علوم الدين للإمام أبي حامد الغزالي، 1768 بتصرف.

أما وقاية العرض بالمال فهو المال الذي يدفع لهجو الشعراء وثأب السفهاء، وقطع ألسنتهم، ودفع شرهم، وهو أيضاً مع إنجاز فائدته في العاجلة، من الحظوظ الدينية، قال ﷺ: «**ما وَقَى به المرء عِرْضَهُ كُتبَ لَهُ به صدقة**»، وكيف لا وفيه منَع المغتاب عن معصية الغيبة، واحتراز عما يثور من كلامه من العداوة التي تحمل في المكافأة.

(يعني المعاملة بالمثل، والمقصود هنا أن العداوة تقابلها العداوة والانتقام على مجاوزة حدود الشريعة.

هكذا صنَّف الدين فائدة المال فبماذا يقذِفُنا أعداؤنا؟ ...

أما الاستخدام ـ فمن لا مال له، يفتقر أن يتولى بنفسه خدمة نفسه من شراء الطعام، وطحنه، وكنس البيت، وحتى استنساخ الكتاب الذي يحتاجه، وكل ما يجول في خاطر العبد أن يقوم به غيره، ويحصل به غرضه، فهو متعوب إذا اشتغل به شخصياً.

النوع الثالث: المال الذي يصرف في خير عام، كبناء المساجد والجسور، والمستشفيات، وغير ذلك من الأمور، وهي من الخيرات المؤبدة التي تستجلب البركة للصالحين.

إن ما جاء آنفًا كان جملة من فوائد المال في الدين وإن تلك الفوائد تقي المرء من ذل السؤال، وحقارة الفقر، والوصول إلى العز والمجد بين الخلق، وكثرة الأعوان والأصدقاء، والوقار والكرامة في القلوب. فكل ذلك مما يقتضيه المال من الحظوظ الدنيوية.

اذن من قال أن المال بصورة مطلقة عدو للإنسان؟
لقد أخطأ الأعداء في قولهم.

آفاتُ المال الدينية والدنيوية وهي ثلاث ...

1 ـ كثرة المال قد تجر العبد إلى المعصية، فالمال نوع من القدرة، يحرك داعية المعاصي وارتكاب الفجور، فإن اقتحم ما اشتهاه هلك، كما أن فتنة السّراء أعظم من فتنة الضراء . . . هكذا هو المال عدونا إذا ما قادنا إلى الشهوات والمعاصي.

2 ـ لا شك أن أحسن الأحوال لأصحاب الأموال هو التنعم به، فَيُمَرِّنُ الإنسان عليها نفسه، وبذلك سيصير التنعم في هذه الحالة أمراً مألوفاً عنده، ومحبوباً لا يصبر عنه، فإذا اشتد أُنسُهُ به، ربما لا يقدر التوصل إليه بالكسب الحلال، فيقتحم الشبهات، ويخوض في المُراءاة، والمداهنة، والكذب، والنفاق، وسائر الأخلاق الرديئة ليتنظم له أمر دنياه، ويتسير له تنعمه، فإن من كثر ماله كثرت حاجته إلى الناس ومن احتاج إلى الناس فلا بُدَّ وأن ينافقهم، ويعصي الله في طلب رضاهم، وإن سَلِمَ الإنسان من الآفة الأولى، وهي مباشرة الخطوط، فلا يسلم عن هذه أصلاً، ومن الحاجة إلى الخلق تثور العداوة والصداقة، وينشأ عنه الحسد، والحقد، والرياء، والكبر، والكذب، والنميمة، والغيبة، وسائر المعاصي التي تخص القلب واللسان.

إذن أخي القارىء هل توافقني بأن المال في آفته رقم 2 يصبح عدواً لا للفرد نفسه فحسب إنما للبشرية أيضاً، فإنه يوقعك في جميع الصفات المذمومة اجتماعياً، وبالتالي سيهلكك . . . إذن أليس في وصف المال (بالعدو) في هذه الحالة، والحذر منه تتجلّى عظمة القرآن وعظمة تلك الآية؟ . . .

3 ـ إضافة للآيتين السالفتي الذكر، وهي التي لا يَنْفَكُّ عنها أحد، وهو أَنه إصلاح ماله عن ذكر الله تعالى، وكل ما شغل العبد عن الله فهو خسران لذلك، قال سيدنا عيسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام: في المال ثلاث آفات. أن يأخذه من غير حله. فقيل إن أخذه من حله؟ فقال: يضعه في غير حقه. فقيل: إن وضعه في حقه؟ فقال: يشغله إصلاحه عن الله تعالى. وهذا هو الداء العضال[1].

وهذا نبي الله عيسى ابن مريم تحدَّث عن آفات المال، فهل مَنْ هم على دينه لا يعترفون حتى بذلك؟ . . . إذن بماذا وبمن يعترفون؟ . . . وإلّا فالآخَرُ إما لا دين له ولا مبدأ سماوي أو هو حاقد على ديننا الحنيف.

وهناك حديث للرسول ﷺ فيه تحذير من فتنة المال فهي أعظم فتنة بعد النساء. فقد انكشف الغيب له ﷺ: عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ ﷺ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ خَرَجَ يَوْماً فَصَلَّى عَلَى أَهْلِ أُحُدٍ صلاتَهُ عَلَى الْمَيِّتِ ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى الْمِنْبَرِ فَقَالَ: **«إِنِّي فَرَطٌ لَكُمْ وَأَنَا شهيدٌ عَلَيكُمْ، وَإِنِّي وَاللهِ لأَنْظُرُ إِلَى حَوْضِي الآنَ (1) وَإِنِّي قَدْ أُعْطِيتُ مَفاتِيحَ خَزائِنِ الأَرْضِ أَوْ مَفَاتِيحَ الأَرْضِ (2)**

(1) احياء علوم الدين، للإمام أبي حامد الغزالي ص 1771.

وإِنِّي وَاللهِ مَا أَخافُ عَلَيكُمْ أَنْ تُشرِكُوا بَعْدِي وَلكِنْ أَخافُ عَلَيكُمْ أَنْ تَتَنَافَسُوا فيها» (3). رَوَاهُ الشَّيْخَانِ. عَنْ أَنَسٍ ﷺ أَنَّ النَّاسَ سَأَلُوا نَبيَّ الله ﷺ حَتَّى أَحْفَوْهُ بِالْمَسْأَلَةِ (4) خَرجَ ذَات يوم فَصَعِدَ الْمِنْبَرَ فقال: «**سَلُونِي عَنْ شَيءٍ إِلَّا بيَّنتهُ لَكُمْ**»، فَلمَّا سَمِعَ الْقَومُ ذلِك أَرَمُّوا (5) وَرَهِبُوا أَنْ يَكون بَيْنَ يَدَىْ أَمْر قَدْ حَضَرَ.

(1) أي نظراً بصرياً لانكشافه له ﷺ (2) أي في المنام فهو وحي من الله تعالى. وفيه أن أمته ستملك الأرض وخيراتها وكان ذلك. (3) لا أخاف عليكم أن تشركوا بعدي أي كلكم بالله تعالى، ولكن أخاف عليكم من التنافس في الدنيا والتضارب عليها. ففيه تحذير من فتنة المال فهي أعظم فتنة بعد النساء. نسأل الله السلامة (4). أي ألحوا عليه فيها (5). أي سكتوا.

كما يقول تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [الأنفال: 28] لكن متى تحدث هذه الفتنة؟ (إنها تحدث عندما يكون الأولاد والزوجة مشغولين عن الله تعالى وأنه بسببهم يحرص المسلم الحرص الكامل على طلب الدنيا لذاتها وينسى الآخرة، وكل همه يكون جمع المال الكثير و التفاخر به، وطلب التقاضي والتكاثر بهم، وكل ما شغل عن الله تعالى من أهل ومالٍ وولدٍ فهو مشؤوم على صاحبه، ولا يعني ذلك أن يكون محظوراً، ولكن المحظور هو الإفراط في ذلك والإمعان في الطلب والتمتع بالدنيا، فيقضي الليل والنهار وهو في شغل عن الله بالجمع للدنيا دون التفكر في الآخرة والاستعداد لها)[1].

أرأيت عزيزي القارىء أن الله جل جلاله وعم نواله حتى في هذه الآية الكريمة يحذر الإنسان من أن تشغله أمواله وأولاده عن الله وعن الآخرة، لأنه تعالى يعلم أن الإنسان في هذه الدنيا مسافر، ومقيم دائم في الآخرة، والله يحذرنا من ذلك لأجلنا ولأجل مستقبلنا، فإنه جلَّ وعلا يرينا أن الحياة السرمدية هي هناك، ونحن ضيوف في دنيانا، فخالقنا بهذه الآيات الكريمات ينقذنا من عذاب الآخرة، وإذا اتبعناها سننال نصيبنا من الدنيا: ﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا﴾ [القصص: 77] ونحظى بالجنة خالدين فيها.

مع الأسف أن التفوق العلمي والمادي في عصرنا هذا لم يصاحبهما تفوق روحي لذا فنحن منشغلون بالدنيا ونسينا الآخرة، فالغرب فَقَدَ معنى الحياة وقد أصابه قلق، والقلق مرض روحاني أصيل، وأكثر أهل الغرب لا يدرون ولا يفكرون في الآخرة التي نحن نفكر

(1) تحفة العروس. محمد محمود الاستانبولي 2001، ص 258-259 بتصرف.

فيها، ولهذا لا يفهمون ماذا يعني ربنا بالآيات التي ذكرناها آنفًا.

وأخيراً أود أن أقول أن الحضارة الغربية تجعل المال في رأس اهتماماتها و أهدافها ونشاطها و تفكيرها، ولهذا فحضارتهم حضارة مادية أو رأسمالية، ودول هذه الحضارة على استعداد لأن تشعل نار الحروب وتضطهد الشعوب وتدبر الانقلابات من أجل الحفاظ على مصالحها المادية. إذن أليس المال الذي لدى الغرب وطريقة الحصول عليه فتنة - فالمال لديهم فتنة في هذه الحال - وقد يُعرِّض الغرب شعوباً كثيرة للحروب من أجل ذلك المال، وللحصول عليه، هذا المال إذن سمٌّ لهم في نظر كل إنسان يؤمن بحقوق الشعوب، والآخر (الغرب) لا تهمه الجوانب الإنسانية (في كثير من الأحيان وإن كان يدّعي بذلك) بل المهم لديه هو الأولوية للمصالح وليس للمبادىء الإنسانية الشريفة، فالمال أعمى بصائر الآخر حيث قال (جون جونز) في كتابه «في داخل أوروبا»: إن الإنجليز يعبدون بنك إنجلترا ستة أيام في الأسبوع ويتوجهون في اليوم السابع إلى الكنيسة، ومن قلد الغربَ في مناهجه أصيب ببعض شقائه وتخلفه.

والغريب أن أبواق الأعداء تناست الآية القرآنية الكريمة التي تقول: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الرّوم: 21].

تشير هذه الآية إلى معنىً سام رفيع، ويتبين في هذه الآية أن الرابطة الوثيقة بين الرجل والمرأة ليست رابطة مضاجعة فحسب، بل رابطة رعايةٍ وحب وحنان وعطف، وكم في ذلك من تكريم لشخصية المرأة ورفع لمكانتها، ثم أليست النساء أجمل متع الحياة ؟

(والأنوثة ليست جسداً فحسب، بل هي قَبل ذلك تجسُّدٌ للحب المقدس والجمال، ألا يكون ذلك ضيقاً منه في الأفق، وقصراً في النظر، فالفنان إذن لم يستطع معه أن يستوحي من الأنوثة إلا الجانب الجنسي، والأُنوثةُ على ما هي عليه من خصب وفيض وتلون ؟!)

وعندما ينحدر الفنان إلى المستوى الجسدي، ألا يعني ذلك أيضاً أنه ضاوي الصبوة، هزيل النزعة الفنية، لم يستطع أن يرتفع إلى مستواها الصحيح، تجسيداً للجمال والحنان والرحمة والحب، إلى حيث يتمازج الجفن بالأخلاق، في قسمات الوجوه وبسمات الثغور والنظرات. [رسالة: لا فنَّ بدون أخلاق]

سبحان الذي خلق الجمال ويحب الجمال!

فالأنوثة قد سكبت في الإنسانية أيضاً مع لبن الرضاع من ذَوْب حبها وحنينها ما أحال غموض الطفولة وغفلتها إلى وضوح وعبقرية في استحياء معاني الإنسانية، من النظرات والبسمات وقسمات الوجوه، وفي إيحائها)[1].

ألم يقرأ أهل الغرب حديث المصطفى ﷺ عندما قال: «**حبّبَ إليَّ من دُنياكم: النساء والطّيبُ، وجعلت قُرَّةُ عيني في الصلاة**» ومهما كان من حب الرسول لنسائه حتى عائشة منهن، فإنه ﷺ ترك لربه نهاية الحب فقد صَحَّ عنه أنه قال: «**لو كنت متخذاً في الأرض خليلاً لاتخذتُ أبا بكر خليلاً**» وفي لفظ قوله: «**لكن صاحبكم خليل الله**» عندما قال ﷺ: «**من دنياكم**» في الحديث الآنف الذكر، أي حبَّني الله في هذه أكثر من غيرها وهي نعيم في العاجل وقربة في الآجل، أما النساء فلأنهن مصابيح البيوت وعمارها وأنِسها ومنبت الأولاد وأسسها، وما أعظمها مزية! وأما الطِّيبُ فلأنّه منعش للنّفوس ومُفرحٌ للملائكة الكرام، وأمّا الصلاة: ففيها قُرَّةُ العين وعِظَمُ السرور ولَذَّةُ المناجاةِ بين العبد وربه تعالى، وهذه أسعد أحوال الإنسان وأشرفها»[2].

هكذا يَصف ديننا العظيم المرأة، وهكذا يقول نبينا عن المرأة.

فليخسىء الذين يحرّفون معاني الآيات القرآنية.

وبعد كلِّ هذه التوضيحات هل اعتبر ديننا المرأة عدوّاً؟
مهما قالوا، فإن لهذا الدين ربّاً يحميه

فتنة الأولاد ... وهل هم كذلك ؟

كيف صنَّف ديننا الأولاد؟ ...

كأنَّ القرآن أشار إلى التحذير من النكول عن الجهاد والنفقة بسبب الأولاد، فمن طلب الولد للهوى عصى. . . ودخل في قوله تعالى: ﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ﴾ فالكامل لا يطلب

(1) تحفة العروس، محمد محمود الإستانبولي 2001، ص: 37-38، بتصرف.
(2) التاج الجامع الأصول في أحاديث الرسول، الشيخ منصور على ناصف 2005، ج2 ص: 279.

الولد إلّا لله، فيُرَبّيه على طاعته، ويمثل فيه أمر ربه (﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان:74] إذن أليس من حقنا أن نقول: تَحْدُث الفتنة عندما يكون الأولاد والزوجة شاغلين عن الله تعالى، وأنه بسببهم نحرص الحرص الكامل على طلب الدنيا لذاتها، بكثرة الجمع والتفاخر وطلب التقاضي والتكاثر بهم، وكل ما شغلَ عن الله تعالى من أهلٍ و ولدٍ فهو مشؤوم على صاحبه، وليس معنى ذلك أن يكون محظوراً، ولكن المحظور الانغراق في ذلك والإمعان في الطلب والتمتع بالدنيا، فينقضي الليل والنهار والمرء في شغل عن الله بالجمع للدنيا دون التفكير في الآخرة والاستعداد لها، وقد نوهنا إلى الجمل الآنفة الذكر سابقاً.

وخلاصة القول: أن المرء يجب أن يكون بصيراً لنفسه، مدركاً لأحواله، عارفاً بمواضع الخير لدينه ودنياه، بحيث يجمع بين الكسب الحلال والعمل للآخرة.

هل النساءُ فتنة؟ وما المقصود بالفتنة هنا؟

وهل المقصود كما تدق بعض الأبواق وتقول: يا عالم إن (محمّداً) يقول: أن النساء فتنة، هذه المرأة النسمة الرائعة يقول عنها نبي الإسلام أنها فتنة...

قال ﷺ: **«ما تركتُ بعدي فتنة أَضَرُّ على الرجال من النّساء»**.

أود أن أستهلَّ كتابتي هذه وفي هذا الموضوع بالذات آيات قرآنية وأحاديث نبوية شريفة وكالآتي:

يقول الله تعالى في شأن الزوجات: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ فَٱلْـَٰٔنَ بَٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَٰجِدِ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [البقرة:187]. ويقول: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم:21].

ويقول ﷺ: **«إنّما النساء شقائق الرجال»** و **«الدنيا متاع، وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة»** ويقول أيضاً. **«من سعادة ابن آدم ثلاثة: المرأة الصالحة، والمسكن الصالح،**

والمركب الصالح» ويقول ﷺ: **«من رزقه الله امرأة صالحة، فقد أعانه على شطر دينه، فليتق الله في الشطر الباقي»**. ويقول: **«أربع من أوتيهن فقد أوتي خير الدنيا والآخرة»** ويذكر منها: **«زوجة صالحة لا تبغيه حوباً في نفسها وماله»**. ويقول ﷺ عن نفسه: **«حُبب إليَّ في دنياكم ثلاث الطيب والنساء، وجُعلت قرة عيني في الصلاة»**.

كيف يجوز أن يقول أعداء الدين أنّ ديننا اعتبر المرأة شراً أو فتنة كلها؟ ...

إن فطرة المرأة ليست مخالفة للرجل، فكلتاهما تقبل الشر والخير، والهدى والضلال، كما قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ [الشمس:7-10] وأما التحذير من فتنة النساء مثل قوله ﷺ: **«ماتركت بعدي فتنة أضرُّ على الرجال من النساء»**، فهو هنا تحذير من فتنة النساء، وهو كالتحذير من فتنة الأموال والأولاد، لا يعني أن هذه النعم شرٌ، وشَرٌ كلها !... بل يحذر من شدة التعلّق بها إلى حد الافتتان والانشغال عن ذكر الله. ولا ننكر أن أكثر رجال الدنيا يضعفون أمام سحر المرأة وجاذبيتها وجمالها وفتنتها، وخصوصاً إذا قَصدتْ إلى الإثارة والإغراء، فإن كيدها أعظم من كيد الرجل بتصرف.

أليس إذن تنبيه الرجال إلى هذه الفتنة، حتى لايندفعوا وراء غرائزهم، ودوافعهم الجنسية العاتية واجب؟ ولكي أوضح للقارىء عملياً ما هو القصد من وراء حديث رسولنا ﷺ سأوضح له دراسات في هذا الشأن لِيتيقَّنَ أنَّ ما يقصده الرسول ﷺ إنما هو ما سأوضحه كالآتي:

(لا يُخفى على المرء في هذه الأيام الإحصائيات الحديثة والمخيفة التي تؤكد على أن معدلات الطلاق في السعودية قد ارتفعت من (2) في المئة إلى (60) في المئة خلال ال (20) سنة الماضية، في حين وصلت نسبة الطلاق في مصر طبقاً لإحصائية التعبئة والإحصاء إلى (70) ألف مطلقة خلال عام 2006 فقط.

من المسؤول يا ترى عن زيادة معدلات الطلاق هذه؟ هل المرأة أم الرجل؟ حيث تشير الدكتورة (عزة كريم)، رئيسة المركز القومي للبحوث الاجتماعية بالقاهرة، في دراستها إلى تزايد نسب الطلاق في السعودية والإمارات والكويت والأردن وكافة البلاد العربية. كما أن منطقة المغرب العربي لم تكن بمنأى عن هذه الظاهرة)[1].

(1) وكذلك الموقع www.almualam.net.

وإن هذه الزيادة المخيفة من نسب الطلاق والتي كانت تعاني منها شعوب الغرب قد انتقلت إلينا، وخاصة إلى المجتمع الخليجي.

وأشارت الدكتورة (عزة كريم) السالفة ذكرها: (أن السبب الرئيس في ارتفاع نسب الطلاق هو الهجمة الشرسة لفتيات الفيديو كليب ونجمات الإغراء الفني اللائي يظهرن شبه عاريات، ما يهدد الزوجات ويدفع الأزواج إلى البحث عن أخرى)[1].

إذن هناك سؤال يطرح نفسه وهو: من المسؤول عن زيادة نسب الطلاق؟ بل من المسؤول عن هذه الفوضى على الإطلاق؟ هل الرجل أو المرأة؟ من هم أعداء النساء؟ أليس أعداءهن من نفس الجنس؟ أليس هذه الفتيات ـ أي فتيات الفيديو كليب ونجمات الإغراء الفني ـ أعداء النساء المتزوجات في السعودية ومصر والمغرب العربي، بل وجميع الدول الإسلامية؟ أليس بسببهن تتعرض الزوجات إلى الطلاق؟ يا ترى إذا كان الفرد منصفاً في الجواب، ألا يستوجب أن نقول: صدق رسول الله ﷺ عندما قال: «**ما تركت بعدي فتنة أضرُّ على الرّجال من النّساء**». أليس هذا دليل على نبوته، وحديثه هذا يوافق كل العصور والأزمنة...

أليس وسائل الإعلام الناقلة لمثل هذه الفنون الرخيصة التي لا تتلائم مع أخلاقنا الاجتماعية والدينية هي المسؤولة.

أولاً ـ عن كل المشاكل السابقة ذكرها؟ أليسَ هذا الفن كان أداة الهدم لقيمنا الأسرية؟ متى يفيق أصحاب الفضائيات من غيِّهم ليعودوا إلى رشدهم فكفاهم هدم لعوائل المسلمين؟ فلو عاش أصحاب الفضائيات بهذه الأموال المحرمة وتلذذوا بها، وحتى لو عاشوا بها مثل الملوك والقياصرة...

لكن إلى متى إلى 70 عاماً أو 80 عاماً؟ فالحياة الدنيوية لا لذة فيها بعد هذه المرحلة، ولو فكر هؤلاء على أن ما بعد هذه الحياة الدنيا حياة سرمدية واللذة الحقيقية هي هناك لما فعلوا ذلك، وإذا استمروا في جمع الأموال بهذه الطرق المحرمة فسيحرمون من تلك الحياة السرمدية إلى الأبد.... ألا فليعلموا أنهم بفعلتهم هذه سيدمرون حياة ملايين الأسر المسلمة ويحطمون أركان بيوتهم، ويرسلون نسائهم وهم السبب في تمهيد الفرص لنشر تلك

(1) بتصرف. www.mawaly-.Com.

الفنون التي تؤدي إلى تدمير تلك العوائل وزيادة نسب الطلاق، فلماذا لم تكن نسب الطلاق مرتفعة قبل ظهور الفضائيات؟!! . . .

وأخيراً يا تُرى أليست فتيات الفيديو كليب هن المسؤولات مباشرة عن تدمير القواعد الزوجية، أَلَسْنَ أعداء النساء اللاتي هن من جنسهن؟ أَلَسن أعداء النساء اللاتي يتمُّ طلاقهن بسببهن؟

إذن صدق الرسول في حديثه ﷺ وليلغي الآخر كائناً من كان . . . فالمرأة مسؤولة عن الفساد وعن سلب حقوق المرأة نفسها وإن مثل تلك الفتيات في القنوات الفضائية يتحملن تبعة معنوية عن ذلك الفساد . . .

العجز العاطفي ..... نحن والآخر

عندما تنظر إلى وجه المرأة، تشعرك أنها خلقت حقاً لتكون لرجل واحد . . .

وتقول الكاتبة رجاء النقاش نقلاً من فنان فرنسي كبير: إننا عندما ننظر إلى بعض نماذج المرأة الحديثة، نحس في نظراتها عشرات الرجال . . . لا رجلاً واحداً فحسب . . . .

يا ترى ما الذي يجعل بعض بنات هذه الأيام يفقدن أجمل صفات حواء: التوحيد في الحب . . . والإخلاص لشريك الحياة . . . أين بقيت قيمنا الإسلامية؟ أين تلك التربية العظيمة التي تربينا عليها؟ . . .

ما السبب في كل ذلك: الحرية ... أو الفهم الخاطىء للحرية ...

أنا لا أنكر أن المرأة العصرية بدأت تذوق طعم الحرية لأول مرة .

ولقد أصبح من حقها أن تختار الرجل، دون أن يقول لها المجتمع: عيب!، نعم وهذا هو مطابق للشرع الإسلامي، لكن المرأة لا تعرف ماذا تفعل بالحرية، وهل فَهْمُها خاطىء للحرية؟

وتعلق الكاتبة رجاء النقاش في هذا المجال: (بناتنا مصابات بهذا المرض: العجز العاطفي، والمصابات به في حيرة، إنهن لا يعرفن ماذا يفعلن بتلكم الحرية).

هل تقلد البنت مثلاً (فرنسواز ساجان) وتعيش في: مراهقة دائمة! أم تقلد (مارلين مونرو)، فتعرض فتنتها دائماً على العيون لتشعر بالنشوة من نظرات الإعجاب . . في الشارع والأوتوبيس ومكان العمل وغيرها من الأماكن[1]؟

المرأة والعجز العاطفي

هل هو مرض فينا أم تسرب إلينا من الآخر ... ؟

أيتها المرأة هل تُريدين إفسادَ حياتك وحياة عائلتك؟ هل تُريدين أن تقلدي حياة الآخر (الغرب) وأنت تقرأين قصصاً بعد حين كُتِبَتْ بأيادي أدباء فطاحل في الغرب والشرق؟ إلى متى تعيشين حياة تعيسة وأنت لنا أمٌ وأخت وبنت وأنتِ أغلى شيء في حياتنا؟ انظري نظرة بسيطة إلى الوراء لتأخذي درساً وعبرة من الآخر ولا تنجرّي نحو دأب الحديث وتفسدين حياتك . . .

استفيدي من هذه القصص لتنقذي حياتك لأنك مربية الأجيال.

ابتعدي عن مرض العجز العاطفي، وهذا المرض نهانا عنه ديننا الحنيف لتعيشي كإنسانة سعيدة تتلذذين برؤية أولادك وتنعمي بالعيش في ظلهم وظل زوجك الوحيد . . .

يا ترى من يرضى من الرجال بمثل هذه النساء ذوات العجز العاطفي، وهل خلقت المرأة لتكون فعلاً لجميع الرجال، هذه آفة أخطر من أي مرض عضوي، لأن المرض العضوي مهما كان له دواء، ولكن ما دواء هذه النساء ؟ . . نعم أنا لست ضد أن تختار المرأة الرجل الذي يناسبها وهذا من حقها حتى في شرع الله، ولكن هل نسمح للمرأة أن تختار جميع الرجال؟!!

الغريب أن هناك نساءً أديبات كاتبات رسّامات . . . إلخ إنهن لَسْنَ جاهلات بل نقول عالمات في اختصاصهن ولكن هل هنَّ عاقلات؟ فالعقل غير ذلك فربما تكون المرأة (أو حتى الرجل) عالمةً ولكن ليست عاقلة، فالعاقل هو الشخص الذي يتصرف بأسلوب لا يودي

(1) تأملات في الإنسان : رجاء النقاش 1977.

بحياته وبذلك يقع في مشقات ومصائب في حياته، وهناك كثير من الأمثلة على مثل هؤلاء النساء، تذكر لنا الكاتبة البارعة رجاء النقاش[1]، وهي قد ألفت كتابها سنة 1977 إلا أن كتابها يطابق حالنا كمسلمين أو شرقيين تماماً في هذا العصر. كان كتاب رجاء النقاش في ذلك الحين متعلقاً بنساء الغرب واليوم كأن تلك النساء هنَّ نسائنا وأخلاق معظم نسائنا . . . أليست تلك مصيبة فينا، أيُّ رجل في زماننا هذا يقبل أن يكون وجه المرأة لجميع الرجال وليس لرجل واحد؟ فإذا كان الغرب قد فلت عنده أمر النساء، فلماذا يفلت من أيدينا أمرهنَّ، أين تطبيق وصية رسولنا ﷺ عندما قال: «**أوصيكم بالقوارير**» . . . !!! فعلينا كمسلمين أو شرقيين أن نهتم بالنساء أكثر من الرجال فهنّ منشآت الأجيال . . .

فلنقرأ الأمثلة التي سردتها الكاتبة (رجاء النقاش):

ربّما كان أشهر نموذج لهذا النوع من النساء هو أديبة فرنسا المشهورة جورج صاند. . وجورج صاند عاشت في القرن الماضي وكانت غريبة وشاذة . . ولكنها لو عادت إلى العصر الحديث لكانت امرأة عادية، فالعصر مليء بمن يشبهنها إلى حد بعيد. .

وقصة واحدة من حياة جورج صاند تكشف طبيعتها المتقلبة الغريبة، فقد أحبها الأديب والشاعر الرقيق ألفريد دي موسيه، وكان يقول لها أجمل شعره، أما هي فكانت تقول له إني أعبدك. وذهبا معًا إلى إيطاليا، ليعيشا في أحضان الطبيعة يتمرغان في (اللّهب المقدس ويفنيان في القبل). وفي إيطاليا مرض موسيه، وجلست إلى جانبه جورج صاند، وعندما جاء الطبيب الإيطالي «باجالو» لعلاج المريض نسيت المرأة المتقلبة حبيبها وقامت لتحتضن الطبيب وتقول له: أنت حبيبي إني أعبدك . .

وكان موسيه في فراشه يهتز من الحمى، أما هي فقد جلست تكتب إلى الطبيب رسالة غرام ملتهبة وتسلمها له. ثم تسلم له نفسها وتترك حبيبها على فراش مرضه وحيدًا، وتسافر مع الطبيب الذي يستمر معها بعض الوقت ثم يهجرها.

هذه صورة من المرض الذي تصاب به المرأة عندما تعجز عن فهم الحرية والاستفادة منها. إنه العجز العاطفي الذي يجعل المرأة غير قادرة على حب رجل واحد والوفاء له.

ولهذا المرض أكثر من صورة . . . ولعل الأديب العالمي «تشيكوف» هو واحد من

(1) تأملات في الإنسان : رجاء النقاش 1977.

أروع الذين صوروا هذا المرض واكتشفوا أعراضه، وما كتبه تشيكوف منذ ستين سنة ينطبق على حياتنا اليوم . . . وكثيراً ما نلتقي بتلك الصور النسائية التي صورها تشيكوف وعبّر عنها . .

واشتد المرض على الزوج فأصبح من الواضح أنه سيموت.

وجاء عدد كبير من الناس إلى البيت يزورون المريض . . وكان الحزن الشديد واضحًا في عيونهم . . وبدأت الزوجة تنتبه إلى شيء غريب. واكتشفت فجأة أن زوجها رجل عبقري، رجل مهم.

كان أحد زملائه يقول عنه: (ما أفدح خسارة العلم فيه، فقد كان على خلافنا جميعًا رجلاً ممتازاً، وأي موهبة وأي أمل كان يشيعه فينا) وفوجئت الزوجة !

إنّ هذا هو ما تبحث عنه طول عمرها. لقد كانت دائمًا تريد أن ترتبط برجل عظيم له أهمية و وزن . . وكان زوجها عظيمًا دون أن تدري . . وها هي تعلم الحقيقة ولكن في آخر لحظة . . وهو على فراش الموت . .

إنها لم تكن تفهم شيئًا وكانت مخدوعة بأصدقائها الزائفين وتواضع زوجها العظيم . . ومشكلة هذه الزوجة أنها كانت مصابة بالمرض الخطير الذي نتحدث عنه وهو: العجز العاطفي . . إنها لم تعرف التركيز في حياتها وعواطفها . . فكانت حائرة قلقة، ولم تكن تعرف كيف تتصرف في حريتها . .

ولم تحاول أن تفهم الأمور بعمق . . وكان البريق الخارجي يثيرها. وأدى هذا كله إلى تشويش نفسها وأفكارها . .

فلم تعد تعرف كيف تميز بين الجمال والقبح. ولم تعرف لمن تعطي حياتها، فكانت تنتقل بين عدد كبير من الرجال، وتحب هذا فترة وفي فترة أخرى تحب غيره ثم تتناسى نفسها وخلائلها. .

إن اتساع علاقتها مع الرجال، وعدم عمقها في معرفة قيمتهم الحقيقية، ورغبتها المريضة في الشهرة بدون جهد وبأي ثمن عاجل وسريع . .

هذه الحياة المشوشة قد جعلتها عاجزة عن الإحساس بأي عاطفة عميقة . . وكانت النتيجة أن عجزت عن تحقيق هدفها. وهو الارتباط برجل مهم. بينما كان هذا الهدف أقرب إليها من أي شيء آخر.

وبقدر ما يكشف (تشيكوف) عن تفاهة هذه المرأة وعجزها عن الشعور بعاطفة عميقة نحو رجل واحد، فإنه يكشف أيضاً أن الشيء الجميل العميق إنما هو شيء بسيط متواضع، أما الثرثارون المتظاهرون، فهم تفاهة أنيقة ملفوفة بالسلوفان. وهذا النوع من المرأة نموذج نراه كثيرًا في حياتنا. امرأة تريد أن تكون مهمة، وتتعرف على المشهورين بدون مقياس أو وعي. وهي دائمًا تحيط نفسها بمجموعة من التافهين وتغذي عجزها وشذوذها العاطفي . .

أين إذن المرأة الحقيقية؟ أين الحب الحقيقي عند أديبة فرنسا، فهل أنها نسيت بهذه السهولة الحب الذي كانت تبديه للشاعر الرقيق (الفريدي موسيه)؟ هل بدت نساؤنا تفعل هكذا؟ وخاصة في هذا القرن؟ ربما بدأنا نقترب من هذه الحالة، . . . سَتَرنا اللهُ منها إن شاء الله.

إني شخصياً أرى أن كثيراً من نساء المسلمين والشرق ولحد اليوم حتى بعد فقدان أزواجهن لأسباب عدة كأن يكون السبب مرضاً، أو حادثة، أو موتاً . . وإلخ من الأسباب فلا يتزوجن بعد فقدان أزواجهن . . وذلك لحبهن الصادق لأزواجهن، وإنهن يصبرن في حياتهن الدنيا ولا يتزوجن برجلٍ آخر للإخلاص المدفون في قلوبهن.

هكذا هو الحب في الشرق، مع أن الشريعة السمحاء قد سمحت لهن بالزواج من رجل آخر إلّا أن كثيراً منهن يأبى ذلك . . . ما أجمل هذا الحب، سبحان الله من هذا الإخلاص الصادق . . . من أين نشأ هذا الإخلاص؟ أليست تربيتنا الدينية هي التي ربتنا هكذا؟ وإلّا ما الفرق بيننا وبين الآخر ؟

لم تكن تعرف نساؤنا في السابق الحب الذي كان موجوداً في أوروبا، هذه إذن صورة من المرض شاعت في أوروبا في الماضي والحاضر، لكن هذه الصورة المَرَضِيّة تصاب بها المرأة عندما تعجز عن فهم الحرية والاستفادة منها . .

والحمد لله لم ينتشر هذا المفهوم عن الحرية في مجتمعاتنا بصورة شاملة، وإن كان لا يخلو منها، وإني إذ أكتب عن هذا الموضوع لكي أُجَنِّب نساءنا من الخوض في هذه المآسي ولإبعادهن من الإصابة بهذا المرض لا سمح الله . . .

أليس ما فعلت الأديبة المشهورة (جورج صاند) هو بعينه عَجْزٌ عاطفي يجعل المرأة غير قادرة على حب رجل واحد والوفاء له.

هنا أود أن أوجّه كلمة للنساء بعد قراءة القصة التي وردت على لسان الأديب العالمي (تشيكوف)، هل النساء يرضين بهذا النوع من الارتباطات؟ وإذا كان هذا الأديب يتحدث عن

هذه المرأة ويقول: إنّها عاجزة عن الشعور بعاطفة عميقة نحو رجل واحد، فإنه يكشف أيضًا أن الشيء الجميل العميق إنما هو شيء بسيط متواضع، أما الثرثارون المتظاهرون، فهم تفاهة أنيقة ملفوفة بالسلوفان. وهذا النوع من المرأة نموذج نراه مع الأسف قد دخل توًّا في شرقنا ونراها هنا وهناك . . . عجيب أمر مثل هذه النساء . . . ! امرأة تريد أن تكون مهمة، وتتعرف على المشهورين بدون مقياس أو وعي، وهي دائماً تحيط نفسها بمجموعة من التافهين لتغذي عجزها وشذوذها العاطفي . . . أيتها المرأة اسمعي هذه القصة التي سأقصها عليك فإن لك فيها حياة، ولعل المرأة الحنون بعد هاتين القصتين ستفيق وتعرف أنَّ الحب هو لرجل واحد وليس لرجال . . .

ففي القصتين السالفتي الذكر نرى أن المرأة في كل قصة كانت مصابة بالتشويه والعجز العاطفي، ولو لم تكن مصابة بذلك المرض لما وقفت في وجه الحب البريء الجميل، وليس في الحياة أجمل من الحب، فهو أساس العمل والأخلاق، وهو الزهرة التي تعطي للوجود رائحة حلوة . . .

أيتها المرأة تأكدي أنه لا يمكن أن تكون الحرية
تفسيراً أو تبريراً لهذا المرض، فالحرية التي تفسد شعور المرأة بالحياة
هي مرض وليست ميزة.

إن هذا النوع من الحرية الزائفة يؤدي بحياة المرأة ويجعل مصيرها العجز العاطفي لا غيره.

إذن أين أنتِ أيتها المرأة؟ إن هذه الدنيا ليست سوى منظر يُرَى من خلال شباك في قطار، وهي دار الغربة وليست دار وطن، وهي السفر وليست الوطن، إذن إلى متى تكنزين هذه الأموال الطائلة مقابل فنونكِ أيًا كانت، إنكِ بعملكِ هذا تحسبين كأن الدنيا هي مقامُكِ الأبدي، في حين أن الحقيقة تُقِرُّ بأن الإنسان قد حمل نعش أبيه في الأمس وسيحمل أولادكِ نعشكِ أنتِ في المستقبل إذن هكذا تنتهي حياتُكِ الدنيا . . .

إنكِ أيتها الفنانة عندما تمر عليك السنين فكلماتُكِ التي كنت تغنين بها أو تمثلين بها كانت حينئذٍ متحمسة نشوانة . . . فصارت تلك الكلمات صفراء تهبط من لسانك اليوم في صمت كأوراق الخريف . . . ولست مبالغاً إن قلت أن المرأة بعد أن يذبل جمالها تكسد في سوق الرجال، وبعد ذلك تعيش وحيدة منبوذة، تنساها حتى القنوات التلفزيونية والإذاعات والمجلات التي كانت تكتنز أموالاً من ورائها.

هل تسرب العجز العاطفي إلينا؟

مَن السَّبَبُ في كل ذلك ؟

أليس ابتعادنا عن قيَمنا هو السبب الرئيس في ذلك ؟

وهل لنا أن نتقي هذا المرض، ونعود إلى تراثنا ؟

نعم تسرب فينا هذا العجز ولكن الخلاص منه سهل يحتاج إلى الانتباه لندفع شره عنا . . . من الذي ترى مصاب به أو سيصيبه هذا المرض؟ أكثر الفنانين والفنانات، حيث أن الفنانة تتصور أنها لو تزوجت رجلاً، فإنها تفقد حب جماهير الشباب والرجال قاطبة ولأجل ذلك فلا تتزوج وحتى لو تزوجت، فإما زواجها يكون متأخراً أو تتزوج ثم بعد فترة تطلب الطلاق من زوجها لأنها لا تتصور أن هذا الرجل الوحيد كافٍ لها، لأنها بكل بساطة تفكر كأنَّ وجهها خلق لجميع الرجال وليس لرجل واحد، وتقول في نفسها: إن المجتمع قد سمح لي بالاختيار . . . وأنا أختار جميع الرجال.

إذن بهذا المرض الخطير تفقد هذه الفنانة زوجها وحتى أطفالها وإنها تدمِّرُ بفعلتها هذه عائلة بكاملها، ولعلّ الأمثلة على ذلك كثيرة ولا أريد ذكر الأسماء، لكن ماذا يقول أَزواج هذه الفنانات في أكثر الأحيان؟ يقولون: أنهم يريدون من زوجاتهم الكَفَّ عن الغناء والرجوع إلى بيوتهن، والقصد من وراء ذلك ترك الفن والانصراف للحياة الزوجية وتربية الأولاد، والأهم من كل ذلك يعلم الزوج أنها (أي الزوجة) ليست له فقط إنما هي لكل الشباب والرجال، كما أسلفت آنفاً، والأمثلة كثيرة ولا أريد ذكر الأسماء وإلّا لذكرت تلك الحالات . . .

أرأيتِ أيتُها المرأة؟

المرض الخطير قد تسرب إلينا ونحن لا ندري إنه هو مرض العجز العاطفي ...

فعجز المرأة عن حب رجل واحد والإخلاص له ... وهو مرض يشقي المرأة كما يشقي الرجل ... إنه يؤدي بالمرأة نفسها إلى المأساة. فلا بد أن تحطم حياتها في النهاية .. ولابد أن تقف حائرة في آخر الأمر أمام حياة كلها فراغ محض، ولكن أية حياة؟ حياة ملبئة بالذكريات السيئة ليس فيها سوى الآلام ... لهذا أيتها المرأة وَددتُ على الأقل أن أُنبهَكِ وأرجوكِ أن تبتعدي عن هذا المرض. وأود أن أقول: ما كنا نراه في الماضي وقد غرب عن مجتمعنا، لكن عالمنا الثالث بدأ يقلد موجات العبث والانحلال وضجيج الديسكو وسينما العنف، والأدهى من ذلك أن بعضاً من عالمنا الثالث يَعُدُّ تلك الأمور تَقَدُماً... ولكني أرى ذلك عودة إلى الوراء وانتكاس إلى الحيوانية والبدائية وإلى صراخ الغريزة، كل ذلك يؤدي بنظرة علماء النفس والاجتماع إلى تدهور المجتمع والتخلف والاكتئاب، والغريب أن الاكتئاب قد وصل إلى شباب وأطفال مدارس المتوسطة في الغرب حيث ذكرت إحدى قنوات التلفزة العربية بتاريخ 2007/7/23: إن الكآبة أصابت شباب المدارس وزادت نسبتها في بريطانيا إلى أربعة أضعاف ما كانت عليها سابقاً، وبدأ هؤلاء الأَطفال بتناول حبوب المهدئات. فلو قارنا هذه النسبة مع أولادنا ـ في نفس الأعمار في شرقنا ـ لكان الفرق بيننا وبين أولاد الغرب كبيراً والحمد لله فإن لتربيتنا وديننا دور مهم في إبعاد هذا الأمر الخطير عنا.

الرّجال ... وهل هم ناجون من العجز العاطفي؟

إن الرجال ولنفس السبب يُصابون بالعجز العاطفي، ولكن مَنْ مِنَ الرجال يصابون به؟

الفنانون، فهم بالضبط يظنون أنهم محبوبون من قبل الشابات والنساء، فلا يقبلون على الزواج من شابة خشية أن يفقدوا محبة جماهير النساء والشابات، وحتى لو تزوجوا ففي أكثر الأحيان يفسد ذلك الزواج، وقد تطلب الزوجة الطلاق لأن كثيراً من النساء المعجبات

بزوجها، يتصلن به وهي تغار، أو الزوج نفسه ينحرف ويُطَلِّقُ زوجته، هكذا هو حال هؤلاء، إذن فالرجل بنفس النسبة يصاب بمرض العجز العاطفي وليس المرأة فقط . . .

إذن أين نحن في هذا الزمان، كيف نوصف أنفسنا، فقبل عدة شهور على سبيل المثال تزوج فنان عربي مصري يناهز عمره أكثر من ستين عاماً بشابة عمرها (23) سنة وطلق هذا الفنان زوجته وهما أصحاب أولاد في الجامعات. إذن ما السبب في ذلك ؟!! الجواب معروف للجميع فلا يحتاج التعليق . . . إذن أين نحن من قيمنا؟ أين نحن من ديننا؟ أين الغيرة؟ أين الوفاء؟ ألسنا مقلدون للآخر (الغرب)؟ أليس هذا التقليد تقليد أعمى؟

لاعب كرة محترف من البرازيل وهو من ألمع اللاعبين يُطَلِّقُ زوجته ـ بعد أن كان قد عشقها ـ والسبب يمكن في أن المعجبات كانوا على اتصال دائم به لذلك ـ حسبما أذكر ـ هي طلبت الطلاق منه . . . إذن فالرجل لا يكون لزوجته بل لنساء كثيرات . . . هل هذا هو التقدم؟ أم هذه هي الرجعية بعينها. وهل هذه هي الحرية أم الفهم الخاطىء للحرية؟

فزوبعة الحياة الجديدة المتمثلة في انشغال الناس بكل ما يُلهيهم عن التفكير في الأمور الأكثر أهمية والتي تنجيهم من قلق الدنيا فيعيشون حياة يأخذون منها نصيبهم وبشكل يرضيهم ويرضي ربهم ومجتمعاتهم.

(فلماذا يصرخ المغنون؟ - كما يقول د. مصطفى محمود في كتابه الوجود والعدم ، ولماذا يتشنجون؟ ولماذا هذه الإيقاعات المزعجة والموسيقى النحاسية التي تخرق الآذان؟ هذه الأمور تُفصح عن فقر فني، وذوق فاسد، وبلادة سمعية. أليس العالم اليوم مُعْرِضٌ تماماً عن كلّ ما هو ربّاني، وغارق في كل ما هو عَلْماني ومادي ودنيوي وشهواني وعاجل وزائل. الكُلُّ متعجل يريد أن يغنم شيئاً، لا أحد ينظر فيما وراء الموت، فما بعد الموت في نظر هولاء ماهو إلّا خرافة. فالمُغنّي أو المُغنّية يتلوون على المسرح تحت بقعة ضوء. والألوف من المشاهدين يرقصون كالأشباح في الصالة دون وعي. ومهما قلنا لا أحد يصغي لما نقول، فالكلّ يصرخ ويصفق ويهتف ويتلوى كأفاعٍ مسحورة)[1].

(1) الوجود والعدم - ص36، 2003.

أستاذ ألماني: يستفسر من طالبه ويقول: عجيب أمر المنقبات ... ! ولماذا هذا اللّباس؟ ..... وهل هو عادة أم موجود في القرآن

الأستاذ: إنني أتعجب عندما أرى نساءً هن منقبات في دولكم العربية والإسلامية، ما هو أمر هذا النوع من الحجاب وهل أمر الإسلام بذلك؟

الطالب: أيها الأستاذ سأقرأ عليك آيات قرآنية وأحاديث نبوية لأُبين ما أمرنا الله تعالى ورسوله حول هذا الموضوع قال تعالى: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ﴾ [النور: 31]

فالقصد من ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ أي محل الزينة إلا ما ظهر منها، وهو الوجه والكفان فيجوز كشفهما.

عن أسماء بنت أبي بكر ﷺ: دَخلت على النَّبِيِّ وَعَلَيَّ ثيابٌ رقاق[1] فأعرَضَ عني وقال: «**يا أسماء إنّ المرأة إذا بلَغتِ المحِيضَ لَم يَصْلُح لَهاَ أَنْ يُرى منها إلَّا هذا وهذا وأشارَ إلى وجهِهِ وكَفَّيهِ**»، رَوَاهما أبو دَاوُدَ.

ويستمر الطالب في حديثه قائلاً: حضرة الأستاذ الفاضل عندما يقول الباري ﷻ:

﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ﴾ وكذلك ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾، إذا دققنا وتابعنا معنى غضّ البصر ومن أي شي يغضّ البصر، طبعاً إلّا أن تكون الوجوه مكشوفة وحسنها ظاهر، وكيف يكون غض بصر الرجل عن خيمة سوداء بثقبين وحسنها غير ظاهر(كما يقول الدكتور مصطفى محمود)[2]، إذن فالوجوه تكون مكشوفة

---

(1) دخلت أسماء وعليها ثياب رقاق (جمع رقيق) وهو ما لا يستر لون البشرة فأعرض عنها، وقال: إن المرأة إذا بلغت المحيض أي: زمن الحيض وهو البلوغ لا يَصح أن يرى منها إلاّ الوجه والكفان فلا يجب سترهما ويجوز للأجنبي أن ينظرهما إذا أَمنت الفتنة، وهذا مذهب المالكية وقول للشافعية، والقول الآخر: يحرم النظر إليهما لأنه مظنة الفتنة وهو الراجح للاحتياط.

(2) الإسلام السياسي والمعركة القادمة، ص: 99، 1997.

وحُسنها لافت النظر، وهي طبعاً وجوه المؤمنات.

هذا وإنّ كُتُبَ السُنة تحتوي أحاديث صحيحة وحَسَنة تقطع بأن المرأة كانت سافرة الوجه بحضرة الرجال الأجانب في المسجد، وفي السوق، وفي كافة محافل المسلمين، وظلّ هذا حتى توفي رسول الله ﷺ وبعده، وقد أيد هذا الأمر القرآني بغضّ البصر فإذا كانت الوجوه مغطاة فمِمَّ يغض المؤمنون أبصارهم؟

الأستاذ: من يقول أن ذلك للمؤمنات؟

الطالب: بصريح الآيتين السابقتين الذكر حيث يقول تعالى: قل للمؤمنين ... الخ

قل للمؤمنات ..... الخ. ولم يقل الباري ﷻ: قل للفاسقات والفاسقين ....

الأستاذ: إذن أين أتت ظاهرة المنقبات؟

الطالب: المهم أنّ القرآن والأحاديث النبوية لا يذكران ذلك، وإذا وضحت لك تفسير هذه الآيات القرآنية فهو كالآتي:

يقول المفسرون[1]: (المراد بالزينة مواضعها من البدن، فيحرم إظهارها، وكذلك النظر اليها، إلّا ما استثني لدفع الحَرَج وهو الوجه والكفان والقدمان).

الأستاذ: يظهر أن هناك توافقاً بين القرآن الكريم وحديث الرسول في هذا المجال، حيث في الحديث الذي ذكرتهُ لي آنفاً عن أسماء بنت أبي بكرٍ واضح، أن نبيكم أشار للوجه والكفين واستثناها من الستر، الآن علمت أن دينكم لم يُلزم النساء بلبس النقاب .

الطالب: وللتوضيح والتثبيت يقال إذا كان وجه المرأة جميلاً جداً بشكل أنه يؤدي إلى الفتنة فيُحرم النظر إليها لأنه مظنة الفتنة وهو الراجح للاحتياط وكما جاء في شرح الحديث السابق ـ طبعاً لأنه يسبب مشاكل كثيرة ـ وفي ذلك الحين يجب لبس النقاب.

الأستاذ: إذاً أفهم منك بوجه عام، إذا كانت المنقبات اللاتي نتحدث عنهن هن

(1) هفوة البيان لمعاني القرآن، للشيخ حسنين محمد مخلوف، ص: 451، 1987.

المؤمنات فقط وما عداهن خارج عن الملة . . فما القول إذن في الآيات القرآنية الصريحة التي تخاطب المؤمنين والمؤمنات .

الطالب: نعم لقد أصبتَ يا أستاذ ولكن أود أن أؤكد لك مرة أخرى أنّ النقاب واجب لبسه، إذا كان وجه المرأة جميلاً جداً وذلك لدرء الفتنة، ، طبعاً تثاب المرأة على ذلك في حال تنفيذها . . .

الأستاذ: أود بعد ما سلف من الأسئلة، أن أسألك عن فلسفة الحجاب، ولماذا الحجاب؟

الطالب: حضرة الأستاذ كما أنك تعلم من اختصاصك أن الرغبة الجنسية موجودة في الرجل والمرأة، إذن فالرغبة تلك في الذّكَر مثلها أيضاً في الأنثى فينجذب الأول إلى الثاني وكذلك الثاني إلى الأول، وطبعاً هذا السر الغريب في غريزتي الكلف والنزوع من كل الجنسين رغبة لا إرادية، وكما قلنا سببها الهورمونات الجنسية في كليهما، ولهذا يجب أن تلتزم المرأة وترتدي الزي الإسلامي المحتشم، وتلبس الخمار وتسدل الستار تماماً على مفاتنها ومحاسنها ومواطن الإثارة فيها، وستبقى عيناها ترى بهما الوجود كله.

الأستاذ أيضاً: ما الذي يمنع الرغبة أو النزوع، ويحبط الوجدان، فالإدراك عندها؟ . . .

الطالب: عملية الوجدان لا حيلة للمرأة فيها لأنها عملية مشاهدة ورؤية، فإذا ما رأت شاباً بديناً سوياً في بنائه وسيماً في قسمات وجهه جميلاً في تكوينه، فإن الهورمونات الأنثوية تثير فيها شهوة التمني والرغبة، لكن التزامها بالمنهج الحق يقطع عليها كل سبب للوجدان فيمتنع الإدراك، فهنا يعني أن الدين والعقيدة يقويان الإرادة ويجعلانها تقاوم أقوى غريزة لدى الإنسان، ولولا هذا لكانت المشكلة لا تزال قائمة لا تمنع الإدراك والإثارة من جانب الرجل، ولا تزال قائمة من طرف المرأة لأنها تراه ولأنها تمتلك حوافز جنسية عاطفية لا حيلة لها فيها ولا قدرة لها على استنكارها وهي في داخلها، وكما أمر الله الرجال أن يغضّوا البصر كذلك أمر النساء أن يغضُضنَ من أبصارهن، حتى يقطع على الوجدان طريقه من الإدراك ويقطع تقدم الوجدان حركة النزوع.

الأستاذ: علمت الآن بشرحك، لماذا كلّف الله المرأة والرجل على حد سواء من غض البصر، وبدأت الآن حقاً أعترف أن دينكم علم وفلسفة ومنطق وحياة . . .

الطالب: نعم لأن ذلك من عند الله وليس من عند البشر . .

الأستاذ: لكني لحد الآن لا أدري كيف أن الالتزام بمنهج الدين وتمسكها بالحق يقطع الإدراك؟

الطالب: أيها الأستاذ عندما تكون الجرعة الإيمانية واقية شافية، فإن حب الله تبارك وتعالى يتسامى بالنفس الإنسانية إلى أرقى مراتبها، ويرتقي بالجسم البشري إلى طهارة الملكية التي لا تلوثها أدران المعاصي، والروح كلما ارتقت إلى سماء الكلف الفوقي بالأعلى اندرجت تحتها شهوات الجسد المتعددة وتروضت غرائزه الشهوانية وتحولت إلى طاقات خلاقة تتلذذ بذكر الله﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرعد: 28][1].

الأستاذ: يهز رأسه ويقول بأسف شديد: نحن في بلاد الغرب وصلنا مرحلة ما بعدها مرحلة، فسادُ ما بعده فساد ... والفساد بعينه، هو الإباحة للأزواج تبادل الزوجات بينهم كأنهن بغايا ومومسات ثم لا يلبثون أن يطلقوهن ويطردوهن إلى الشوارع ليَعثْنَ في الأرض فساداً .... !

هذا وأود بهذه المناسبة، أن أُدون للقارىء العزيز بعض من أبيات الشعر قيلت عن المرأة عندما تغالت في سفورها، وكشفت عن مفاتنها، حيث سخط عليها كثير من الشعراء، وضاقوا، ربما لا بالسفور، ولكن بما اجترأت عليه من عُرِي ومهانة، كقول علي الجندي في فتاة عارية الصدر والظهر والساقين:

قلتُ ياحسناءُ هذا ال حسن بالستر قمينْ [2]
بات نهباً مستباحاً لعيون الناظرينْ
كان قبل اليوم في حص ن من الصون حصينْ
يضرع الصَبُّ[3] إليه وهو قاسٍ لايَلينْ
فغدا مبتذل العز ة للنذل قرينْ
كيف هان الحسن والحسن عزيز لايهون ؟

---

(1) الطالب كان قد استفاد من أجوبته للفقرات الثلاث الأخيرة في الحوار، من كتاب (الفتاوى) للشيخ محمد متولي الشعراوي 1981 ج، ص22-23.

(2) * قمين: جدير.

(3) * الصبُّ: الرغبة.

فُضول النَّظر

حوار بين أستاذ ألماني وطالبهِ المسلم

الأستاذ: أنتم المسلمون لديكم فضول النظر وغض البصر، وهل غض البصر يعني: صرف كل النظر، ولزيادة التوضيح لو كنتُ مسلماً وجائتني طالبة وهي محجبة فإذا لم أنظر إليها فكيف أعرفها؟

الطالب: فضول النظر هو إطلاقه بالنظر إلى الشيء بملء العين. والنظر إلى ما لايحل له، وهو على العكس من غض البصر، والغضّ هو النقص، وقد أمر الله ﷻ به وقال:

﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [النور: 30].

ثم أن الله ﷻ لا يأمر بصرف النظر كل النظر وإنما بصرف بعضه قال تعالى: ﴿مِنْ أَبْصَارِهِنَّ﴾ ولما كان تحريم فضول النظر من تحريم الوسائل فيباح للمصلحة الراجحة ويحرم إذا خيف منه الفساد ولم تعارضه مصلحة أرجح من تلك المفسدة، ولم يأمر الله سبحانه بغضّه مطلقاً بل بالغض منه.

الأستاذ: وما عن حفظ الفَرج، هل هو كذلك؟ ثم لماذا غضّ البَصر سبق حفظ الفَرج في الآية ؟

الطالب: حفظ الفَرج واجب بكل حال لايُباح إلا بحقه فلذلك أَمر بحفظه، وقد أمر الله ﷻ بغض البصر وصيانة الفرج وَقَرَنَ بينهما في معرضِ الأمر، وبدأ بالأمر بالغض لأن العين رائد للقلب، وكما قيل: أَلَمْ تَرَ أَنَّ العَيْنَ للقلب رائِدٌ فما تألُف العينانِ فَالقَلْبُ ألِفُ. ولأن غضَّ البصر وسيلة إلى حفظ الفرج وصيانته، وهو الباب الأكبر إلى القلب، وأعمر طرق الحواس إليه وبحسب ذلك كثر السقوط من جهته و وجب التحذير.

الأستاذ: أنا أتعجب من إجاباتك لي في أمور دينك، من أين لك هذه المعلومات؟

الطالب: ديننا فَصَّل كل شيء لنا في الحياة، وقد عرفت هذه الأمور من كتاب

الجواب الشافي ـ إغاثة اللّهفان.

الأستاذ: أنا فهمت منك أن فضول النظر آفة، هل لك أن تذكر لي منها شيئاً مقنعاً . . .

الطالب: نعم أيها الأستاذ إننا معاً نرى في هذه الباحة في كلّيتنا فتيات يتشمسن وإنهن حسناوات، فإذا نظرنا إليهنَّ أكسبنَ قلوبنا ظلمة، وإذا أظلم القلبُ أقبلت عليه سحائب البلاء والشر من كل مكان، و إذا فقد ذلك النور من القلب بقى صاحبه كالأعمى الذي يجوس في حنادس الظلام .

الأستاذ: أنت تقول غض البَصر لله عَزَّوَجَلَّ يكسب القلب نوراً، ما هذا النور وكيف يظهر؟

الطالب: إنه يظهر في العين وفي الوجه وفي الجوارح ولهذا ذَكَرَ الله في قرآنه آية النور عقب الأمر بغض البصر فقال تعالى:

﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [النور:30].

ثم قال إثر ذلك: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَـٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَـٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [النور:35]، أي مثل نوره في قلب عبده المؤمن الذي امتثل أوامرهُ واجتنب نواهيه، وإذا استنار القلب أقبلت وفود الخيرات إليه من كل جانب.

الأستاذ: فكيف يؤثر فيَّ وأنا لست مسلماً؟

الطالب: نعم سؤالك وجيه إذا أصرت النظر إليهن، كما أراكَ أحياناً كذلك وبكل صراحة . . . . ، فإن ذلك يعني أنَّك كنتَ خائناً مع زوجتك، فإذا كانت زوجتك لَكَ وحدك وهي حبيبتك فلماذا تنظر إلى غيرها؟ وهذا هو فضول النظر الذي يخرجك من الطريق، ويقسي قلبك ـ بمنظرونا في الإسلام ـ وحتى أن نَظَرَك هذا يَسُدُّ عَليك باب العلم ولو لسويعات . . . إذن ألست بهذا التصرف خائناً لزوجتك؟ وهذا العمل الذي أنت تقوم به أحياناً بالنظر إلى هذه الحسناوات قد حرَّمه الله علينا . . . ، إذن يعني أن الله يصون حقوق زوجتك عندما ينهاك عن فضول النظر . . . هكذا يعطي الإسلام حق الزوجة.

واعْلَمْ أستاذي أن نظرك هذا يسمح بدخول الشيطان إلى قلبك، فإنه يَدْخلُ مع النظرة وينفذ معها إلى القلب أسرع من نفوذ الهواء في المكان الخالي، فيمثل له صورة المنظور إليه ويزينها ويجعلها صنماً يعكف عليه القلب، ثم يمنيه ويوقد على القلب نار الشهوة ويلقي عليه حطب المعاصي التي لم يكن يتوصل إليها بدون تلك الصورة.

واعلم أيها الأستاذ أن العين تستطيع أن تجمع كل طاقة القلب في نظرة واحدة، والعين أداة عجيبة يمكنها أن تتكلم بدون ألفاظ ينطق بها اللسان، وأن تقول في لمحة واحدة ما يظل اللسان يرويه في ساعات أو أيام، لهذا فإن الفلاسفة لم يهتموا بشيء في الإنسان بقدر ما اهتموا بالعين، هكذا حقاً وحقيقة وصفت العيون، ولهذا أمرنا الله جلّ وعلا أن نغض الأبصار . . .

وأخيراً أود أن اقول:

لغض البصر صلاة في القلب ترتفع بنورها من دنيا الرذيلة، ذلك لأنهم سلكوا سبل العفاف فبنوا من العين الى القلب جسراً لا تمر تحته الا المياه العذبة، وبالصب الإلٰهي يغدو القلب واحة خضراء يرتفع بها الإنسان.

لا تَقُلْ أيها الفتى أن النظر من الصغائر، فإنها تدعو إلى الكبائر، فالله يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، وتَذَكَّرْ أن قشر الموزة على صغره قد تزل به قدمك فيودي بعمودك الفقري وقد يصيبك الشّلل بعد أن كنتَ جبلاً شامخاً لا تزاح، غدوت أسير السرير.

توسيع أُسلوب الإسلام الحضاري ....

لا شك أنّنا نفهم مما سلف من المواضيع أن هناك إمكانية توسيع الأسلوب الحضاري للإسلام لنشر مفاهيم المضاربة، والمشاركة، والمرابحة ضمن القطاعات الصناعية والمقاولات، وبالنتيجة يمكن تطوير النظام الاقتصادي ليحرر نفسه من نظام الربا الذي يدعم التمييز والاحتكار والاستغلال، والأوجه الأخرى تتضمن تعزيز بيت المال، وذلك يشمل تطوير نظام الزكاة والوقف والموارد العامة (كإدارة وتطوير الميراث، والصدقة والهبة).

فإن تطبيق هذه الأنظمة يسهلُ تنفيذ مبادىء العدل الاجتماعي كما تمليها تعاليم الإسلام. إني أستغرب كثيراً عندما تبعدنا دول كثيرة عن ديننا، لاشك أن نيَّتَهُمْ في ذلك خلق

مجتمع جاهل بدينه ولم يشهد تعليم ديني كافٍ، وهذا بدوره يؤدي إلى خلق شريحة من المجتمع لا قدرة لديه على استيعاب المبادىء الإسلامية الحقيقية، والأَثر هنا له نتيجته مروعة، بحيث يسبب انقسام الأمة إلى مجموعتين ، الأولى منها تقف في صف المعارضة للمبادىء التي يبديها المفكرون الإسلاميون، وتشمل مجموعات تعارض سياسية الإسلام الحضاري، أما الثانية فهي ممن تحب الإسلام لكنها غير قادرة على تفسير و تفصيل مبادىء الإسلام الحقيقية للمجتمع بسبب نقص علمها واطلاعها غير الكافي بالدين. وسنكون في ضر كبير إذا ما استمرت هذه الحالة.

فإذا فهم الجميع في المجتمع معنى الإسلام، لا أشك في ذلك الحين أننا لا نجد من يقتل البريء؟ لأنه يعرف إن فعل ذلك فإن جزاءه هو النار، ولا نجد من يسرق شيئاً لأن ذلك إثم عظيم وله عقاب أليم ، ولا نجد مغتاباً لأن ذلك بهتان عظيم، ولا نجد من يكذب فينا، لأن رسول الله ﷺ قال: **«وجزاء الكذب خِزيٌ في الدُنيا وإثمٌ كبير...»**

أليس المجتمع الذي هكذا يكون رجاله هو مجتمع يعيش في جنة الله .... وإني أقول ذلك ولست مبالغاً في حديثي أبداً.

فالأمّة الإسلامية نتيجة جهلها بأمور دينها وجنوح البعض إلى تضييق نطاق دراسة القرآن ـ الذي فيه ما بين 500 إلى 600 آية من أحكام الإسلام ـ تودي بهم إلى هاوية فيها حرمانهم من المعلومات والتوجيهات الصحيحة من منظور الفقه الحضاري .

ومن الأفضل استبعاد التنافس والخصومات التي حدثت في تاريخ الحكم الإسلامي وخصوصاً بعد الخلفاء الراشدين، فليُطبقُ الجميع حديث محمد ﷺ عندما قال: **«هل أدلّكُم على طريق أرفع منزلة من الصّيام والصّلاة والصدقة؟»** فقال الصحابة: بلى. فقال ﷺ: **«انشروا السّلام بينكم، فإن البغضاء تُفسِد الدين»** رواه أبو داود والترمذي. وبعكس ذلك يصبح حكمنا سهل الهزيمة من قبل الدخلاء والقوات الأجنبية وغير المسلمين .

إذا نظرنا إلى النظام في ماليزيا، فإنهم يرتكزون على تحسين اقتصادهم بشكل عجيب، حيث قال رئيس وزرائهم محمد عبد الله بدوي[1]: إنّ الأمّة الإسلامية في بلدنا لا تحتاج إلى القوة من حيث العلم فقط، بل يجب كذلك تعزيز قوة الأمّة اقتصادياً لكي تتقدم الأمّة وتجلب الكرامة للدين.

---

(1) www.yadim.com.

فيمكن توسيع أسلوب الإسلام الحضاري الرئيس لنشر مفاهيم المضاربة، والمشاركة، والمرابحة ضمن القطاعات الصناعية والمقاولات، وبالنتيجة يمكن تطوير النظام الاقتصادي ليحرر نفسه من نظام الربا الذي يدعم التمييز والاحتكار والاستغلال.

يضيف رئيس ماليزيا عبد الله بدوي قائلاً:

(والأوجه الأخرى تتضمن تعزيز بيت المال، وذلك يشمل تطوير نظام الزكاة والوقف والموارد العامة (كإدارة وتطوير نظام الميراث، والصدقة والهبة). فإن تطبيق هذه الأنظمة يسهّل تنفيذ مبادىء العدل الاجتماعي كما تمليها تعاليم الإسلام. وتضمن هذه الجهود لتطوير الأراضي المملوكة من قبل مجالس الولايات الإسلامية لتفيد الأمّة. ويجب أن يعتمد التقدم الاقتصادي على الشريعة، فعلى الأمّة المسلمة رفع مستوى إيمانها لكي يتم التمتع المشترك بثمر هذا التطوّر دون أن يتآكل من خلال الشعور بالأنانية، والتمييز العنصري والتبذير الذي يتعدى حدود الإيمان، فلا يمكن للأمة المسلمة التفكير عقلانيًا إلا من خلال الإيمان الكافي والإدراك الديني العالي وخاصة عند مواجهة العوامل السلبية الناتجة عن التطوّر المادي. وفي إطار سعي البشرية لإحراز التقدم الاقتصادي، فإن الرخاء والاكتفاء الناتج عن النجاح يجب أن يشمل كذلك رخاء واكتفاء الأمة الأخرى. وبالنسبة لهذا قال الرسول ﷺ: «**الخَيرُ مِنَ النَّاس المُحسن لغيره**»، رواه الطبراني .

ويثبت مجد تاريخ الحضارة الإسلامية أن الاقتصاد القوي المنيع والاستقرار السياسي هما العاملان الأساسيان اللذان ساهما في ثبات الإدارة الإسلامية حينذاك، في حين كان التدهور الاقتصادي السبب في انهيار الحضارة الإسلامية، بالإضافة إلى الخلافات في الأمّة، فلذلك يجب تذكير الأمة المسلمة باستمرار أن القوة الاقتصادية هي أساس تفوق الأمّة).

عزيزي القارىء إني ألحظ هنا نقطة مهمة وهي أنَّ التقدم الاقتصادي مرهون بالأخلاق السامية التي أمرتنا الشريعة الغراء بها، فدون نبذ فكر التمييز العنصري والتبذير الذي يتعدى حدود الإيمان وكذلك نبذ الأنانية لا يمكن أن يتقدم الاقتصاد ولا يتطور، ومن كان خلقه كما جاء آنفاً نال السعادة في الدنيا ورضي الله عنه ورسوله، فعلى الأمة أن تمتلك منظورًا نقيًا بالنسبة لفكرة الحضارة الإسلامية. كما على الأمة، لكي تحمل رسالة مجد الإسلام أن تبني الآداب والسمعة الحسنة بين البشر. ويجب أن لا نكون توّاقين إلى استذكار أمجاد أيام خلت، بل علينا أن نتذكر مجد الإسلام وأمّته التي ساهمت في ثقافة العالم والحضارات الإنسانية.

فعلى علماء المسلمين أيًا كانوا أن يتّحدوا لأنه إن لم نتّحد فسنخسر قوانا بالتأكيد، فقال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال: 46].

إن ماليزيا هي من الدول التي ظفرت بأسرار النهضة العلمية، وحيث أن تلك النهضة كما يقول الدكتور(أحمد زويل)[1]: (إن تلك النهضة العلمية لا تحتاج إلى عقود متطاولة من الزمن بقدر حاجتها إلى رؤية وطنية شمولية واضحة، ويُضيف الدكتور (زويل) الذي كان قد زار أمريكا في عقد الستينات، حيث جون كندي كان حينئذ رئيساً لها، وكان -أي جون كندي- في ذلك الحين قد قرر أن تكون بلاده الأولى في العالم، لقد كانت عقيدته الأساسية سيادة أمريكا على العالم في العلم والتكنولوجيا والاقتصاد)[2]هذا ويبدي (زويل) استغرابه الشديد حين قال: إن الموارد المادية هي سبب تخلف النظام التعليمي العربي، وتثور دهشته - كما يقول - حين يسمع كلاماً حول هذا الأمر ليس في مصر فحسب بل في بلدان الخليج الثرية!.

وعلينا بعكس ما جاء آنفاً إيراد شواهد عملية في بعض البلاد الإسلامية للخصوصية الثقافية والحضارية التي تؤثر لا محالة، على بعض جوانب التحليل لظاهرة النهضة العلمية في بعض البلدان الإسلامية، فلماذا تقدمت تلك الدول؟ من السبب؟ ولا نتردد أن نقول أن المشروع الحضاري التي تبناه (السيد عبد الله البدوي) رئيس وزراء ماليزيا، والذي يلقبه البعض في ماليزيا بالسيد النظيف (Mr. clean)، نسبة إلى نظامه وابتعاده عن الفساد، هذه النظافة الإيمانية آتية من الإسلام دون شك. إذن هذا هو بيت القصيد في تقدم ماليزيا، فالحاكم النظيف يصنع دولة حضارية نظيفة، فما المانع من أن نعد المشروع الإسلامي الحضاري لإنشاء دولة رأسمالية فيها للأقليات الدينية أيضاً دوراً فاعلاً ـ لأن أكثر دولنا الإسلامية فيها تلك الأقليات ـ مع الاحتفاظ للأغلبية المسلمة بالدور المركزي في إدارة وتوجيه هذه الدولة[3]. انظر إلى وثيقة الإسلام الحضاري ببصمة رأسمالية،وتعرف وثيقة المشروع الإسلام الحضاري (Civilization Islam) بأنها: وسيلة من وسائل تطوير الإنسان والمجتمع والدولة بصورة متميزة وشمولية قائمة على أساس التمدن الإسلامي).

(1) عصر العلم: أحمد زويل، ص: 193- 194.

(2) عصر العلم، أحمد زويل، ص: 193- 194.

(3) وثيقة الإسلام الحضاري ببصمة رأسمالية، حسام تمام، موقع إسلام أون لاين - وثائق وبيانات.

ويرى البدوي: (أنّ الفروض مثل الحج والزكات والصدقة والجهاد تعتمد على القوة الاقتصادية. وفي الواقع أن الفروض اليومية مثل الصلاة يستحيل القيام بها دون ملابس تغطي العورة، حيث إن الملابس لا يمكن تحصيلها إلا من خلال النشاطات الاقتصادية).

وإني إذ أرى أن من شروط الإسلام الحضاري هي عودة الأمة إلى ما هو منصوص عليه في القرآن والسنة، ومن أجل الإسلام الحضاري لا ينبغي للمسلم الصالح أن يكون على عداوة مع غيره من الأديان. وفي نهاية هذا الموضوع أود أن أذكر أمراً مهمًا في مجتمع أبو ظبي، حيث رأيت في قناة أبو ظبي ظاهرة هي حقاً تكافل اجتماعي، وقليلاً ما نلقاه في مجتمعات أخرى، فقد وجدت برنامجاً باسم (صندوق الزواج) فهنا يُمنح لكل من يتزوج مقدماً منحة قدرها (40000) أربعين ألف دولار ثم يتلو ذلك الدفع بـ (40000) دولار أخرى. وإني لأتمنى من الدول الإسلامية أن تحذو هذا الحذو المبارك.

وكيف لا يبارك الله في مثل هذه المجتمعات أيها القارىء العزيز، وقد شاهدت هذا البرنامج بأم عيني في يوم 30/ 1/ 2008 وفي حوالي الساعة الثامنة مساء بتوقيت العراق، فهنيئاً لمثل هذه المجتمعات التي تتكافل فيها القوى لتنفيذ مثل هذه الأمور الهامة بالنسبة للمجتمع، فبارك الله في مثل هذه المجتمعات على هذه المبادرة الطيبة.

نحن ودول الغرب التي تؤوي مواطنينا ....

ـ هل نحن بخُلقنا على صواب؟

ـ هل دولنا الإسلامية والعربية على صواب؟

ـ لماذا يرحل أبناؤنا إلى تلك البلاد؟

ـ هل الغرب بقوانينه وحضارته التي توجهه على صواب؟

ـ هل ديننا العظيم فيه كل الخُلق السامية التي لا يضاهيها أي نظام في العالم، وهل نحن ملتزمون بها، ولماذا؟

ـ لكون أن مجتمعاتنا في كثير من الأحيان قد ساد الفقر فيها، فقد لجأ أفرادٌ من مواطنونا إلى دول الغرب بغية تحسين معيشتهم، إلاّ أن تلك الأفراد المهاجرة اصطدمت بالواقع الاجتماعي المرير الذي يختلف عن مجتمعاتنا كثيراً خلقاً و اجتماعاً وعاداتٍ وتفكيراً وعقيدة ... حيث استطاع الإنسان الغربي أن يعيش الدنيا بطولها وعرضها ويستغل إمكاناتها و لذاتها كما يكدس ثرواتها ....

ـ ولكن هل أراد خالقنا أن يكون الغرب هكذا، ويخلد للدنيا ويقف عندها ويكدس حطامها، إن الله أراد للإنسان أن يعيش في هذه الدنيا عيش زائر لا عيش مقيم، ولكن الويل أيضاً لنا أننا بدأنا نقلد الغرب ونريد أن نعيش على نمطه، إذ يريد الغرب أن ننسى رسالتنا وقد حصل ذلك، حيث نرى في هذا العصر أن كل شبابنا وكل عوائلنا في أرجاء الأمة الإسلامية يحلمون بالعيش في دنيا الغرب وفي بلاد الغرب، بل ويعيشون على فتاتهم التي يقذفونها ويلقونها لهم، لقد خاب ظن الذين يودون التوجه لتلك البلاد، وقد يرون فارقاً كبيراً في مفهوم حياتهم مع مفهوم حياتنا، لا أنكر هنا أن الناحية المادية التي توفرها هذه البلاد للمهاجر تكون جيدة، وأنا لا أهتم بتلك الناحية بقدر ما أهتم بخلق تلك المجتمعات ودينها، لهذا أخوض خوضاً دقيقاً في بعض النواحي في حياة الغرب لكي يعلم الجميع حقيقة تلك

الحضارة وأقول:

إني إذ أتعجب كثيراً عندما أرى أن لاجئي الدول العربية والإسلامية عندما يتوجهون إلى دول الغرب، فإن أكثرهم يعصون ويتمردون على هذه المجتمعات، لكن لماذا؟ ألم يفكروا كيف كان حالهم في بلادهم، إنهم في كثير من تلك الدول يعاملون معاملة إنسانية منقطعة النظير وكثيراً ما تهتم تلك الحكومات و إدارتها بهم اهتماماً قد يفوق درجة اهتمامهم لمتوسطي حال مواطنيهم، لكن الخسارة هي أن أكثر المسلمين يفقدون هويتهم الإسلامية في تلك البلاد.

أنت أيها اللاجىء ألا تفكر كيف كان حالك في بلدك؟ أما كنت في أغلب الأحيان لا تلقى عملاً في بلدك؟ كيف كنت تعامل في دوائر بلدك؟ وكم كنت تصبر حتى تُنهي معاملة إدارية تخصك؟ وحتى ـ أحياناً ـ لم تكن تُنهي معاملتك إلّا بواسطة أو مع الأسف ـ برشوة أو بهدية مقصودة أو أي شيء آخر من تلك الأمور .... وكثيراً ما يُعفَى اللاجىء من الضرائب في الوقت الذي يدفع مواطني تلك الدول الضرائب، إني لا أدري كيف أصفك أيها اللاجىء هناك، فإذا كنت بهويتك مسلماً ـ بل الحقيقة غير ذلك مع الأسف ـ فعلى الأقل كان عليك أن تلتزم بجزء ولو بسيط من صفات المسلم ...

والغريب أنك عندما تتوجه لتلك البلاد لا تجيد حتى لغتهم التي هي دافع قوي وشرط ضروري للاندماج مع تلك المجتمعات، إنك بهذه اللغة لا تستطيع حتى أن تنقل إليهم محاسن دينك وحقيقته، فيستهزؤون بك وبدينك، وأنت صُمٌّ بكمٌ لاتستجيب ولا تفهم بالمرّة، فتشوه سمعتك وسمعة بلدك وحتى دينك الذي هو الإسلام ـ وكثيراً ما إنك لا تلتزم بدينك هناك و أنك مسلم فقط بالهوية ـ إنك بصفاتك تلك جعلت هذه الحكومات تخشى منك ومن أفعالك، وحتى جعلتهم يراقبوك لكي لا تتآمر على مجتمعاتهم على كافة الأصعدة، جعلتهم يخشون من اللون الأسمر والشعر الأسود والعيون السوداء، في الوقت الذي كان ذلك الشكل مقبولاً جداً عندهم في الخمسينات بل حتى في الستينات، نعم في ذلك الزمان، كان مثقفو أبناء شعبك يوفدون إلى تلك الدول لإكمال دراستهم، وكانوا يفهمون تلك المجتمعات ويفهمون مجتمعاتهم وكانوا يلتزمون بعاداتهم الاجتماعية والدينية، فلم يكن هناك في ذلك الزمان أحقاد على شعوب العالم الثالث وبهذه الدرجة، والآن وبعد أن توجه لتلك الدول جميع طبقات مجتمعات الدول العربية والإسلامية انقلبت الآية وأصبح الأمر في غاية التعقيد في مثل تلك البلاد للاجئي دولنا .

وكثيراً ما يتصف ـ مع الأسف ـ كثير من اللاجئين بصفات لا علاقة لها بالإسلام بتاتاً، ولكن الغرب شئنا أم أبينا يحسبونها على أننا مسلمين سواء كنا ملتزمين أو غير ملتزمين بالإسلام ..... ألست إذن عدواً أيها اللاجيء لسمعة بلدك وطبيعة مجتمعك وأخيراً لسمعة دينك؟ أنا لا أقصد بعض الخيرة من المسلمين هناك،لكن هم قلة قليلة.

جعلت نفسك أيها اللاجيء قصة تتحدث عنك كل الأجهزة الإعلامية في التلفاز والراديو والمجلات والجرائد، واسمع أيها اللاجيء بفعلك هذا سمحت للغرب أن ينظر إليك كما في الحوار الحقيقي الآتي .

حوار بين أم وطفلها في الغربة، وفي دول الغرب

دخلت امرأة مع طفلها ـ وهم من أبناء الجالية العربية المسلمة ـ إلى متجر (فراؤا ما راؤا) :

الطفل: انظري ماما هذا جهاز التلفزيون فأنت وأنا فيه، ما هذا هل هو ترحاب بنا؟

الأم: يا ولدي: إنهم يراقبونا ...

الطفل: يراقبونا ....؟

الأم: نعم

الطفل: ولماذا هل عملنا شيئاً مخالفاً للنظام؟

الأم: لا يا ولدي

الطفل: إذن لماذا هذه المراقبة؟

الأم: لأنهم يَشُكّوا فينا ....

الطفل: بماذا يشكّوا فينا؟ هل نحن مجرمون؟

الأم: كلا

الطفل: قولي لي أكاد أن أخرج من هنا ...

الأم: ربما يشكّون فينا بأننا نسرق شيئًا منهم ....

الطفل: ولكن نحن لسنا كذلك . . .

الأم: ربما هناك أناس قد فعلوا ذلك

الطفل: لكن ما ذنبنا؟

الأم: لا أجاوبك . . .

الطفل: ها ماما، هذه عائلة أخرى قد أراهم الآن في التلفاز وهم مثلنا سمراء البشرة، وهل يشكّون فيهم أيضاً؟

الأم : وهي تنظر إلى الجهاز وترى أنهم من بلدان العالم الثالث سمراء البشرة وسوداء الشعر . .إنها تنفست نفساً عميقاً وقالت :آه . . . . آخ . . . .

الطفل: هل انزعجتِ يا ماما؟

الأم: لا . . . لا شيء

الطفل: ولكن يا ماما ألاحظ أن هذا الجهاز يركز علينا أي على أناس سود الشعر وسمراء البشرة، هل هذا الجهاز خاص بنا؟

الأم: لا يا ولدي

الطفل وهو يركز ويرى أن الجهاز خلال عشرات المرات ربما يوجه الكاميرا إلى من هم من تلك البلدان، **ويقول**: لكن ماما أخيراً طلع الجهاز وهم يراقبون أهل هذا البلد أيضاً.

الأم: حقك وحق هذا البلد أن يعاملونا هذه المعاملة . . . كان لدى الأم والطفل سترة اشتروها من هذا المتجر وكانت فيها عيب بسيط فأعادوها لإبدالها وصاحب المحل استبدلها لهما واعتذر

الطفل: ماما لو كان هذا ببلدنا ما رضوا أن يبدلوها أتذكرين ذلك؟

الأم: نعم

وبعد فترة وجيزة رأت الأم والطفل ظاهرة حدثت لرجل من الدول العربية، فقد أعاد بنطلوناً كان قد كواه وأحرقه وكان يدّعي أنه كان كذلك عندما اشتراه، ومن العجب أنّ

صاحب المتجر قد بدَّل له ذلك ... والأم عندما ابتعد صاحب المتجر سألت الرجل العربي الذي استبدل البنطلون وقالت: هل فعلاً أن البنطلون كان فيه ذلك العيب عندما اشتريته؟ قال: لا ولكني حرقته بالمكوى !!! تعجبت الامرأة والطفل!! ....

قال الرجل للمرأة: ولا يهمك في بلادهم خيرات و فلوسهم كثيرة .... فبدأ الطفل ببرائته يتحدث ويقول: لكن مش عيب .... كيف تعمل هذا وتكذب أنت رجّال كبير بالعمر؟ .... مع أن ذلك الرجل كان شاباً في مقتبل العمر ولكن هكذا ناداه الطفل ... والطفل توجَّه لوالدته وقال: ماما. إذن هُمَّ (أي صاحب المتجر) لهم كل الحق أن يراقبونا بالكاميرا.

الأم: نعم .... فعلاً لهم الحق ....

الأم: بدأت الآن يا ولدي ترى بنفسك كل شيء ....

تعليق على الموضوع:

إخواني الأعزاء: أليس العار على مواطنينا أن يفعلوا كل ذلك ... مَنْ أمرهم بذلك؟ أليس من حق هذا البلد ومواطنوه أن يأخذوا نظرة سيئة على هذا الشخص؟ بل إنهم حتماً يقولون: هؤلاء هم المسلمون و يوجهون هذه الأفعال والتُهم للإسلام ... إلى متى نبقى كذلك؟ إلى متى نتصرف كذلك؟ هل أُمِرنا هكذا؟، ألَم يسمعوا حديث الرسول ﷺ عندما قال: «**مَنْ غشَّنا فليس مِنّا**» ....

أما أوصانا نبينا ﷺ بالصدق، حتى أنه قال ﷺ: «**قل الصدق ولو على نفسك...**» وهناك عشرات الأحاديث في ديننا حول داء الكذب.

أيها المسلم انك بعملك هذا لاتسيء الى نفسك فحسب
بل تسوء سمعة بلدك وأمتك ودينك وسمعة من هم على دينك ...!

اعلم أخي القارىء إن الكذب في دول الغرب وبالأخص في دوائر الدولة أو المؤسسات المدنية وحتى الأسواق المركزية أمر مشين وكبير لديهم، فالموظف أوالمستأجر أوالبائع في هذه الدول لو كذب في عمله لَسُجِلت هذه الصفة المذمومة في سجل أعماله عند ذلك المتجر أو عند دوائر الحكومة ومن ثم ترسل إلى مركز أو دائرة خاصة، فعندما تفقد

عملك لسبب ما، كأن يكون السبب الكذب أو السرقة وتذهب للتعين في دائرة ما أو متجر ما أو حتى دكان صغير، يُطلب سرياً سجل أعمالك من قبل صاحب العمل من ذلك المركز فإذا كنت على ما يرام فأنت مقبول في عملك، وإذا كنت من الذين سرقوا أو كذبوا في المتاجر أو دوائر الحكومة فلا تجد عملاً في تلك الدوائر. إذن فالشعب الألماني على سبيل المثال وليس الحصر عندما يكون صادقاً في عمله فإنه يخشى من وظيفته التي يفتقدها بسبب الكذب، أي أنه يخاف من العقاب ومن القوانين، بينما المسلم الصحيح الصادق في عمله لا تهمه القوانين بل يهمه إرضاء الله تعالى فهو لايخشى من الناس والدولة والقوانين إنما يخشى من ربه لذا فإنه لا يكذب، إذن ففضل المسلم الملتزم على تلك الشعوب هو: أنه لا يخشى من القانون فقط بل يخشى من الله فلا يكذب أبداً، وهو يكره الكذب بل يحتقره لأن الله أمره بتجنبه، ولا يحتاج أن يراقبه أحد لأن الله هو مراقبه.

ولكن أخي المسلم أين نحن الآن من كل هذا؟ أين تطبيقنا لديننا؟ هل نحن مسلمون بالهوية فقط أم في قلوبنا وأفعالنا؟ فالمسلم الذي يكذب ويسرق ويغتاب ويعذب الناس، ومثل هذا المسلم لا تقبل صلاته وصيامه مهما كثرتا، وليَ دليل على ذلك حيث يقول ﷺ: **«من لم تنهه صلاته وصيامه عن الفحشاء والمُنكر فصلاته مردودة . . .»** إذن ما المشكلة؟ أخي القارئ هل شعيرتي الصلاة والصيام أصبحتا عندك عادة أم هما خالصة لرب العالمين وإذا كانتا له جلَّ وعلا فإنه لا يقبلهما منك مهما أكثرت منهما إلا أن تكونا مطابقة للشريعة الغرّاء، فالأمر إذن لا يخلو من حالتين: إما نحن مسلمون أم لم نفهم الإسلام، ولا يقبل الله منّا إسلامنا إن كنّا من الذين لم يفهموا إسلامهم . . . .

ولنعود مرة أخرى إلى محاورة الأم والطفل عند وجودهما في الغرب بعد أن كبُرَ الطفل وأصبح شاباً يفهم كل شيء وكالآتي:

الشاب: ماما لماذا لا نعود إلى بلادنا وأنت تعلمين أن هذه الدول تعيش على ثرواتنا من النفط والغاز والبنزين؟ فلماذا نحن هنا؟ وهل نحن فقراء في بلادنا؟

الأم: صدقت ياولدي ولكن هذه الثروات لا يعلم كيف تذهب سدى، وإنها توضع في حسابات رجال من حكامنا أو رؤسائنا ولا تصرف تلك الثروات على شعوبنا.

الشاب: يعني تقصدين أنهم يحوِّلون هذه الثروات إلى الخارج ويضعوها في بنوك هذه البلاد التي نحن فيها؟

الأم: نعم، في كثير من الأحيان وكثير من تلك البلاد هذه فعلتهم . . . .

الشاب: أعطيني مثالاً

الأم: هناك كثير من الطغاة لا نود ذكر أسمائهم يحولون تلك الأموال إلى الخارج ويستثمرونها، وقد تتعدى مليارات الدولارات

الشاب: وكيف يقبل الشعب بذلك؟

الأم: لأنهم يحكمون بالسيف والنار

الشاب: هل جميع الحكام هكذا حالهم في تلك البلاد؟

الأم: يا ولدي لا . . . ، فهناك بعض من حكام تلك البلدان يوزعون نهاية كل سنة الأرباح الفائضة من النفط والغاز والبنزين على كل أفراد شعبهم دون تمييز موظفاً كان أو تاجراً أو صاحب دكان . . . .

الشاب: هذا العمل عظيم، لأنه فيه العدالة . . . ولكن لماذا بعض من هؤلاء الحكام لا يتصرفون مثل تلك الدول ليريحوا شعوبهم وحكوماتهم فالجميع يتنعم بتلك الأموال؟ نعم هكذا أيضاً يريد الله من هؤلاء الحكام . . . .

الأم: يا ولدي ليس كل الحكومات، ولا مسؤوليها قد فهموا الإسلام فهماً يجعلهم يقتدون به . . . .

الشاب: هل هذا معقول؟

الأم: طبعاً لا.

الشاب: يا أمي لي سؤال غريب وهو: لماذا هذا التمييز بيننا في بلاد الغرب؟ فالفرق بيننا بلون البشرة والشعر هل يستوجب ذلك كل هذا التمييز؟

الأم: يا ولدي إسلامنا حارب العنصرية والتعصب بجميع صوره . . . . فلا أبيض ولا أسود ولا عبد ولا سيد في الإسلام ولا يتفاضل النّاس إلّا بتقواهم . . . .

الشاب: ما فضّلنا يا أماه على دول الغرب وهل لهم مساوىء؟ وهل نحن أفضل منهم في بعض الأمور؟

الأم: في الغرب هناك انحلال وفوضى جنسية وجرائم وأمراض نفسية وجنون وانتحار وخواء روحي وتفكك أسري، فقد شبعت البطون وماتت الأرواح عطشاً... هكذا يصفهم الدكتور مصطفى محمود في كتابه الطريق إلى جهنم ....

الشاب: لكن ماذا عندنا نحن في دولنا الإسلامية؟

الأم: المؤمنون في بلادنا يتصرفون في هذه الدنيا كأنها مزرعة الآخرة فيعملون في هذه الدنيا ليملؤونها بالعمل الصالح، فهم يرون أن حياتهم هي بحق حياة الآخرة .... وأنهم بالله يحيون وبه يموتون وبه ينجون وبه يثوبون ... هكذا هو تفكير المؤمنين، ولكن مع الأسف أمثال هؤلاء المؤمنون القليلون والباقون هم الكثرة وقد انحرفوا بدرجات مختلفة عن هذا الطريق القويم ... فالبعض من هؤلاء غلبتهم الدنيا وما فيها، أما البعض الآخر استعبدته الدنيا، ومثقفونا انهزموا أمام الغرب وانبهروا به وفقدوا بذلك هويتهم وأنكروا تاريخهم الخالد، وهؤلاء هم مع الأسف حال كثير من مثقفينا .... ويقول ربنا عن هؤلاء وأسيادهم ـ أي عن أسيادهم العلمانيين: ﴿يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ﴾ [الروم:7].

بعد ما سلف، حيث كان الولد في محاورة مع والدته وقد تجاوز عمره (25) عاماً، وأخذ يقول لأمه: أمّاه اسمعي أقول لك أموراً عظيمة تبرر عظمة الإسلام: إننا معاً تعجبنا عندما رأينا كيف أن رجالنا القادمين من الشرق يكذبون، وإن كان هؤلاء مسلمون إلّا أنّهم مع الأسف مسلمون بالهوية فقط ... وحتى لو كانوا كما شاهدناهم إلّا أنني رأيت العجب وأسألك الآتي: أليست جريمة الزنى أكبر من الكذب والتحايل؟ أليس الزنى جريمة كبرى تستوجب العقاب الصارم؟ فالكذب والتحايل ربما نوعًا ما أهون إذا ما قورنا بجريمة الزنى ... وهل الفوضى الجنسية والخيانة الجنسية اللذان يؤديان حتماً إلى الكذب والتحايل لدى الأزواج أكبر جرماً أم الكذب والتحايل لأجل بنطلون ؟!...ـ وتذكر الشاب إبدال بنطلون حرقه المُشتري المسلم المزيف وأعاده إلى البائع ـ وهي القصة التي ذكرناها في ما سلف .

ثم هناك أموراً قد تخفى على الكثير من الناس، فمثلاً أليست الخيانة الجنسية سواء صدرت من الرجل أو المرأة تؤدي حتماً إلى الكذب من قبل الرجل أو المرأة للتستر على تلك الخيانة، أليست الخيانات بين الزوجين أكبر إثماً وبشكل لا يقارن ـ بالحيلة التي فعلها مشتري البنطلون ـ وهو مسلم مزيف ـ إذن أيهما أكبر جرماً ....؛ فالتعليق متروك للقارىء.

وقد يظهر أن عدم الكذب في الغرب هو في أكثر الأحيان آتٍ من الخوف من القوانين التي لها تبعات تضر كثيراً بعمل الإنسان وبوظيفته وإلّا لماذا الكذب في الخيانات الزوجية والتحايل على البعض جائز وماشٍ، ولا يجوز الكذب البسيط - إن جاز التعبير - في الأمور التي هي أقل شأناً من الجريمة الكبرى كالخيانة الجنسية، هذا ولو انخرط المسلم كأهل الغرب في الخيانة الزوجية فعقابه أكبر عند الله وجزاءه جهنم.

وقال الشاب أخيراً: الآن يظهر لي أننا من الناحية الاجتماعية والعلاقات الزوجية حالنا أحسن بكثير من حياة الغرب .... وأقول لو تمسكنا بديننا تمسكاً بحذافيره وأطعنا الله والرسول في كل ما أمرنا به من الصدق والوفاء والأمانة والإخلاص في العمل لأصبحنا أعظم شعب في العالم على الإطلاق. إذن فالعيب فينا وليس في ديننا، وأرجو من الله أن يبعدنا من الاستجابة لدعوات الإباحية والفجور والإغراء بالانحلال، وأعوذ بالله من حضارة غسيل المخ بالجنس والمخدرات والإعلانات ... فهي حضارة في طريقها إلى الشيخوخة والهلاك والموت ....

هناك رجالٌ من أمّة محمّد ﷺ لا زالوا على سُنته ...

يقول كثيرمن النّاس: هناك الإسلام ولكن أين المسلم؟

هل يَصِح ذلك ؟...

هناك وزير كان حقاً مسلماً بكل معنى الكلمة ... وكيف نقارنه بالآخر في الغرب؟

إني أسمع مراراً وتكراراً، كل يوم وفي مجالس كثيرة، كلاماً مفاده: نعم الإسلام دين عظيم ولكن ليس هناك مسلم صحيح بمعنى الكلمة .... أفضل الأجوبة على هذه الحال هو (لو خُلِيَتْ قُلِبَتْ)، طبعاً في كل مدينة وحارة بل وفي كل دولة هناك الكثير ممن هم سائرون على نهج وسيرة سيدنا محمد ﷺ، ولكن نستطيع القول بأنهم قلائل... وأنا بصفتي من مواطني إقليم كوردستان العراق رأيت في مدينتي رجالاً وكأنهم يكررون دور عمر بن العزيز كما يقال عنه التاريخ الكثير والكثير ولكي لا أطيل الحديث أذكر وزيراً في بلدي كان هذا الوزير قد اعتلى في العراق عدة مناصب مرموقة.

كان هذا الرجل بكل معنى الكلمة متخلقاً بأخلاق المصطفى ﷺ وقد رأيت ما رأيت منه، كان هذا الشخص صديقاً لوالدي يقول والدي: إني كنت أكلّفُهُ أحياناً بكتابة رسالة إلى صديق له، فكان لايستخدم قلم الدائرة التي يعمل فيها، ولا أوراقها، فكنا نسأله لماذا؟ يقول: قلم الدائرة وأوراقها هي من ملك الشعب العراقي فإن استخدمتهما يجب أن يوافق عليه الشعب العراقي جميعاً وهذا غير ممكن، إذن فلا أتقرب لملك الشعب، كما كانت سيارته المخصصة في ذلك الحين هي سيارة ستروين فرنسي سوداء اللون فكان ينتقل بها من وزارته إلى بيته وبالعكس ويقول لسائقه أعد السيارة إلى الوزارة بعد توصيلي، ولكن الغريب هنا هو: أنه كان أحياناً يتردد إليه نجله لدائرته، وكان يؤجر له عند عودته إلى داره سيارة تكسي لتوصيله إلى الدار، وسئل بتعجب عن سبب ذلك !!؟ فكان يقول: هذه السيارة مخصصة لي من الحكومة والشعب فلا يجوز أن يركب معي ولدي في تلك السيارة، ثم لم يستخدم تلك السيارة لحاجة له شخصياً ولا لأهله مدى توليه وزارتين مهمتين وهما وزارة المالية والاقتصاد.

وكان رحمة الله عليه يمتلك سيارة شخصية برازيلية متواضعة، وعندما علم أن الناس قد وصل الفقر بهم في الحصار المفروض آنذاك على العراق درجة لا يمكن وصفه، فباع هذا الرجل الرباني سيارته ووزع ثمنها على جميع الفقراء في الحي الذي كان يعيش فيه آنذاك في بغداد وهو حي (الجامعة) وبقي هو دون سيارة وقد وافاه الأجل وهو لا يمتلك سيارة . . . بعد أن كتبت القليل عن هذا الشخص، إلا أن لديه مزيداً من القصص وكالآتي :

كان هذا الوزير لا يخشى في الله لومة لائم، وهو أول مبادر في إلغاء مراسم العزاء تجنبًا من المبالغات التي نراها هنا وهناك في آداب العزاء، وبذلك هو أول من أوصى بعدم إقامة هذه المراسيم له بعد وفاته، وقد لبّت عائلته ذلك. وقد كتب عن هذا الوزير كاتب، عنوان كتابه: (رحلة في عالم الفكر) اسمه زيور خطاب قائلاً:

كنت أراجع أحد المصارف لاستلام راتب التقاعد في بغداد، ومن باب المصادفة رأيت هذا الوزير جالساً على أحد المصاطب مرتدياً رداءاً بسيطاً متواضعاً وفي يده عكازة، منتظراً استلام راتبه ليحين دوره في ذلك، إلّا أن الذي لفت نظري هو أنه كان بإمكان هذا الوزير أن ينال راتبه دون انتظار في الطابور الطويل، ودون أن يحين دوره بل يباشر الدخول إلى غرفة المدير لاستلام راتبه، لكن هذا الرجل كان قد تربى على سنة الله ورسوله، وهو ممن كان يخشى الله ولا يستعلي على أحد من أفراد شعبه، وكان يعتبر حاله حال الآخرين فلا يتقدم على أحد.

إذن هل لا يزال هناك مسلمون من هذا الطراز، وهل يجوز أن نقول أن الدنيا خلت من المسلمين الصادقين؟ أليس خُلقُ هذا الوزير كخُلقِ عمر بن عبد العزيز؟ ولا أشك أن هناك في بلادنا الإسلامية رجال من أمثال هذا الرجل . . . إذن كفى أن يقول الآخر: (وين ماكو مسلم صادق) وهذه العبـ ة لهجة بغدادية عراقية مفادها: لا يوجد مسلم بالمعنى الصحيح .

كانت صفات هذا الرجل كصفات عمر بن عبد العزيز في زمانه، ولكن هل يوجد في العالم الغربي رجل كهذا الرجل؟. . . إنه كان عالماً وحائزاً على الدكتوراه في القانون من جامعة لندن وإنه كان أديباً وشاعراً وناشراً.

هكذا يكون المسلم الذي يسير على نهج سيد المرسلين، إذن الدنيا لا تخلو من هؤلاء الذوات.

علينا أن نتباهى ونحمد الله على أن فينا كثيراً من الرجال الصالحين الذين يسيرون على نهج الإسلام، أين مثل هذا الرجل في الآخر (أقصد الغرب) ؟... هكذا هو من كان رضا الله مقصوده في الدنيا والآخرة ...

كتبت عن هذا الرجل الوزير لكي يعلم النَّاس أنه ما زال هناك رجال ينهجون نهج الإسلام ليومنا هذا، وما تخلف عدل ربنا ولا تخلفت رحمته وشفقته بنا، وإنما تخلفنا نحن...

إن ما يفعله المسلمون ببعضهم البعض في أرجاء الوطن العربي والإسلامي جعلنا نتخلف وأصبحنا مطمعاً لكل طامع و (ملطشة) لكل مغامر، واعلم أيها القارىء صدق الله عندما قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد:11]، فنحن إذن بصفاتنا في هذا العصر لا أمل في أن يحترمنا الآخر إلّا إذا كنّا أهلًا للاحترام ...

هل نجد في عامة أوروبا وأمريكا رجل كهذا الوزير الآنف الذكر؟ هل هناك فرد نزاهته في جميع دول العالم الغربي مثل نزاهة هذا الرجل، فهذا الرجل هو مثالٌ حقٌ لأمة محمد ﷺ وفي هذا الزمان بالذات، إذن يصح ويجوز لنا أن نقول: الدنيا بخير والحمد لله ...

هل نسينا أن رئيس وزراء اليابان الأسبق قد تمت محاكمته على قضايا فساد مالي؟ وهو بذلك رئيس أَرقى دولة في التكنولوجيا ...

واليوم ـ الأحد 3/ 9/ 2007 الساعة الثانية ظهراً ـ قرأت في شريط الأخبار في قناة الجزيرة: أن وزيراً يابانياً استقال على خلفية فضيحة مالية. وسؤالي هو: هل أن هذا الوزير فقير لا يملك مالاً كافياً؟ أو أنه مترف بالمال والسيارات ...إلخ؟ كيف وصل هذا الوزير إلى الحكم؟ أليس هو من المنتخبين المرموقين في حزبه؟ أليس هو من دولة صناعية كبرى يضاهي اقتصادها أكبر دولة في العالم؟ إذن أين تربى هذا الوزير؟ وشتان بين هذا الوزير والوزير الذي تحدثت عنه سالفاً؟، أليس الفرق بينهما هو أن وزيرنا تربى على خلق سيدنا محمد ﷺ أليس الدين الإسلامي هو السبب في نزاهة وزيرنا في العراق؟

(وهل نسي التاريخ أن وزيراً يابانياً اسمه (توشيكاتسو) انتحر بسبب فضائح مالية وهي: إنه كان قد أعطى أموالاً لشركات خلال حملته الانتخابية على شكل تبرعات، ثم بعد

حصوله على منصب الوزير منح الوزير المذكور آنفًا هذه الشركات عروضاً للحصول على مشاريع للأشغال العامة طرحتها الحكومة اليابانية من بينها بناء طرق في المنطقة التي ينحدر منها (توشيكاتسو) والأمر الأدهى والأصعب هو أن الرجل قدَّم خلال خمس سنوات فواتير أنفقت على مكتبه بقيمة 240 ألف دولار، أي أقل من 50 ألف دولار في السنة من دون أن يقدم شرحاً كاملاً لمصروفاته[1].

شتان بين هذا الوزير الياباني المتحضّر بأرقى حضارة هذا العصر وبين وزير عراقي كوردي تحلى بحضارة يعود تاريخها إلى أكثر 1400 عام، هل القارىء بحاجة إلى تعليق في هذا الموضوع؟ مَنِ المتحَضِّر؟ الوزير العراقي أم الوزير الياباني؟ إذن هل الأبواق التي تقذفنا من كل صوب وحدب على صواب؟...

وزيرنا العراقي تربيته تربية القرآن والرسول ﷺ، وتربية الوزير الياباني تربية أرقى دولة في العالم المتحضر اليوم من حيث العلم والتكنولوجيا بعد أمريكا.

والأَدهى من ذلك هي قصة رئيس دولة فرنسا (جاك شيراك) حيث أنه اتُّهِم باختلاس أموال عامة، و تم نشر هذا الخبر في قنوات التلفزة العالمية يوم 22/ 11/ 2007 .

نعم رئيس دولة الأَناقة والعطور يأكل أموال شعبه دون شعور. إن ما عمله هو أَمر لا يفعله في دولنا الإسلامية من كان فعلاً على دين محمد حقاً، وحتى لو كان موظفاً صغيراً، إذن ما قيمة اللغو في هذه الدول المتقدمة، ما قيمة أبواقهم السخيفة في الهجوم على ديننا .... رئيس دولة فرنسا يخشى من قطعة قماش توضع على رأس مسلمة، ولكن يحل له سرقة أموال عامة من شعبه، رئيس دولة وراء سنِّ قانون حذر الحجاب الذي لا يضر ولا ينفع دولته لا مادياً ولا معنوياً، ولكن سرقة أموال الدولة يظهر أنها حلال.

عجيب أمر هذه الدول يتحدثون بأن المسلمين بعد وفاة الرسول قاموا بقتل بعضهم البعض. انتشرت بينهم المشاكل وقتلوا سيدنا عثمان وغيرها، وأنا أقول والله إن الذي قتل سيدنا عثمان لو كان في قلبه ذرة من الإيمان لما فعل ذلك وجزاؤه جهنم خالداً فيها، وكان مثل ذلك الرجل كمن هو اليوم بالولادة مسلم، ولكن بالفعل لا صلة له بالإسلام وأمثال

(1) www.alraialaam.com.

إسلامهم مزيف وجزائهم النار، ولكن رئيس دولة القانون (جاك شيراك) رجل مُنتخب من شعب فيه كل الأَناقة يسرق أموال شعبه، فهذا أمر يحير العقول في زمن يدّعي الغرب أن حضارته وصلت إلى القمة . . .

إذن من المُتحضر؟ جاك شيراك أم الوزير العراقي الذي تحدثت عنه سالفاً واسمه: الدكتور عبدالله مصطفى الهرشمي؟ أين المُعجبون بحضارة الغرب؟ فالحضارة هي الأخلاق أولاً ثم التقدم الصناعي . . .

obeikandl.com

حوار بين أستاذ ألماني وطالبه

حول وضع المرأة في ديننا الحنيف من زواجها و تبرجها وتعطرها.

الأستاذ: لماذا في دولكم تمنعون النساء من التبرج؟

الطالب: التبرج عندنا هو أن تبدي المرأة من زينتها وحسنها، وعليها أن تستره مما تحرك به شهوة الرجل.

الأستاذ: ولكن قولك هذا غير صحيح، فأنا عندما أرى المرأة المتبرجة فأنظر لها لا بقصد الشهوة ولا تؤثر فيَّ أبداً .

الطالب: يعني أنك تقصد في هذا الصيف أن الطالبات الراقدات في كليتنا في الحدائق وهن شبه عاريات (لابسات المايو والستيان) أنهن لا يؤثرن فيكَ . . .

الأستاذ: أصبت بالضبط كذلك.

الطالب: لو وجهت حديثك هذا للراقدات قائلاً: إنَّهن لا يؤثرن فيك وقد أبدين زينتهن لك ولغيرك، فماذا يا ترى يكون جوابهن؟

الأستاذ: ربما ينزعجن كثيراً لو عَرِفنَ ذلك . . .

الطالب: لماذا ينزعجن ؟

الأستاذ: لأن ذلك يعني أن جمالهن وزينتهن لا يؤثران فيَّ، وأنا أقول بأن ذلك الأمرطبيعي لي ولا يثيرني . . . .

الطالب: طيب، فالمفروض أنك كبشر وكرجل أن تميل إليهن كثيراً والعكس تماماً فيك.

الأستاذ: جعلتني نوعاً ما أفكر وأقول المفروض أن يكون كذلك، ولكننا لكثرة هذا التبرج قد تعودنا على ذلك، لهذا قَلَّ اهتمامنا بهذه المفاتن . .

الطالب: يعني أنك تقصد أن نشاط الرجولة التي من المفروض أن تمتلكه أنتَ وغيرك من الرجال قد تَمَّ فقده. . .

ـ حيث كانت علاقة الأستاذ بالطالب علاقة جيدة وهناك صداقة بينهما لأن الطالب كان على وشك الانتهاء في الدكتوراه ـ لهذا قالَ للطالب: ابتعد عني، مع ابتسامة طويلة من الأستاذ.

الطالب: الآن. . .الآن، تغلبت عليك في هذا الحوار. . .

الأستاذ: كيف؟

الطالب: إنكم كرجال لم يبقَ عندكم أي نشاط الذي من المفروض أن يمتلكه الرجل لكثرة النظر إلى النساء، ولكن هل تعلم أننا كرجال في بلادنا في الشرق وكمسلمين فينا ظاهرة الحجاب وعلينا أن نغُض من أبصارنا، ولا ننظر إلى زينة النساء لدرء شر الفتنة، فإن لنا نشاطاً بحيث حتى لو سمعنا صوت خلخال المرأة لأثَّر ذلك فينا، إذن فالمرأة لدينا خير متاع، حيث قال رسولنا ﷺ: « **الدنيا مَتاع وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة** ».

الأستاذ: يعني أنكم حتى صوت خلخال المرأة يؤثر فيكم، ضحك الأستاذ وقال: هل هذا معقول؟

الطالب: أستاذي الفاضل إن المرأة في كل أنحاء الدنيا تريد النشاط من الرجال وتريد أن يكون الرجل متلهفاً بها ومتأثراً بصوتها و بجمالها، وزينتها، و يؤثر في رجالنا حتى صوت كعب حذاء المرأة. . . هكذا نشاطنا نحن كرجال مسلمين، وهكذا تؤثر فينا المرأة . . . . والآن فلنعد إلى ما أنت عليه أستاذي، حيث قلت لي سابقاً أن جمال المرأة وزينتها شيء طبيعي لك فلا يؤثر فيك ذلك التأثير، ولكن قارن نفسك يا أستاذي بالرجل المسلم النشط: هل أنت أم الرجل المسلم مطلوب من قبل المرأة؟ هل خمولك بل وبرودك نحو المرأة التي حتى لو رأيتها بكل زينتها وجمالها و قلت إنه طبيعي ولا يؤثر فيَّ . . . ولكن نحن رجال الشرق نتأثر بالمرأة وتؤثر فينا حتى لو لم نراها بل يؤثر فينا حتى سماع طنين خلخالها، وحتى تعطرها يؤثر فينا. . . هل أنت المطلوب من قبل النساء أم رجالنا يا أستاذي؟ . . . . فأنت أستاذي و كما قلت: حتى جسد المرأة وهي شبه عارية لا يؤثر فيك . . . إذن ماذا بقي من المرأة ليؤثر فيك أيها الأستاذ؟

الأستاذ: لم أفكر في هذه الأمور قطّ ولكن هل فعلاً أنتم هكذا نحو المرأة؟ وهكذا تؤثر فيكم المرأة؟ بدأت الآن أُفكر في حالكم، ولكن ما هو هذا الخلخال الذي تحدثت عنه كثيراً .

الطالب: كانت المرأة في الجاهلية عندما تمشي في الطريق، وفي رجلها حلقة صامته تسمى الخلخال، لا يعلم صوته، ولكن عندما تضَربُ برجلها الأرض سيسمع الرجال طنينه، فنهى الله تعالى المؤمنات من ذلك، وكذلك إذا كان شيءٌ من زينتها مستوراً فتحركت بحركة لِتُظهر ما هو خفي، دخل في ذلك النهي، لقوله تعالى: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُو۟لِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور:31]، ومن ذلك أنها تُنهى حتى عن التعطر والتطيب عند خروجها من بيتها، لكي لا يشم الرجال طيبها . . . فقد أمرنا الإسلام أن نترك ما كان عليه أهل الجاهلية من الأخلاق والصفات الرذيلة ؛ فإن النجاح بل كل النجاح في فعل ما أَمَرَ الله به ورسوله، وتركِ ما نهى الله عنه ورسوله ﷺ. واعلم أيها الأستاذ فالزينة حلال للمرأة، تلبية لفطرتها، فكل امرأة أو كل أنثى مولعة وبشدة بان تكون جميلة، وتبدو كذلك، وإن كانت الزينة تختلف من عصر إلى عصر إلّا أن أساسها في الفطرة واحدة، وهو الرغبة في تحصيل الجمال، وإظهاره للرجل. واعلم أن ديننا الحنيف لا يقاوم هذه الرغبة، ولكن يقوم بتنظيمها وضبطها، ويجعلها تتبلور تماماً في الاتجاه بها إلى رجل واحد - هو شريك الحياة - يَطَّلع منها على ما لا يطَّلع أحدٌ سواه . . . .

الأستاذ: ولكن لماذا التعطير حرام للمرأة خارج بيتها ؟

الطالب: قال أحد علمائنا (الأستاذ المودودي)[1] في كتابه: (الحِجاب) تحت عنوان فتنة الطِّيب: العطر، وهو أَلطف وسائل المخابرة والمراسلة، مما تتهاون به النظم الأخلاقية العامة (يريد غير الإسلامية) ولكن الحياء الإسلامي يبلغ من رقة الإحساس ألّا يهمل حتى هذا العامل اللطيف من عوامل الإغراء، فلا يسمح للمرأة المسلمة أن تَمرَّ بالطرق أو تغشى المجالس

(1) بتصرف.

متعطِّرة؛ لأنها وإن استتر جمالُها وزينتها، ينتشر عطرُها في الجو ويُحرِّك عواطف الرجال . . . إذن فليعلم الأستاذ الألماني أنه لم يترك ديننا أمراً يفسد المجتمع ولو بمثقال ذرة إلّا حذرنا منه، هكذا يفعل التبرج والتعطر بالرجال، لهذا فرض الله على المرأة الحجاب، ويقول الكاتب (محمد طلعت حرب)[1] في كتابه: (المرأة والحجاب): (إن رفع الحجاب والاختلاط، كلاهما أُمنيةٌ تتمنّاها أوروبا من قديم الزمان، لغاية في النفس يدركها كل مَنْ وقف على مقاصد أوروبا بالعالم الإسلامي) ويقول أيضاً في الكتاب نفسه: إنه لم يَبْقَ حائل يحول دون هدم المجتمع الإسلامي في الشرق، لا في مصر وحدها، إلّا أن يطرأ على المرأة المسلمة التحويل بل الفساد الذي عَمَّ النساء في الغرب وبات يُنذر بالخطر!. فالطالب الذي نحن بصدد سماع قصته مع أستاذه يقول:

أيها الأستاذ عندما دَخَلَتْ حضارتكم في بلادنا دمَّرَتها حتى نظرة الزواج عند الشاب اختلفت عن سابقتها، فلو نظرنا إلى آبائنا وأجدادنا لم تكن في ذلك الحين نسبة الطلاق عالية، وكان الطلاق شاذاً على المجتمع، فكان الهدف من الزواج غير الهدف الآن، وقد غابت القناعة من الطرفين فكان الاختبار آنذاك على أساس الحب الصحيح، ولكن الآن يبدو أن الاختيار قد تحور عند الطرفين، فالفتاة تختار الشاب المقتدر الذي يوفر لها كل سبل الراحة والرفاهية، والشاب يختار فتاة جميلة فاتنة ذات خصر جميل وإن كانت لا تفهم من أمور الحياة شيئاً، ونظرة كثير من الشباب والشابات أصبحت للأسف محصورة في أمور الجنس، فالهدف إذن هو إشباع رغبات حيوانية محضة، وقد انتقلت هذه الجرثومة إلينا من بلادكم يا أستاذ. . . فيظهر أنه كلما زاد التحضر (مع الأسف) زادت نسبة الطلاق وكأنَّ الطلاق أصبح اسمه مصاحبًا للحضارة . . . .

إذن فربنا جلَّ وعلا حذَّرنا من التبرج بقوله تعالى في: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الأحزاب: 59] وليعلم أستاذي وأمثاله: (إن في هذا اللباس المرتضى (الحجاب) حفظ كرامة المرأة أيضاً في مختلف مواقف الحياة التي تعيشها وتعرض لها، فهو بعيد جدّاً عما عهدته البشرية في عصور جاهليتها الأولى من تبرج فاحش كانت المرأة فيه تعرض جسدها سلعة مبتذلة بين الناس، حيث لم يكن لعقل المرأة، ولا ثقافتها، ولا لِكيانها كإنسان كرمه الله تعالى، أيةُ قيمة بين الناس، إنما كانت تنحصر قيمتها في أنها جسد مبذول معروض يؤدي

(1) نقلاً من كتاب (تحفة العروس) ص: 295.

دوره في شحذ أحط غرائز الرجال وإثارته، فكانت المرأة في حقيقة أَمرها (لعبة) يلعب بها الرجل وقتاً، ثم يدعها في ركن مهمل من حياته حتى يستجمع لها شهوته مرة أخرى، وما زلنا نذكر كلمة عمر بن الخطاب ﷺ: (كنا في الجاهلية لا نعد النساء شيئاً، فلما جاء الإسلام وذكرهن الله ـ رأينا لهن بذلك علينا حقًّا)، (البخاري، كتاب اللباس، باب كان النبي يتجوز . . .). إذن ما أشبه ما في الغرب الآن وفي بعض دولنا الإسلامية ـ مع الأسف - بالبارحة وهل نحن المسلمون رجعيون أم الدول التي تتاجر بالمرأة وجعلتها سلعة مبتذلة، رجعيون)[1].

وبعد كل ما سلف رأينا أن أشد ضرر التبرج هو إثارة الشباب وإغراؤُهم بالاعتداء على الفتاة المتبرجة، ومن أُسس ذلك العُري الذي تقع عليه أنظار الرجال في المحافل وشواطىء الأنهار و الشوارع والنوادي؛ نساء كاسيات عاريات . . .، جسد أمام الرجال في كل آن وفي كل مكان . . . . فستظل أزمة الزواج هكذا ما دام العري سائداً . . . كما ستظل أزمة الطلاق هكذا ما دامت هناك كاسيات عاريات، فاللوم أكثره يقع على النساء المتبرجات، فالمرأة التي تتحَصَّنُ بالحجاب يشتاق إليها الفتى، وَلَيُسْرِع بالزواج بها . . . . إذن أيهما نختار؟ . . . أليست الآية الآنفة الذكر علاجاً شافياً لأزمة اجتماعية قوية، وشفاءً لنفسية المرأة الشريفة العفيفة، صدق الله عندما قال: ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: 81].

(1) مكانة المرأة في الإسلام. د. محمد بلتاجي (2000)، ص: 303.

حوار عن الزواج بين أستاذ في الغرب وطالبه

حول نسائنا ونساء الغرب .... أيهما أسعد حالاً ؟

الأستاذ: يقال أنك تتزوج في بلدك ولكن لم ترَ الزوجة التي تريد أن تتزوجها . . .

الطالب: لا يوجد هذا الزواج عند المسلمين ولكن السُنَّة لدينا هي: قال الرسول ﷺ: **«إذا خَطب أحدُكم المرأة: فإن استطاع أن ينظر إلى ما يدعوه إلى نكاحها فليفعل»**، وقال ﷺ: **«إذا خطب أحدكم امرأة فلا جناح عليه أن ينظر إليها، إذا كان إنما ينظر إليها لخطبته، وإن كانت لا تَعلم»** إذًا هكذا أمرنا الرسول ﷺ، ثم إننا نسأل: أيهما أفضل وأكرمُ للمرأة؟ أن يراها الخاطب (دون أن يعلن عن رغبته) فإذا لم تعجبه انصرف عنها من غير أن يجرحها؟ أم يطلب منها كشف النقاب عن وجهها ليراها إن كانت منقبة، فإذا لم تعجبه انصرف عنها، تاركاً إياها كسيرة النفس، تتساءل: ما الذي لم يعجبه فيَّ؟ وما الذي يعقبه ذلك عند أهلها؟.

الأستاذ: لكن ما المقدار الذي يباح النظر إليه؟ قال الإمام ابن القيم في تهذيب السنن (3/ 25-26): وقال داوود: ينظر إلى سائر جسدها. وعن أحمد ثلاث روايات: (إحداهن ينظر إلى وجهها ويديها، والثانية: ينظر إلى ما يظهر غالباً كالرقبة والساقين ونحوهما)، والثالثة: (ينظر اليها كلُّها: عورةً وغيرها)، فإنه نَصَّ على أنه يجوز أن ينظر إليها متجردة ! وقال ابن قدامة في (المغني7/ 454): (ووجه جواز النظر إلى ما يظهر غالباً: أن النّبي ﷺ لما أَذِنَ في النظر إليها مِن غير عِلمها، عُلِمَ أنه أذِنَ في النظر إلى جميع ما يظهر عادةً ؛ إذ لا يمكن إفراد الوجه بالنظر مع مشاركة غيره لَهُ في الظهور).

الأستاذ: يعني أنكم أبحتم للرجل أن ينظر للمرأة ولكن ماذا عن المرأة؟

الطالب: المرأة كذلك.

الأستاذ: ما دور الآباء وبالأخص دور والد المرأة في الزواج؟

الطالب: ينبغي على ولي أمر المرأة أن ينظر عادة في دين الرجل وأخلاقه وأمواله لأنها تَصيرُ بالنكاح موقوفة، ومتى زوَّجها من فاسق مبتدع، فقد جنى عليها وعلى نفسه. (منهاج القاصدين ص71) أيها الأستاذ :هل أنت كرجل في الغرب تود أن تنكح بنتك من رجل سكير؟

الأستاذ: طبعاً، لا، وإن كان دورنا في هذا الأمر قليل .... ثم عندنا جرت العادة أن تجامع الفتاة الشاب قبل النكاح، وربما لسنين ثم بعد ذلك ربما يتزوجها أو لا يتزوجها؟

الطالب: لقد وقَعْتَ في فخٍّ الآن .....

الأستاذ: كيف؟

الطالب: لو فرضنا أن الشاب في هذه الحالة ترك الشابة ولم يتزوجها والشابة قد بلغت من العمر (35) عاماً بعد سنين من الصداقة المحرمة لدينا، وتركها ..... ما ذنب الفتاة الشابة؟ هل تلقى الذي يمكن أن تتزوجه؟ وهل يرضى بها كل شاب بعد أن فقدت شيئاً من جمالها ورقتها؟

الأستاذ: يمكن أو لا يمكن.

الطالب: إن كان لا يمكن، ما ذنب الفتاة في ذلك؟ فالمرأة تعجز وتقع في سن اليأس بسرعة فعمر (45) كمعدل هو سن اليأس للمرأة، وتشعر الفتاة في هذه الفترة أنها اقتربت من سن اليأس ولا يرضى بها كل رجل ...! وهي لا زالت غير متزوجة ...

يا أستاذ كم من نساء في قسمنا هكذا حالهن الآن؟ ثلاثة نساء من مجموع خمسة في قسمنا هذا حالهن والبقية لا زلن شابات أعمارهن تناهز بين (22 ـ 25) عام. إذن بقيت هذه النساء دون زواج ودون رجل وحتى دون صديق مؤقت لهن .... ما ذنبهنَّ أيها الأستاذ؟

الأستاذ: هكذا جرت فينا هذه العادة ...

الطالب: وفي هذا الأثناء توجهت إلى إحدى النساء اليائسات (الثلاثة) في القسم العلمي، وقصصت عليهن ما جرى بيني وبين مشرفي الأستاذ فقلت لها ما رأيك بما جرى بيننا؟

المرأة اليائسة: قالت: لي وضع صعب لا يوصف ...!

فإني الآن في بيتي وحيدة وأشعر بالوحشة، وقد أزال هذه الوحشة عني نوعاً ما الكلب الذي أُرَبِّيهِ معي، ولا أحس الآن بالسعادة وشبابي ذهب في مهبّ الريح . . .

الطالب: إذن أنت والكلب . . . لا أطفال ولا زوج ولا صديق . . .

المرأة اليائسة: نعم هذه حقيقتي . . .

أيتها الفتاة المسلمة فكّري مَليّاً هذا هو مستقبل شابة حسناء في الغرب، إنها لم تتزوج الزواج الذي أمرنا الإسلام به، وحتى لم تتزوج الزواج الذي في دينها (المسيحي) وبقيت وحيدة فريدة لا ماما ولا بابا ولا أطفال . . . . هذه هي حضارة الغرب . . . .

والآن نفرض أن الشابة التي صادقت عدداً لا بأس من الرجال ـ في الغرب ـ تزوجت بعد سنين مضت على عمرها برجل ما . . . لكن ليتبادر سؤال إلى أذهاننا وهو ما شعورها؟ وما حالها؟ ماذا يجول في خاطرها في هذا الأثناء، وخاصة بعد أن فقدت ريعان شبابها . . . . . و بدأ الطالب بعدما جرى يناقش زميلات له في هذا المجال، وقد تزوجن بعد سنين من الصداقة (المحرمة في ديننا) وحتى في دينهم (إلا أن الكنيسة والدين لا حول لهما ولا قوة في كل هذه الأمورفي الغرب) . . . . وبدأ يسألهن الأسئلة التالية:

الطالب: هل الزوج الأخير الذي تزوجتِ به هو برضاكِ؟

المرأة المتزوجة: لابأس . . .

الطالب: أريد الحقيقة هذا الجواب لا يكفيني، . . .

قولي لي هل زوجكِ الآن أحسن الرجال الذين أنتِ صادقتيهم؟

المرأة المتزوجة: طبعاً لا . . .

الطالب: وضحي لي أكثر هل طبيعة زوجك الآن أفضل ممن أنتِ صادقتيهم من الرجال؟

المرأة المتزوجة: لا . . . فكثير منهم كانوا أشد منه حناناً و قوة (أقصد حتى الجنسية منها) . . .

الطالب: أما تحنين على ذلك الحنان والقوة؟

المرأة المتزوجة: أنت بدأت تتخطى الحدود وقالت بابتسامة: أُخرج واتركني . . .

فالطالب ألحَّ عليها كثيراً لتجاوبه ثم قالت المرأة المتزوجة :

كيف لا؟ فإن كثيراً من أصدقائي كانوا أقوى وأحسن من زوجي الحالي من كل النواحي.

الطالب: ماذا لو صادفتيهم يوماً من الأيام وبُتِّ معهم . . .

المرأة المتزوجة: اخرس . . . وقالت ذلك بنوع من الابتسامة، ثم أجابت: ظروفي الحالية وأنا مرتبطة بزوجي لا تسمح لي بذلك.

الطالب: هل أنكِّ تودين ذلك؟ . . . .

المرأة المتزوجة: لماذا لا . . . ولكن هذا غير ممكن . . . .

إذن أيها الشاب المسلم والشابة المسلمة هذا هو زواج الغرب، فإن أردت أنت أيتها الشابة أن تكوني كذلك ورغبت في ذلك فهداك الله وأصلحك، وأنت أيها الشاب هكذا هو الزواج في الغرب فكثير من أمثالك كان يحلم بالفتاة الغربية، وهل مازلتَ بعد هذه المحاورة ترغب الزواج منهنَّ والارتباط بهن بهذا الأسلوب ؟؟!. . . : أخي الشاب وأختي الشابة لقد صدق ربنا عندما قال: ﴿ٱلزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور:3]. وسؤال آخر يوجهه الأستاذ المشرف للطالب وكالآتي:

الأستاذ: سمعت أن لِوَلِي الأمر تدخُّلٌ في زواج ابنته هل هذا صحيح؟

الطالب: إن مهمة ولي الأمر وما يقوم به، كله من أجل صيانة بنته وحمايتها من رجل اغترت على سبيل المثال بكلامه وتظاهره، سارعت إلى حُبِّهِ والزواج منه من دون ولي ثم ظهر أن الرجل، فاسق، خائن محتال أو سكّير، أو يحاول دفع البنت إلى الفساد، أو غير قادر على نفقتها، أو طامع في مالها ومال أهلها، ولو فرضنا أن البنت لا تعرف كل ذلك من ذلك الرجل و قَبِلت به، والرجل ظهر فيما بعد فاسداً، إذن ألا تلحق أولياءها وأسرتها معرة هذا الزواج؟ ألا يؤدي كل ذلك إلى أضرار باهظة الثمن اجتماعياً ومادياً ومعنوياً.

الأستاذ: إني كنت أتصور أن (الولي) مهمته الحجر على المرأة والاستبداد بأمرها ووضعها موضع الامتهان والصغار ـ هذا ما تقول وتزعم وسائل إعلامنا ـ ويبدو الأمر لي مخالفاً لما تروجه بعض الجماعات التي تدافع عن حقوق المرأة وتحريرها . . . . فما أنتم تفعلونه فيه منافع متعددة كبيرة ومعتبرة، ويظهر لي أن ما يقوم به وليّ الأمر عندكم هو دور

الفاحص المتحقق من حقيقة أحوال الرجل وظروفه من كافة النواحي، فولي الأمر وما يقوم به هو الحريص على مصلحة بنته، وهذه المصلحة تعود لها بفائدة جمَّة، وإنه بهذا العمل يود فحص حقيقة حال المتقدم من أنه صادق فيما يعرض من حاله . . .

هذا أخي القارىء، والكُل يعلم أن في بلادنا الإسلامية، كثيراً مايقوم ولي الأمر بسفرة طويلة في سبيل الوصول إلى حقيقة الرجل المتقدم للزواج من بنته، ولا تستطيع المرأة أن تقوم به بنفسها عادة. وديننا الحنيف يريد زواجاً قائماً على أرضية قوية من الحقائق الثابتة ـ وليس الكذب والتحايل ـ إذن كل هذه الأمور هي من أجل المرأة وسعادتها . . . إذن هل ديننا صان حقوق المرأة يا أستاذي أم غدرها؟

الأستاذ: نعم ولكن لم أسمع بهذه الأمور بحقيقتها إنما سمعتها بالعكس تماماً. فالمرأة يظهر أنها في دينكم لها حق اختيار الرجل و ولي الأمر يتفحص حقيقة حال المتقدم والاستيثاق من أنه صادق فيما يعرضه عن حاله. وكنت أعتقد أنه قد يتم عقد الزواج بإرادة ولي الأمر المنفردة (دون رضاها)، ويظهر لي الآن أن مثل هذا الزواج لديكم باطل ومردود.

حفظنا الله من ويلات آخر الزمان، كما نرى أن النظرات تغيرت في كثير من الأمور، واختلفت المقاييس في كثير من الشؤون، وتعددت العادات وتباينت في شعوب العالم قاطبة حتى وصل الأمر إلى درجة أن شعباً أَقَرَّ ما كان ينكره، وأنكر ما كان يقره، واستهجن شعب عادات الآخرين، حفظنا الله من تلك آلافات.

والآن وبعد هذه المحاورات الحقيقية، أفلا ينبغي الرجوع والعودة إلى دين الله تعالى؟ ونؤوب إلى بارئنا، بقلوب عامرة بالإيمان . . . أيها الصاحب الرفيق: لقد جاءتك موعظة من رَبّك فمن أبصَرَ فلنفسه ومن عميَ فعليها ولا تزر وازرة وزر أخرى﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذۡكِرَةٞۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلٗا﴾ [المزّمل:19] وما عليك إلا أن تقارن بين ما نحن عليه من دين وما عليه غيرنا من غير ديننا . . . .

ثمّ لو دققنا في أمر الزواج في الغرب فيما أسلف، نرى ليس هناك زواج كما في مجتمعاتنا حيث أن الفتاة في ريعان شبابها تصادق كثيراً من الشبان، وتفعل معهم كل ما حرم الله في ديننا وبدون زواج رسمي، . . . وأود هنا أن أوجه سؤالاً للقارىء: من يقبل بذلك؟ من يقبل أن تكون هذه الفتاة أخته، أو بنته، أو ابنة عمه، أو ابنة خاله . . . إلخ؟ من يرضى

على الإطلاق بهذا؟ وإن كنت قد استنتجت من حواري كل شيء فهل ترضى بهذه الحال؟ أليس زواجنا وأسلوبه في بلادنا الإسلامية هو الطريقة الأمثل؟

والحق يُقال: أن هناك في مثل هذه البلاد أيضاً فتيات ـ يبلغ عددهم أصابع اليد ـ يرون أن الجنس للزواج فقط، وليس للمتعة قبل الزواج، ولكن هؤلاء ملتزمات بديانتهن ـ المسيحية.

فحضارتنا الإسلامية والحمد لله تنهج مناهج تحبيب الزواج وتعميمه، وتكوين الأسرة الفتية وتشجيعها، وصيانة النسل ورعايته ومن ثم تحريم الزنى والعهر، ورقابة المجتمع من تفشي الأمراض الجسدية.

ومن هذه الأمراض العاهة المستعصية المشتهرة بلقب (إيدز) أي مرض فقدان المناعة الذاتية. إضافة إلى جانب الحسنات النفسية والاجتماعية في الزواج على سُنة الإسلام.

(وحضارة هذه مناهجها ومقاصدها لا يلائمها تيسير سبل اختلاط الشبان والشابات في مجتمع غير موجه ولا منظم كالمدارس والجامعات، حيث يتيسر الاختلاء وصحبةٌ فوضى بين الذكر والأنثى. ها هنا مظنة السوء والعبث بعيداً عن مشاعر التقوى)[1].

(1) معالم الطريق في عمل الروح الإسلامي، الدكتور عبدالله الهرشمي، ص: 114-115، 1997.

حرية الفرد في الإسلام ....

وكيف يتصرف المسلم مع الآخر؟

حوار بين والد وولده حول حرية الفرد أو الذات في الإسلام .

الولد: هل هناك حريات في الإسلام؟

الوالد: نعم هناك حرية الذات وحرية الأمن وحرية المواد وحرية التنقل للإنسان.

الولد: إذن في الإسلام قوانين تكرم الإنسان بدرجة كبيرة .

الوالد: نعم.

الولد: ما هي حرية الذات؟ وما دليلك؟

الوالد: دليلي هو حديث رسول الله ﷺ: **«ما مِن شيء أكرم على الله يوم القيامة من ابن آدم»** قيل يا رسول الله ولا الملائكة؟ قال: **«ولا الملائكة، الملائكة مجبرون بمنزلة الشمس والقمر»**.

الولد: يا والدي هكذا فضَّل الله الإنسان حتى على الملائكة فكيف لايشكر الإنسان ربه ويكون له عبداً شكوراً؟

الوالد: نعم من أطاع الله فقد كان عبداً شكوراً .

الولد: هل لديكَ يا والدي آيات قرآنية و أحاديث أخرى في مجال التكريم؟

الوالد: نعم .... يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾ [الإسراء: 70]، ويقول ﷺ: **«كلُ المُسلم على المسلمِ حرام دَمهُ وعرضه ومَاله»**.

الولد: هل لك أحاديث حول مبدأ المساواة في الإسلام؟

الوالد: أعمال النّبي ﷺ وسلوكه مؤكد لمبدأ المساواة «**فالمُسلمُ أخو المسلم**» «**والنّاس سواسية كأسنان المشط**»، وقد جاءت هذه المبادىء وسط قوم درجوا على الأثرة والاستبداد والتفاخر بالأنساب، وإهدار حقوق الضعفاء أمام الأقوياء، فاستبدلت بذلك كله تحريراً للأرقاء، وحفظاً لحقوق الضعفاء، ومساواة بين الأجناس.

الولد: يا والدي أتعجب مما تقول !! فإذا كانت هذه منزلة الإنسان عند الخالق فلماذا يُهان ويعذب الإنسان ويقتل من قبل أنظمة كثيرة؟ حتى التي تدّعي الديمقراطية والاشتراكية شرقاً وغرباً.

الوالد: يا ولدي هؤلاء قد خرجوا عن أمر الله تعالى . . .

الولد: وماذا سيفعل الله بهم؟ إنه جلَّ وعلا قد أعد لهم عذاباً في الدنيا والآخرة

الولد: يا والدي هل هذا التكريم لكل إنسان مهما كانت عقيدته؟

الوالد: نعم فللإنسان كرامة يستحقها بصفة الإنسانية، بقطع النظر عن جنسيته ولونه ومعتقده، وسائر الاعتبارات الاجتماعية .

الولد: يا والدي، حتى للذين هم من غير ديننا؟

الوالد: نعم وحتى لليهود !!

الولد: كيف ومتى؟ أعطيني مثالاً . . .

الوالد: جاء في الحديث: أن جنازة مرّت على النبي ﷺ فوقف، فقيل له إنها جنازة يهودي، فقال النبي ﷺ «**أليست نفساً**».

الولد: ولكن هذا اليهودي كان قد مات.

الوالد: يا ولدي كرامة الإنسان في الإسلام ملازمة له حياً أو ميتاً .

الولد: ولكن يا والدي أرى في التلفزة كثيراً من حالات قتل، يقوم فيه القاتل بالتمثيل

بالمقتول، هل هناك نص أو حديث ينهي عنه؟

الوالد: قال ﷺ: «**إيّاكم والمثلة**» أي تشويه يُلحقُ جثة الإنسان يعتبر إهانة للإنسانية في ذاتها، هذا هو الحكم في الإسلام .

الولد: يا والدي هل يَكْفُل الإسلام هوية العقيدة للآخرين، فنحن نرى في بعض الأماكن هناك توتر بين الأديان المختلفة في بلاد مختلفة؟

الوالد: خير الجواب يا ولدي لك هو قوله تعالى: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:256] وقوله: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [العنكبوت:46] وقوله: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ﴾ [يونس:99] وقوله: ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِي ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف:29] وقوله: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون:6]، وقوله أيضاً: ﴿فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُواْ فَقَدِ ٱهْتَدَواْ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ [آل عمران:20].

الولد: يا والدي هل لك أمثلة في التاريخ الإسلامي تكفُلُ حرية العقيدة لغير المسلمين في بلاد المسلمين .

الوالد: نعم ولدي، لدي أمثلة لم يشهد مثلها في غير عهد الحكم الإسلامي من عهود الحكم الأخرى، حيث أن المسلمين الأولين في عصر الخلفاء لم يقتصروا في معاملة أهل العلم من النصارى النسطوريين ومن اليهود على مجرد الاحترام، بل فوضوا إليهم كثيراً من الأعمال الجسام، ورقوهم إلى المناصب في الدولة ولكن يا والدي أعطيني مثالاً . . إن هارون الرشيد وضع جميع المدارس تحت مراقبة حنا مسليه (وهو يوحنا بن ماسويه الشهير).

الولد: من أين لك هذه المعلومة؟

الوالد: في كتاب (الإسلام والنصرانية) للأستاذ الإمام محمد عبده صفحة 15.

الولد: هل من مستشرق ذكر تسامح الإسلام مع المسيحيين في صَدر الحكم الإسلامي؟

الوالد: نعم، يقول العالم المستشرق البريطاني الكبير ألسير أرنولد: (إننا إذا نظرنا إلى التسامح الذي امتد إلى رعايا المسيحيين من المسلمين في صدر الحكم الإسلامي، ظهر أن الفكرة التي شاعت بأن السيف كان العامل في تحويل الناس إلى الإسلام بعيدة عن التصديق، كما أنه يذكر العديد من الشواهد التي تشهد بأن المسيحيين الذين كانوا تحت الحكم الإسلامي إنما اعتنقوا الإسلام عن حرية كاملة)[1]. فالفتح الإسلامي قد جلب إلى القبط في مصر ـ كما يقول ـ (حياة تقوم على الحرية الدينية التي لم ينعموا بها قبل ذلك بقرن من الزمان، وقد تركهم عمرو بن العاص أحراراً على أن يدفعوا الجزية، وكفل لهم الحرية في إقامة شعائرهم الدينية وخلصهم بذلك من هذا التدخل المستمر الذي أنّوا من عبئه الثقيل في ظل الحكم الروماني).

الولد: هل حصل يا والدي في التاريخ الإسلامي أن دافع المسلمون عن معتنقي الأديان الأخرى من المظالم التي حلت بهم؟

الوالد: نعم يا ولدي فخير مثال لك في هذا المجال ما كتبه الكاتب أرنولد (Th. Arnold) حيث يذكر لنا عن الفتح العربي لأسبانيا أن مذهب الكاثوليك كان قد أصبح لهم نفوذ كبير في الدولة وأنهم قد (اتخذوا من وراء هذه القوة التي وصلوا إليها سبيلاً لاضطهاد اليهود وكان من أثر هذه الاضطهادات أن رحب اليهود بالعرب الغزاة وعدّوهم مخلّصين لهم مما حل بهم من المظالم فساعدوهم على فتح أبواب المدن، كما استعان بهم الفاتحون في حماية المدن التي وقعت في أيديهم، كما اعتنق هذا الدين الجديد كثير من أشراف المسيحيين عن عقيدة راسخة أو عن بواعث أخرى)[2].

الولد: يا والدي، وهل حدث نفس الشيء عندما فتح المسلمون بلاد الهند وبلاد فارس؟.

ج: نعم يا ولدي، كذلك كان الشأن في الفارس والهند حين فتحها المسلمون، فالتاريخ يذكر لنا أن الفاتحين المسلمين لم يلجئوا إلى القوة في حمل أهاليها على اعتناق الإسلام.

---

(1) راجع الدعوة إلى الإسلام - بحث في تاريخ نشر العقيدة الإسلامية، تأليف السير توماس أرنولد (Th. Arnold) الأستاذ بجامعة لندن، الترجمة العربية عام 1947، ص: 65.

(2) أرنولد، المرجع السابق ذكره، ص: 116، 117.

الولد: يا والدي إذا كان مبدأ كفالة الحرية الدينية والأخذ بسياسة التسامح مع غير المسلمين من المبادىء التي جاءت بها تعاليم الإسلام، فلماذا حدثت بعض حالات الاضطهاد الديني في بعض عهود الحكم الإسلامي، كما حدث في عهد خلافة العباسيين وفي عهد الحكم العثماني؟

الوالد: يا والدي، إن ما ذكر مثلاً عما حدث من اضطهاد للمسيحين على يد الخليفة الرشيد في بعض البلاد دون البعض الآخر، إنما كان في الواقع (كما يقول الأستاذ الكبير أحمد أمين): (أثراً من آثار سوء العلاقات السياسية بين الدول الإسلامية والمملكة البيزنطية لا أثراً للتعاليم الدينية)[1]. كما كان للحروب الصليبية التي أثارتها الدول الغربية على الدولة الإسلامية، وكذلك كان لسوء معاملة بعض الدول الغربية رعاياها من المسلمين أثر في إثارة تلك الاضطهادات التي لقيها المسيحيون في الدولة الإسلامية[2] والواقع أنه ما لا مكن إنكاره أن ذلك الاضطهاد في عصر الرشيد، إنما كان مرده إلى أسباب سياسة لا دينية فمن الأمور الثابتة أن الرشيد كان بعيدًا كل البعد عن نزعة التعصب الديني ضد الخليفة ـ كما يقرر أحد كبار الفلاسفة والمؤرخين الأمريكيين (درابر) ـ هو الذي وضع جميع المدارس ـ كما قدمنا ـ تحت مراقبة أحد المسيحيين حنا مسلية)[3] ـ ويذكر المستشرق البريطاني (السير أرنولد): أن الطبيب الخاص الذي اتخذه هارون الرشيد كان مسيحيًا نسطوريًا[4].

الولد: يا والدي، هل الاضطهاد الديني انحراف عن تعاليم الإسلام .

الوالد: نعم، والواقع أن اضطهاد غير المسلمين من القاطنين في البلاد الإسلامية وهم من يطلق عليهم (الذميون، أو أهل الذمة) يعد ـ كما يقرر الأستاذ الإمام محمد عبده ـ إنحرافًا ـ عن تعاليم الإسلام، ولم يعرف ذلك الاضطهاد (كما يقول) إلا حينما بدأت تدب روح

(1) وإلا فلِم ـ كان أمر الرشيد (كما يقول الأستاذ أحمد أمين) مختصًا بأهل الذمة في بغداد دون سائر الأقطار الإسلامية؟ ـ راجع مؤلفه القيم: ضحى الإسلام ج1 ط 1956، ص: 382.

(2) راجع «حضارة الإسلام» الترجمة العربية (المرجع السابق) ص: 232، حيث يشير للمؤلف (وهو من علماء المستشرقين) إلى ما أثارته الحروب الصليبية من « الإضرار يوضع المسيحيين في الشرق » ومما أثارته نحوهم من البغضاء.

(3) الإسلام والنصرانية للأستاذ الإمام محمد عبده، ص: 15.

(4) وكان يدعى جبريل وقد بلغ إيراده السنوي 800,000 درهم من أملاكه الخاصة، فضلاً عن راتب قدره 280,000 درهم في السنة، وكان الطبيب الثاني نصرانياً أيضًا ـ راجع في ذلك (الدعوة إلى الإسلام) للسير أرنولد (الترجمة العربية) المرجع السابق.

الضعف في سيطرة أحكام الإسلام وفي رجاله، وضيق الصدر ـ كما يقول الأستاذ الإمام ـ هي إحدى صفات الضعيف، فلا يجوز أن تلصق هذه الصفة بالإسلام[1].

الولد: هل استند الإمام محمد عبده إلى حديث نبوي في ذلك؟

الوالد: نعم حيث يذكر الإمام في كتابه (الإسلام والنصرانية) ويقول: جاءت السنة المتواترة بالنهي عن إيذاء أهل الذمة وبتقريرما لهم من الحقوق على المسلمين وأن (لهم مالنا وعليهم ما علينا)، وأن «**من أذى ذمياً فليس منا**» .....

الولد: وهل طبق ذلك؟.

الوالد: نعم فقد سمح الإسلام لأهل الذمة أن يقوموا بشعائرهم الدينية، ولم يسمح الرسول ﷺ لقادته بالتعرض للأديرة ورجال الدين، وكان الخلفاء الراشدون يوصون قادتهم بعدم إكراه أهل الذمة على ترك دينهم أو منعهم من ممارسة شعائرهم الدينية أو هدم أديرتهم، وأماكن العبادة لديهم.

الولد: لماذا أقر الإسلام بالقتال ضد المشركين؟

الوالد: نعم يا ولدي قبل أن أرد عليك الإجابة، أقول: دعا الإسلام إلى التأمل والتفكر ونبذ التقليد الأعمى حتى تكون العقيدة منبثقة عن قناعة وجدانية مستمدة من التأمل الواعي والتفكير الناضج، ولذلك جاء القرآن الكريم منددا بعقيدة المشركين المنبثقة عن مجرد التقليد في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [البقرة: 170] .

والآن أدخل في الجواب المباشر لسؤالك وهو: أقر الإسلام القتال للدفاع عن حرية العقيدة نظراً لأن المشركين كانوا يمنعون المسلمين من الإعلان عن إسلامهم، ويضطهدونهم بسببه (انظر تنظيم الإسلام للمجتمع للأستاذ محمد أبو زهرة ص: 192).

---

(1) راجع (الإسلام والنصرانية) للأستاذ الإمام محمد عبده ص: 64 حيث يقول: جاءت السنة المتواترة بالنهي عن إيذاء أهل الذمة وبتقرير ما لهم من الحقوق على المسلمين وأن (لهم ما لنا وعليهم ما علينا) وأن (من آذى ذميًا فليس منّا)، والاستمرار أو العمل على ... إلخ.

الولد: وهل أمر الله بقتال تلك المشركين بآية قرآنية صريحة؟

الوالد: نعم، حيث قال تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: 39-40].

إذن الأمر بقتال المشركين هو الدفاع عن حرية العقيدة؟ وليس كما هو الشائع بين المتعلمين إجبار المشركين على الدخول في الإسلام بقوة السيف.

نعم هذا هو الصحيح وقد ذكرنا سابقاً آيات عديدة حول ذلك.

الولد: يا والدي في هذا المجال هل هناك مستشرق على وجه التحديد يعترف بالتسامح الديني عند المسلمين، أود أن توضح لي ذلك بنوع أكثر تفصيلاً مما سبق؟

الوالد: يعترف المستشرق البريطاني السير (أرنولد) الأستاذ بجامعة لندن في كتابه «الدعوة إلى الإسلام» بالتسامح الديني عند المسلمين، ويؤكد أن القبائل المسيحية التي دخلت في الإسلام إنما فعلت ذلك عن إرادة واختيار.

ثم يقول: إننا لو نظرنا إلى التسامح الذي امتد إلى الرعايا المسيحيين من المسلمين في صدر الحكم الإسلامي لظهر أن الفكرة التي شاعت بأن السيف كان العامل في تحويل الناس إلى الإسلام بعيدة عن التصديق، ثم يسرد الأمثلة الكثيرة التي تؤكد كلامه، وتبين أن جميع من دخل في الإسلام إنما دخل بإرادته المطلقة[1].

ولو رجعنا إلى تاريخ أهل الذمة الذين كانوا يعيشون في داخل الدولة الإسلامية لوجدنا أنهم كانوا يعاملون أجمل معاملة، وكثيرًا ما كان الخلفاء المسلمون يقربون إليهم بعض أهل الذمة من اليهود والنصارى، ويعاملونهم معاملة كريمة، ويسندون إليهم الوظائف الكبيرة في الدولة، حتى أن الخليفة هارون الرشيد وضع جميع المدارس تحت مراقبة (يوحنا بن ماسويه) كان (جيورجيس بن بختيشوع الجند يسابوري) مقربًا إلى الخليفة المنصور، وكان

(1) انظر مبادىء نظام الحكم في الإسلام، للدكتور متولي، ص: 722-726.

يعمل طبيبًا لديه، ولما عرض عليه المنصور الإسلام أجابه بقوله: (رضيت أكون مع آبائي في جنة أو نار)، وعندها ضحك المنصور، وأمر له بعشرة آلاف دينار.

وإذا كنا نجد في بعض الفترات التاريخية اضطهادًا لغير المسلمين، ومعاملة ليست كريمة لهم، وتجاهلا لحقوقهم فإن مثل هذا التصرف ليس من الإسلام في شيء، ولا يمكن أن يقره الإسلام بشكل من الأشكال، لأنه ناتج عن الجهل بالإسلام وبتعاليمه السمحة.

وأسباب ذلك تعود في الدرجة الأولى إلى أسباب سياسية لا دينية، وبخاصة بعد الحروب الصليبية التي أعلنت فيها أوروبا المسيحية الحرب الدينية ضد المسلمين وجهزت الجيوش الجرارة التي دفعت بها على بلاد المسلمين تحت راية الصليب، تحارب الإسلام والمسلمين، وتنتهك الحرمات والمقدسات[1].

ولا شك أن مثل هذا التصرف العدواني يؤدي بصورة أكيدة إلى تعصب مماثل من المسلمين.

وإذا كان أعداء الإسلام يتهمون المسلمين بالتعصب الديني، فإن التاريخ المدون والثابت يؤكد لنا بشكل قاطع أن غير المسلمين كانوا يعاملون في الدولة الإسلامية أكرم معاملة، وتصان لهم جميع حرياتهم الدينية والفكرية، في الوقت الذي كانت أوروبا المسيحية في الأندلس تضطهد المسلمين أبشع اضطهاد وتمثل بهم أسوأ تمثيل، وتكرههم على الكفر بالإسلام والدخول في المسيحية. وتعذب بكل أنواع التعذيب كل من تسول له نفسه أن يبقى على إسلامه، حتى استحالت بلاد الأندلس في فترة وجيزة تحت سياط التعذيب بلاداً مسيحية لم يبق فيها من المسلمين أحد.

الولد: هل لك مثال تطبيقي في زمن الرسول ﷺ وفي ظل الدولة الإسلامية يظهر فيها موقع غير المسلمين؟

الوالد: نعم، في ظل الدولة الإسلامية، وفي المدينة المنورة بالذات وفي هيمنة النظام الإسلامي، كان المجتمع هناك يتألف من مسلمين وقبائل يهودية، متعايشين متآلفين في ظل النظام السلطوي المنبثق عن الشريعة الإسلامية، حيث كان هناك وثيقة اكتتبها رسول الله ﷺ

(1) نفس المصدر السابق.

مع ولادة تلك الدولة وأبرز بند في تلك الوثيقة كان: (يهود بني عوف أمة مع المؤمنين. لليهود دينهم وللمسلمين دينهم، إلا من ظلم وأثم، فإنه لا يوتغ [أي لا يهلك] إلّا نفسه)[1].

(1) هذه الوثيقة ذكرها ابن إسحاق من دون إسناد، وذكرها ابن خيثمة فأسندها: حدثنا أحمد بن جناب أبو الوليد حدثنا عيسى بن يونس حدثنا كثير بن عبد الله بن عمروالمزني عن أبيه عن جده، أن رسول الله كتب كتاباً بين المهاجرين والأنصار، فذكر نحو ما ذكره ابن إسحاق. وذكرها أي الوثيقة أحمد في مسندة فرواه عن سريج قال: حدثنا عباد عن حجاج عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبي ﷺ كتب كتاباً بين المهاجرين والأنصار، فذكره.

obeikandi.com

هل في صالح الغرب حذف الدين في مدارس دولنا الإسلامية؟

وهل الدين جَمَعنا نحن المسلمين أم فرّقنا؟

بعد الحوار السابق أود أن أقول: هل دين الإسلام دين سماحة أم دين التفرقة؟ إني أستغرب أن بعض الكُتّاب يقولون أن الدين يولد التفرقة !!ولكن كيف نعيش إذن في هذا العالم؟ هل نعيش بلا دين ونصبح كالبهائم، وهل خلقنا الله ﷻ لأن نعيش كما تريد بعض الأقلام بلا دين؟... وهل العيش تحت شعارات الشعوبية والديمقراطية والاشتراكية المزيفة في العالم سَلِمَتْ منها البشرية؟... فالدول الديمقراطية التي تنادي بها استعبدت العالم في ظل هذه المصطلحات، فأية ديمقراطية تلك؟.. وظلت الدول الاستعمارية تنادي بها منذ قرون عديدة، فأين طعم تلك الديمقراطية؟ مَنْ مِنَ الشعوب نجا وسَلِمَ تحت هذا الاسم؟ ومن نجى في ظل حكم الشيوعية؟ وقد رأينا كيف أن الدول الشيوعية انهارت عن بكرة أبيها وإلى الأبَد ... وهل الديمقراطية التي تنادي بها الدول الغربية قد نجحت في بلاد العالم الثالث؟ مَنْ طبَّقها؟ كثيراً ما سمعنا شعارات تنادي بالوحدة والحرية والاشتراكية ... وهل كانت تلك الشعارات صحيحة ... فلا أبالغ إن سميتها لا وحدة ولا حرية ولا اشتراكية، هذه الشعارات كانت للحيطان التي لُصِقت عليها فقط.

هذا هو العراق منذ قرون كثيرة لم يكن بين الشيعة والسنة عداوة تصل إلى حد القتل والجرائم البشعة، ولكن بعدما دخلوا في بلادنا باسم الديمقراطية بدأ العنف والقتل، والتدمير، وهتك الأعراض، وهدم المنازل، وقتل الأطفال، وتدمير الاقتصاد، وسرقة أموال الشعب ... والخ من هذه الأمور التي لا أريد إطالة الحديث فيها. ما ذنب الإسلام كدين في قتل الأبرياء؟ من أحلَّ قتل الأبرياء في ديننا؟ الكُلُّ يعرف أن مَن قتل نفساً بريئةً جزاءه جهنم وبئس المصير ناهيك من يكون هذا البريء وما دينهُ و ما انتماؤه ...

أتعجَّبُ من بعض الكُتَّاب عندما يقولون: إن الدين يسبب التفرقة؟ ... أنا مسلم

تربيت في ظل هذا الدين، أقسم بالله أنني لحدٌ الآن لا أستطيع ولن أستطيع أن أذبح دجاجة بالرغم من حلّه، بل حتى أن أؤذي حيواناً . . . فكيف أتجرأ إذن أن أقتل إنساناً؟ فمن أين أتت هذه الصفة التي أمتلكها أيها القارىء العزيز؟ أليست هذه الصفة منبعثة من الدين الحنيف؟ . . . فليعلم الغرب جيداً لو أراد أن ينتشر الأمن والاستقرار في العالم وخاصة في دولنا الإسلامية فلينشر الدين فيه . . .!! إني لحظت في هذه السنوات أن الغرب وعلى رأسهم أمريكا يَحثّون دول العالم الإسلامي على حذف دروس الدين أو بعض من مناهجها في المدارس؟ هذا شيء غريب وعجيب . . . أقول لهم أيها الغرب. أتريدون أن تعيشوا بسلام؟ فانشروا الدين بين الناس في المدارس وفي كل مكان ليعلم كل طالب وطالبة في المدرسة أنَّ قتل إنسان بريء حرام على إنسان آخر، مهما كان انتماء ذلك الإنسان البريء مسلماً أو نصرانياً أو يهودياً أو بوذياً، وإلّا لمن هي الآية الكريمة الآتية: ﴿مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: 32].

فإن كان الحكم حكماً الهياً فمن هرّم او قتل او نهب فالحكم عليه تقضيه الدولة كما قلنا ناهيك عن انتمائه الديني أو المذهبي.

عزيزي القارىء أنا تعلمت كل هذه الأمور ومنذ نعومة أظفاري على أيادي المعلمين والمعلمات في المدرسة، وَلِوالديَّ دور كبير في تلك التربية . . . . وإني إذ أرى أن الدول التي تحذف من مناهجها هذه التربية الدينية ستذوق الأَمَرَّين فيما بعد، وسيشهد لي العالم بعد عقد وعقدين من الزمن أنَّ ما كتبته قد وقع فعلاً. . . أنا لست مع بعض أخطاء التربية التي كانت تدرس في المدارس الابتدائية في مامضى من السنين، كتخويف الطفل من الجحيم، كأن نقول للطفل في المدرسة: إذا كذبت فسيدخلك الله في جهنم، وسيعذبك الله يوم القيامة عذاباً شديداً، أو إذا سرقت كذلك عذابك شديد . . . يعذبك الله . . وإلى ما شابه من ذكر تلك الأمور الخاطئة . . . هذه التعليمات الآنفة الذكر لم يأمر بها الإسلام لتقال للأطفال أبداً، فعلى كل مسلم أن يربي أطفاله من الصغر بأسلوب يُحبِّبُ الله والدين لهم، ولا يجوز أصلاً ذكر جهنم للطفل، نعم هذه الأمور تقال للفرد إذا بلغ أشده ، قال تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل: 125]، وليعلم كل إنسان أن عجز البيت أو المدرسة عن

إنجاب الطفل الصالح الذي سيكون بدوره أباً صالحاً هو سبب ما يعانيه البيت من توقف النمو الأدبي الصاعد، فالولد غير الصالح يمثل في المشكلة السبب والنتيجة معاً . . . فهو نتيجةٌ للبيت الذي لم يحسن تربيته، وهو أيضاً سبب إخفاق أولاده الذين لم يحسن تربيتهم بدوره عندما يصبح أباً. فالتدخل السافل في مجتمعنا من قبل الغرب، في مدارسنا وبيوتنا وسياستنا التعليمية هو لأجل ما فقدوه في بلادهم، ويودون أن يخربوا ويفسدوا أخلاقنا الاجتماعية وبنيتنا التحتية وفي كل المجالات.

كما لايجوز أن يدخل في ذهن الطفل أن النصارى واليهود وغيرهم من باقي الأديان هم أعداؤنا، بل فليعلموا أنَّ لهم دينهم ولنا ديننا، ونحن على خاتم الأديان ودين الحق المبين والأديان الأخرى باطلة. لكن إذا ربينا أطفالنا وجعلنا في قلوبهم محبة الله ورسوله، وتعاليم ديننا وذكرنا لهم ما في الجنة مما لا يتصوره الإنسان إذا صدق، وإذا التزم بأمور الدين . . . . فنكون قد أنشأنا جيلاً كجيل الصحابة والتابعين .

فالطفل إذا تربى كما ذكرنا آنفاً فعندما يكبر يستطيع أن يعرف بل ويعرف كيف يعامل الآخر من غير دينه، وربما باستطاعته في ذلك الحين بأخلاقه السامية وتصرفاته مع الآخر أن يُدخل كثيراً من غير دينه في الإسلام، وحتى دون إجبارهم على ذلك، هكذا أيها القارىء هو دين محمد ﷺ، فلماذا ننحرف عنه، ولماذا تتحدث الأقلام ضد الأديان برمتها، حيث أسمعهم من هنا وهناك يقولون: أن الدين ينشر التفرقة . . .

سمعت من كاتبة تقول في إحدى محطات التلفزة: كان والدي يقول لي خالفيني يا ابنتي خالفيني . . . ، أيها القارىء لو كان هذا صحيحاً ما تربى أحد منا تربية صحيحة على يد والده أو والدته . . . أنا شخصياً لو كنت أخالف والدي، لأصبحت الآن لا فقط أتجرأ على ذبح دجاجة ـ وهو حلال- بل لأصبحت سفاحاً للدماء وعالة على المجتمع . . . إني تربيت بحيث لا أذكر أحداً بسوء عند عدوه أو عند متنفذٍ أو ذي سلطة، لأني أخشى أن يؤذيه ذلك المتنفذ أو العدو وسوف أكون آثماً على ذلك . . . تعلمت كل ذلك من تربية والدي وفي مدرستي . . . هكذا تَرَبَّيتُ على دين محمد، إذن فمن يصدق الكاتبة عندما تقول: كان يقول لي والدي: خالفيني يا ابنتي خالفيني . . . نعم إني كنت أُناقش والدي وأخالفه الرأي لإني كنت يافعاً وعلمي قليل بأمور الدين، فكان رحمه الله يقنعني ويشفي جوابه غليلي . . . هكذا هي التربية الإسلامية العظيمة .

وأَعود مرة أخرى للكاتبة الفاضلة لأقول لها: الدين يجمع الشعوب ولا يفرق بين الشعوب، فأنا كمؤلف هذا الكتاب كردي أباً و جَدّا، فلولا الإسلام فما الذي كان يجمعني معكِ أيتها الأخت الفاضلة؟ فالدين يجمع التركي والفارسي والأندونيسي والباكستاني والعربي والأفريقي، وسائر الأقوام والأعراف المسلمة، فها أنا بأقلامي المتواضعة أساهم و أُدافع عن قوميتك أنت، لأنك مسلمة، حتى لوكان دفاعي بمقدار مثقال ذرة، . . . كما أحب قَومكِ لأنني معكِ في دين واحد، والباكستاني كذلك يجمعني بهم دين واحدِ، وكذلك مع الأفريقي المسلم، مَع اختلاف ألواننا يجمعنا دين واحد، وقد دافعنا عن كرامة الإسلام جميعاً، لأن لنا دين واحد، ونصرنا كلمة الحق، لخالقنا في الأرض جميعاً، وهو الأَهم من كل ذلك . . .

إذن فكيف يجوز أن نقول أن الدين يفرق الشعوب؟ . . . من أجاز للشعوب لتحارب بعضها البعض؟ هل الإسلام حثنا على ذلك؟ وخير دليل كلام الله جلَّ وعلا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ﴾ [الحجرات:13] . . . نعم (لا لتحاربوا) . . . فمتى ما أُعلِنت الحرب علينا كمسلمين، سندافع عن أنفسنا ولا نعتدي على أحد، هكذا هو الإسلام هكذا هو ديننا الحنيف . . .

دعيني أيتها الكاتبة أن أقص عليك كيف أن الدين يبعد المرء من محاربة غيره وكالآتي: في حرب العراق على الكويت سُرِق في الكويت ما سرق، وقد حثت الحكومة الناس آنذاك على نهب ممتلكات الكويت الدولة المسلمة، وقد نقلت تلك الممتلكات إلى مدن العراق، فأتوا بمجموعة من المناضد والكراسي إلى جامعتنا ومنها قسمنا قسم الكيمياء.

انظري أيتها السيدة الفاضلة والله ما إن وقعت عيني وعين زملائي الأكراد على تلك المناضد إلّا وقد امتلئت عيوننا دموعاً، وقلوبنا حزناً، وكنّا نخاف أن نتظاهر بذلك، ولكن أُجْبَروا كثيراً منّا أن يأخذوا المناضد والكراسي إلى غرفهم . . . ولكن أتدرين ما رد فعلنا؟ أبينا أن نقبل تلك المكاتب لأننا كنّا نعلم أن هذه هي ملك إخواننا في الكويت، وقد تم محاسبة كثير منا على هذا الفعل ـ الرفض ـ وقد أُهين بعض أساتذتنا لأنهم رفضوا قبول تلك المكاتب، أنا شخصياً تأثرت كثيرًا وخاصة عندما وقعت أنظاري على منضدة مغطاة بزجاجة مستطيلة وتحتها صورة أستاذ جامعي مع زوجته وأطفاله، أقول الحق فإني لم أَنسَ هذا الأمر لمدة طويلة، و ينتابني الأسف والحزن كلما أتذكر ذلك . . . يا ترى ما الذي جعلنا أن نرفض تلك المكاتب؟ أليس لأن ديننا ينهى عن ذلك؟ أليس لأننا و شعب الكويت على دين واحد؟ إذن هل جمعنا الدين أم فرقنا أيتها السيدة الفاضلة؟ ما الذي جعل قلوبنا فيها تلك

الرحمة والشفقة نحو الكويتيين؟ أليس الدين الحنيف سبب ذلك؟ . .

أما الأمر الأهم من ذلك فنحن في مدينة يسكن معنا في مركز المدينة حوالي (20000) مسيحياً ومنذ قرون كثيرة، هل تدرين أيتها السيدة أنه لحدِّ الآن لم يتعدَّ فرد منّا على أحد من هؤلاء المسيحين، وليس هناك حالة واحدة تُظهر أننا قد تعدّينا على هؤلاء؟ ولكن من أثَّرَ فينا أن نكون كذلك؟ أليس الدين هو الذي ربّانا كذلك؟

أيتها الكاتبة هناك أُمورٌ بدأ الآخر ينتهي منها . . . وأنت تدافعين عنها، فقد بدأتِ تحثين المسلمين على التخلي عن شعائر الدين ومنها الاحتشام . . . هل رأيت قناة العربية التي أذاعت خبراً في 20/ 2/ 2008 يوم الأربعاء الساعة السابعة والنصف ـ مساءً ـ كان مفاده: أن مقاطعة من مقاطعات أمريكا بدأت مدارسها تفصل بين البنين والبنات زعماً من أن المستوى العلمي في تلك المدارس قد تدنّى كثيراً، وقد صرحت عوائل بعضٍ من الطلبة من أن تدني مستوى الدراسة سببه الاختلاط الأهوج بين الطلبة، لذا فقررت المقاطعة هذه تطبيق ذلك، وكأن هؤلاء يطبقون ما أمر الله ورسوله به. . . هكذا هي شريعتنا وهكذا هو ديننا، فالآخر لابد أن يعود إلى ما جاء في ديننا وإن لم يُسلِموا . . . وأنت أيتها السيدة الفاضلة تبدأين بما هم قد ينتهون منه !! . . .

وكان من المستغرب في السابق أن تغزو تيارات وافدة من الغرب عقلية الشباب، وخاصة من حيث المودات والبدع المستوردة من هناك لينالوا من عضد الشخصية الإسلامية وصلابتها ومن إيمانها الراسخ، ولكن اليوم يتسم بإصدار التيارات التي تؤثر في أطفالنا، وعن طريق حكوماتنا، وذلك بالضغط على تلك الحكومات لتنفيذ ذلك، فمع الأسف لقد سيطر الاستعمار اليوم على كثير من القيادات في العالم الإسلامي، وإنه عن طريقهم و عن التأثير عليهم بدأ يُنفذ برنامجه المسموم . . .

إن الاستعمار بهذه الطريقة وبأسلوب مقنع ومتستر يريد أن يزيل أهم شيءٍ في الجيل الجديد، بل وتنشأة جيل موجه من قِبَله عن طريق حكوماتهم وإزالة الإيمان من قلوبهم أو منع دخول الإيمان في قلوب صغارنا لأنه يعلم أن الإيمان بالله وبرسوله له أثر في قوة الإرادة والعزيمة وفي تقوية مقدرة الأمة على التحدي للمطامع الاستعمارية والصهيونية، ويعلم الغرب جيداً أن الإيمان إذا ما بقي فينا فإنه سيكون سبب من أسباب تحقيق الشعور بالسعادة

والرضا، والسكينة والاطمئنان والاستقرار، بل إنه يُعَدُّ سبيلاً إلى القوة والترابط والتماسك، والإيمان منهج من مناهج التقدم والنمو والرخاء والازدهار المبني على الخلق والفضائل. إذن لا بد أن نُربي أطفالنا في المدارس وفي البيوت التربية الهادفة التي تؤدي إلى ترسيخ الإيمان وقيمه في أعماق الشخصية والعودة إلى القرآن الكريم، وهو دستورنا الجامع ومدرستنا الجامعة في الخلق والفضيلة والحق والعدل والتعاون والإيمان وعدم الظلم، إذن فهذه القيم هي الدعامة القوية في إصلاح الفرد والمجتمع.

obeikandl.com

الغرب إذا آمن ماذا سيكون ؟ وكيف حاله الآن ؟....

تَصورّ أيها القارىء الكريم ماذا يحدث لو سلك الغرب أخلاق الإسلام؟ إذا ابتعدوا عن المحرمات كالزنا والقتل وغيرها، وقد يستغرب القارىء ويقول لماذا ذكرت الزنا هنا فهل يُحدثُ الابتعاد عن الزنا تغييراً في المجتمعات؟ أقول نعم فإن الزنا لكونه خيانة، فالمرء يكوِّن علاقة محرمة مع امرأة غير زوجته ... فإذا كان المرء متزوجاً، وهذا يعني أنه قام بمخاللة امرأة أخرى سراً دون علم زوجته؟ فهذه هي خيانة كبرى نعترف بها جميعاً، ثم ينجم من تلك الخيانة، الكذب الفاحش حيث لا بد أن الرجل الخائن سيتصل دوماً بالمرأة هاتفياً في بيته، فإن قالت الزوجة: من كان على الهاتف؟ فيَكذب الرجل ويقول: اسماً لصديق أو ما شابه ذلك، وإن أراد الزوج الخروج للاتصال بخليلته الحرام، وسألته الزوجة إلى أين؟ فيَكذب ويقول ما يقول من الأحاديث الكاذبة المختلقة، وهذه خيانة وكذب ونفاق مع زوجته التي هي أقرب الناس إليه ... إذن يا ترى كيف يكون حال الرجل الخائن مع الآخرين ومع الحكومة والمجتمع؟ إذا كان هذا حاله مع زوجته ... ثم لو عَرفَت الزوجة ما يفعله الرجل ربما سلكت نفس السلوك وخاللت (أي وجدت لها خليلا) دون أن يعرف زوجها بذلك، هذا يعني أيضاً إذا خانت الزوجة زوجها فسوف تكذب هي أيضاً في مواعيدها وربما تخرج للقاء رجالٍ هنا وهناك وإذا سألها زوجها: إلى أين؟ ربما تقول: إلى بيت أختي أو ما شابه ذلك من الأكاذيب وهي بعينها خيانة .... وأقول الحق في كثير من الأحوال يكون الرجل هو البادىء والمذنب أولاً ثم الزوجة بعده، وربما لا تخون الزوجة حتى في هذه الحال ...

إذن عزيزي القارىء أرأيت ما هي تبعات الزنا فإنه يغير كل خلق الإنسان ...دعني أقول أكثر من ذلك ... في حال حدوث ما جاء آنفاً بين الرجل وزوجته سينقلب البيت إلى جحيم، وتنشأ مشاجرات واتهامات كثيرة فيه تودي بحياة العائلة ... ثم ماذا؟... الزوج لا يتحمل هذا الوضع، فماذا يعمل؟ يشرب الخمر لينسى المشكلة، رغم أن المشكلة لا تنحل بعد الشرب، فهو (أي الخمر) سيُنسيهِ المشكله بصورة مؤقتة لا أكثر ولا أقل ... وهذا

يعني وقوع الرجل في مشكلة أخرى في منتهى الخطورة وهي شرب الخمر ... وعندما يدمن الرجل على الخمر ربما يستنفذ لديه المال فماذا يفعل؟ سيتوجه إلى لعب القمار، ظنًا منه أنه سيربح لسد تكاليفه ... ولكن هل يربح في قماره أم يخسر؟ فالربح محال في هذه الحالة لأنه لا يوجد شخص صار غنياً بالقمار ... المهم هنا أن الرجل وقع في أَمرٍ حرام آخر نتيجة لفعل الزنا ... لحد الآن أظن أن القارىء بدأ يفهم أن الزنا أدى إلى النفاق والرياء والخيانة الزوجية والكذب الفاحش، وشرب الخمر ـ والعياذ بالله من شره ـ إضافة إلى مضاره الصحية وبالأخص عندما يُدْمِنُ الفرد عليه.

يا ترى لحدِّ الآن ترى أن الشخص في بداية خيانته مع زوجته سيتعلم الكذب والنِفاق والخيانة ومخالفة المواعيد مع الآخرين.

أيها القارىء هل توافقني الآن إذا قلت أن الزنا هو أمُّ الفواحش؟ ...ثم دعني أستمر في حديثي لنرى معاً أين نصل.... لو خسر الرجل الزاني في قماره مع الآخرين وأضاع حتى دخله الذي كان يملكه فماذا يعمل؟ يبدأ حتماً بالسرقة، والسرقة طبعاً لابد أن تكون بالسطو على الآخرين أو سرقة أموال الدولة، فتبدأ مشكلة أخرى ربما تؤدي إلى القتل ... إذن انتهت مشكلة الوقوع في الزنا حتى في أبشع جريمة على الإطلاق وهي السرقة والقتل... وربما يسأل القارىء ويقول: لكن الزنا مباح في أمريكا ...، الجواب: أقول ولكن هل أنت مقتنع بالصفات التي نجمت أو تنجم عن الزنا ... وهل أنت مقتنع بكل الصفات الأُخرى كالخيانة الزوجية سِراً، وعلى أثره الكذب والنفاق والرياء وشرب الخمر والقمار والقتل؟ ربما يسأل القارىء ويقول: ربما الزوجة في هذه الحالة عندما تعلم أن زوجها يخون فهي تخونه بدورها أيضاً؟ نعم أصبت أيها القارىء، ولكن أيضاً إذا فعلت الزوجة كذلك، فيعني خيانة الزوجين مع بعضهما البعض وإفشاء الكذب والنفاق والرياء وتدمير العائلة بالكامل، فبالله عليك كيف سيكون مجتمع تلك صفاته؟ ماذا سيكون حال الأطفال فيما بعد؟

أي زواج إذن في مثل هذه البلاد؟ أخي القارىء هل اقتنعت بكلامي أن الغرب إذا ما مضوا على طريقتنا ـ أي الإسلامية ـ فهم سيصبحون في القمة. أخي القارىء لا يَغرنَّك تقدمهم فإننا في السابق كنا متقدمين في حضارتنا عندما التزمنا بالدين، فانظر إلى (ابن سينا) هذا الرجل المسلم تاريخه يعود إلى ألف سنة مضت، فوالله إني رأيت في التلفزة أن مجموعة

من الباحثين في المختبرات كانوا يحللون ويفسرون ما جاء به (ابن سينا)، وقد تعجبوا مما قام به هذا الرجل، حيث من ضمن أسئلتهم كانوا يقولون؟: الغريب كيف أن هذا الرجل كان له هذا العلم في ذلك الوقت؟ وكيف استطاع أن يقدر الجرعات الموصوفة والمسموحة؟ وكيف أنه قدَّر الجرعات السامة من الأعشاب؟ وكانت هذه الأُمور تُحَيِّرهم حقاً . . . هكذا هو المسلم الصحيح . . . . هكذا كان الإسلام حتى قبل (1000) عام، فابتعدنا عن الدين فنسينا كل شيء، وتأخرنا وبدأ الاستعمار يسيطر علينا ويفسدنا ويسرق أموالنا ونفطنا ويسفك دماءنا، ويجعلنا لقمة سائغة في يديه . . .

دراسة لجامعة هارفارد الأمريكية.

الاحتشام وراء نُدرة الإيدز بالمجتمعات الإسلامية

دعت دراسة أجرتها جامعة هارفارد الأمريكية، النساء الأمريكيات إلى الاقتداء بالمرأة المسلمة في احتشامها وأخلاقها كسبيل للقضاء على الانحلال الخلقي والأمراض الخطيرة السائدة في المجتمعات الغربية عموماً والأمريكية خصوصاً. إن الدراسة التي أجرتها جامعة هارفارد الأمريكية جاءت بطلب من إحدى الجمعيات المتخصصة في الأمراض المرتبطة بالأخلاق من أجل إعداد دراسة مقارنة عن مدى انتشار الأمراض الجنسية بين النساء المسلمات والنساء الغربيات، حيث جاء استغراب الجمعية من أن مرض الإيدز، لا يشكل هاجساً يطارد المجتمعات الإسلامية حتى عند سفر أحد أبناء الأسر المسلمة المتمسكة بتعاليم الدين الإسلامي للخارج، وهذا يَحول دون الإصابة بالإيدز!! وأوضحت الدراسة أنه حتى داخل المجتمع الإسلامي نفسه، فالجميع يعيش في اطمئنان تام من عدم تسرّب هذه الأمراض الخطيرة إليهم. لأن المجتمع من الداخل يتمتع باستقرار اجتماعي، وبُعْدٍ تامٍ عن الانحلال الأخلاقي. كما تلتزم كل امرأة مسلمة بتعاليم دينها، ومن ثم لا مجال للممارسة الجنسية خارج إطار الزواج ! وأضافت الدراسة: أَنَّ نسبة تفشي مرض مثل مرض الإيدز في المجتمعات الإسلامية لا يتعدى النصف في الألف. وليست هناك أية خطورة على تلك المجتمعات من تسرّب تلك الأمراض إليها بسبب التزام النساء المسلمات أخلاقياً ودينياً. وهذا ينطبق على جميع الأمراض الجنسية الأخرى التي أثبتت كل الأبحاث العلمية أنها لا تغزو إلاّ المجتمعات التي لا تعرف حدوداً للأخلاق!!.

وأظهرت الدراسة الأمريكية أيضاً أن الأبحاث التي أجريت على انتشار الأمراض الجنسية بين الجاليات المسلمة في الغرب كشفت عن الأُسر المسلمة التي تعيش وفق تعاليم الدين الحنيف لا تعاني من أي أمراض!! كما تتمتع بحالة من الاستقرار الاجتماعي الذي يساعدها على التقدم مادياً واجتماعياً، في حين كشفت الدراسة النقاب عن أن الأسر المسلمة

التي لا تلتزم بهذه الأخلاقيات قد تعاني من العديد من المشاكل التي يعاني منها المجتمع الغربي سواء بسواء[1]. إذن أليست هذه الأبحاث التي أُجريت في هذه الجامعة تثبت عظمة تعاليم ديننا الحنيف؟ أليست تلك معجزة هذا الدين حيث أن هذه الدراسات العلمية أُجريت بإشراف علماء الغرب وليس بإشراف علمائنا . . . ونرى هنا أن الآخر (الغرب) يشيد بديننا ومنهجنا، ولكن الغريب أنَّ بعضًا من المسلمين بدأوا الآن يقفون موقف المعادي ضد الاحتشام والحجاب وأمورٌ أخرى من ديننا!! فكيف يوفقنا الله؟. . والاحتشام لا يعني ستر جمال المرأة فقط بل إنما الاحتشام هو الالتزام بمبادىء الدين، فَمنْهَجُ مَن هو الاحتشام؟ أليس منهج الرسول ﷺ؟ هكذا إذن يؤدي الالتزام بمبادىء الدين إلى عدم الإصابة بالأمراض الخطيرة وعلى رأسها مرض الإيدز، وإذا استمر هذا المرض بمعدلاته الحالية فسيتهي نصف سكان أفريقيا بعد أعوام أو ربما عقود.

فالإسلام الذي أمرنا بالاحتشام نلتزم به ولا نخالف أوامر الله ورسوله.

وأنا أستغرب كيف أن بعض الأقلام العربية في هذا العصر تعادي الاحتشام، وتدافع عن حقوق المرأة ـ زوراً ـ بأن تحريرها من الحجاب هو تقدم وحضارة، فليقرأوا هؤلاء أبحاث جامعة هارفرد الأمريكية السالفة الذكر، فعندئذ سيعرفون الحقيقة، فعلماء الغرب في أبحاثهم وتجاربهم العلمية لا يخونون ولا يفترون، ولا يتزلفون . . .

إذن هل بعد كل هذه التوضيحات ستشرع تلك الأقلام الكَفَّ عن كتابة هذه الأمور التي لا تُرضي الله ورسوله؟

سبحان الله. . . (يتهمنا المثقفون الفرنسيون والمؤرخون أمثال (رينان) المؤرخ الإيديولوجي وإلى (كلود ليفي ستروس) الأنتولوجي الفرنسي والكلاسيكي الشهير، بأن الإسلام كما يراه (رينان) عالم فاسد بحدِّ ذاته، ولا يستحق أن توجه له العناية نفسها الموجهة إلى البقايا النبيلة لعبقرية اليونان والهند القديمة وفلسطين اليهودية)[2].

يا ترى أيها القارىء هل نحن الفاسدون أم هم الفاسدون؟ !! وهل الإسلام في منظور

(1) جريدة الأفق الجديد، (عدد/ 155 في 27/ 6/ 2006) من الإنترنيت بتصرف.

(2) هشام جعيط(أوروبا والإسلام: صداقة الثقافة والحداثة) بيروت دار الطليعة، 1995، ص: 27.

أجهزة الإعلام الغربية كَكلٍّ تتَّصف بالجمود والانغلاق والتخلف، وتحكمه خطيئة أصلية أو جرثومة أبدية على حدّ تعبير المستشرق البريطاني (بريان تيرنر)[1]، تجعل منه ديناً للعنف والبدائية ومن هنا تكمن ضرورة تأديبه، من المتحضر خلقياً وأدبياً واجتماعياً؟ هم أم نحن المسلمون (. . . إن الإعلام الغربي يلتقط الآن ويعيد إلى الأذهان الدور التحضيري الذي يقع على عاتق الغرب في تطوير وتحضير شعوب الشرق، إنها كما يقول زكي ميلاد وتركي علي الربيعو)[2] ـ المهمة التي استعارتها الإمبريالية الغربية من حثالة القرن الثامن عشر .

والغريب أن الحداثة في فهم الغرب تعني القطيعة مع الماضي، وأن التراث لا يمثل مرجعية معرفية في حاضره في قراءة الأفكار والمواقف والمناهج والنظم والأحداث، إلّا أنه ـ أي الغرب ـ في علاقته بالإسلام لا زال مسكوناً بالماضي إلى حد كبير، والتعاطي معه مصحوباً بالتوجس عادة، فالحروب الصليبية التي عرفت بهذه التسمية في الخطاب الغربي، وحروب الفرنجة في الخطاب العربي والإسلامي، والتي دامت أكثر من قرنين من الزمن ابتداء من عام 1095 م، لا زال الغرب إلى هذا اليوم يستعيد ذاكرة هذه الحروب، وهي حاضره حتى في مناهجه التي يغذي بها أجياله الجديدة.

ولكن لماذا الغرب يعيد نتاج ذاكرة الحروب الصليبية لأجياله، ولا يستعيد ذاكرة المكتسبات الحضارية الكبيرة التي أخذها من الحضارة الإسلامية، وتحدث عنها كل من المستشرق الإنجليزي (مونتجودي وات) في كتابه المعرب (فضل الإسلام على الحضارة الغربية)[3]، والباحث الأمريكي في شؤون الأديان (أنوودك) في كتابه (المسلمون في تاريخ الحضارة)[4] و (أرشال هودجسون) في موسوعته (غامرة الإسلام: الوعي والتاريخ في حضارة عالمية)[5] فالإسلام الحقيقي كله أخلاق سامية وضمان لحقوق الإنسان، وهل يخشى الغرب من تلك الأخلاق السامية السالفة الذكر؟ أليست تلك الأخلاق هي علاج يقيني لحماية مجتمع الحضارة الغربية، بل حمايته من الانهيار وشفائه من أمراضه المتوغلة اليوم فيه؟ وهل بخلق

(1) بريان تيرنر، ماركس ونهاية الاستشراق، ترجمة يزيد صايغ (بيروت، مؤسسة الأبحاث العربية، 1981)، ص: 14.

(2) الإسلام والغرب، الحاضر والمستقبل ص: 32، 1998 نقلاً من1م جعيط.

(3) صدر عن دار الشروق - بيروت، ترجمة: حسين أحمد أمين، 1983 م، ص: 56.

(4) صدر عن دار السعودية للنشر، جدة ترجمة .د.محمد فتحي عثمان 1982 م.

(5) مجلة الاجتهاد (بيروت) السنة السابعة، العددان السادس والعشرون والسابع والعشرون، 1995 م، ملف تاريخ الإسلام وتاريخ العالم، الوعي والتاريخ في حضارة عالمية.

الإسلام يعود الغرب إلى قوته وشبابه أم يقع في هاوية الخراب؟ يفتقد الغرب كلياً الغذاء الروحي الذي يجب أن يقدم لروحه و وجدانه، وهذا الغذاء فطرة مغروسة في الإنسان بدونه يشقى الإنسان مهما فعل . . . إذن على الغرب أن يعلم أهمية الخُلُق السامية في حياة أفراده، الكل هناك بل معظمهم يتعملون المهدئات، والمنومات لأجل أن يناموا، كل تلك العلامات منبعثة من نقص غذائهم الروحي، فالغرب نسي الإنسان وذهب إلى تقديس الآلة، وهذه هي مصيبة الغرب . . .

الخُلُق السامية في ديننا هي التي تجعل أفراده يركنون من حياتهم الروحانية الى عش الأسرة، بل اذا دققنا في حياة الآخر وجدنا أنهم لم يدرجوا من هذا العش ولم يعرفوه.

إن الفراغ الفكري والعاطفي المرهق في الغرب جعلهم يتشبثوا بأسباب النسيان كالمسكرات والمخدرات، والشذوذ الفكري و الجنسي، يا ترى ماذا ينتظر الجيل الناشىء في أمريكا بمشاكلهم السالفة الذكر من شذوذ الجنس، وشذوذ الفكر وغيرها، وحتى انتقلت هذه المظاهر إلى هذا الجيل الذي لا تتجاوز أعمارهم عشرة سنوات، فمستقبلهم خطير وحضارتهم مهددة، (ولعل المرء قد سمع أو قرأ ما تناقلته وكالات الأنباء المتنوعة من أن 40٪ من المدارس الابتدائية في أمريكا، يتم إخضاع تلامذتها لجرعات محددة من المخدرات، بإشراف أطباء متخصصين، لضرورة توفير ما لا بُدّ منه من التوازن الفكري لديهم) [1].

(1) نقلت إذاعة لندن يوم (5) حزيران عام 1999 تقريراً عن هيئة الأمم المتحدة يتضمن نسبة اللجوء إلى العقاقير الطبية المحظورة في تزايد في المجتمعات الأكثر رفاهية وثراء. ويؤكد أن واحداً من كل عشرة أشخاص في أوروبا يلجؤون إلى هذه العقاقير، كما يؤكد أن 40٪ من أطفال المدارس في أمريكا، يعطون جرعات من هذه العقاقير ضمن وصفات طبية للتغلب على العوائق التي تمنعهم من مواصلة دراستهم ، نقلت هذا الخبر من كتاب الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي ، الإسلام والغرب ، 2007، ص: 191.

هل تبحث نساء الغرب عن الحقيقة؟

كاتبة روائية مسلمة تنتقد تعاليم الدين.

يا لهول المصيبة الكبرى!.

لابد أن كتابي حول هذا الموضوع تدور رحاه حول قلم كاتبة روائية مسلمة منا، والغرب يستعين بها لكي ينتقد ديننا الحنيف، كما يشمل موضوعي هذا أفراداً أسلموا من أوروبا وأمريكا والنساء منهم قد تحجبّوا وفعلوا بعكس ما تقول كاتبة عربية و روائية: "كان والدي يقول لي: خالفيني يا بنتي خالفيني" . . . وبرعت هذه الكاتبة ـ حسب تصورها ـ مخالفتها عن ارتداء الحجاب، كما توصي نساء المسلمين برفع الحجاب عن رؤوسهم، أي أنها تنادي بتحرر المرأة من قيد الحجاب، إنها بهذه الفكرة تخالف ربَّ الخلائق جميعاً . . .

يا لهول المصيبة الكبرى، فجزاء هذه المرأة يوم القيامة شديد، فأدعو لها وأتمنى أن تستفيد من أقلام تكتب من هنا وهناك لكي تعي وتعلم كيف أن ديننا تعشقه كثير من نساء الآخر، ولكي تعلم هذه المرأة ما حالها وتقارن نفسها بحال نساء غربيات أسلمن وتحجبن وأنهن فخورات بهذا الاحتشام، ولهن قصصاً تقشعر منها الجلود وتذرف لها الدموع، وأول ما أبدأ من هذه القصص هي قصة البنت الفاضلة والبرتغالية الأصل (ماريا جو)[1]، حين كتبت قصتها في 26 تشرين الأول سنة 2005، بعنوان رحلة السعادة والمعانات، وكالآتي :

قصة (ماريا جو) البرتغالية

ولدتُ في (فارو)، البلدة التي تقع في أقصى جنوب البرتغال. وفي نشأتي، كنت محبة لوطني إلى أبعد حد، وكاثوليكية مخلصة. اعتادت أمي أن تناديني بـ (جان دارك

(1) قصة (ماريا جو) تُرجمت من قِبل: هالة صلاح الدين لولو، 2007 ميلادي توزيع دار الفكر - دمشق البرامكة وتصرفت فيها شخصياً بين حين وآخر.
http://www.islamicity.com/forum/forum/-posts.asp?TId=2748&PN=2#top
أرجو من قرائي أن يقرأوا قصصاً كثيرة في هذا المصدر، ليتنوّروا.

البرتغال)[1] ـ ليس لأني أنقذت بلادي، وإنما لحبي الشديد للبرتغال، ولأني كنت كاثوليكية ورعة، ولقد جعلت والداي يتعهدان بالمشاركة في القداس مرة كل شهر على الأقل في الكاتدرائية الضخمة التي تقع في وسط البلدة، كنت طفلة وحيدة، وكان والداي يعملان حتى ساعة متأخرة، لذا اعتدت أن أمضي فترة طويلة من الوقت في الكنيسة المحلية، أتلو صلواتي لله، وللمسيح، وللقديسين.

عندما أنظر إلى الوراء، أتذكر إلى أي حد يمكن للمرء أن يكون بسيطاً ؟

عندما كنت في العاشرة من عمري، انتقلت مع عائلتي إلى لشبونة، عاصمة البرتغال، كان ذلك أمراً رائعاً ومثيراً، فمدينة لشبونة أكبر بتسع مرات من (فارو) وكان اسم المنطقة التي عشت فيها في تلك المدينة هو (ألفاما)، وكنت قد سمعت أن المغاربة هم الذين أسسوها، وأن المنزل الذي أعيش فيه قد بناه مسلمون منذ زمن بعيد، لكني ألقيت نظرة سريعة على تلك الحقائق وحسب. وفي غمرة ذلك كله لم أنس قط إيماني. انتسبت إلى المدرسة الكاثوليكية وذهبت للاعتراف يومياً (لكاهن الكنيسة)، واعتبرت يوم الأحد يومي المفضل في الأسبوع، لكن وفي اليوم الذي بلغت فيه الحادية والعشرين من عمري تغير كل شيء.

رتّب لي أصدقائي ذات يوم مفاجأة، إذ اصطحبوني لتناول الطعام في مطعم رفيع المستوى، باهظ الثمن. وكما هي العادة دائماً، تلونا صلاتنا قبل الأكل، لم يكن أحد من أصدقائي ورعاً كما كنت. وضحكنا وأكلنا وشربنا وقضينا وقتاً ممتعاً. لكن فيما بعد، دار الحديث حول موضوع جدّي. وطُرح سؤال عن سبب التزامي الديني العميق. فأجبت بأن الله هو خالقنا، فلم إذن ننكر الجميل؟ وانبرت إحدى صديقاتي (بياتريث) لتقول: إن ذلك ليس بالأمر الهام ؛ فما دمنا كاثوليك، فنحن وعلى نحو آلي قد ضُمِن لنا دخول الجنة. وعارضتها بقوة، لكني تبينت أن جميع أصدقائي الآخرين كانت لديهم طريقة التفكير ذاتها. فعلى هذا النحو قد تعلموا. لم يكن ذلك معقولاً بالنسبة إليّ على الإطلاق: هل يمكن أن تكون المرأة مومساً وتدخل أبواب السماء فقط لأنها كانت كاثوليكية، مثل أولئك الممثلات الفرنسيات المبهرجات؟

في تلك الليلة، عدت إلى المنزل وقرأت في الكتاب المقدس حسبت أن ذلك سيريحني، لكني كنت واهمة إلى حد كبير. فقد بدأت الأمور تبدو غير منطقية ـ وبعد التفكر

(1) جان دارك : قديسة وبطلة قومية لدى الفرنسين.

وإمعان النظر تساءلت: لم اختار الله ابنه من أجل غفران خطايا الناس، ألم يكن بوسعه أن يختار شخصاً آخر؟ وكيف بوسع السيد المسيح أن يكون ابناً لله و ـ هو بذاته ـ إلٰهاً في وقت واحد؟ حينما كنت أقرأ الإنجيل من قبل ولا أفهم شيئاً ما، فإني كنت أمرُّ عليه مروراً سريعاً. لكن في عيد ميلادي ذاك المصيري وبمشيئة الله، برزت الأشياء واضحة في ذهني. وذهبت لأنام وأنا أشعر بالقلق، قائلة في نفسي: إن ذلك اليوم كان، أسوأ يوم في حياتي. لكنه كان الأفضل.

في اليوم التالي، ذهبت إلى كاهني (القسيس بيدرو) وسألته عن ذلك، من المؤكد أنه يعرف الجواب. لكن فوجئت حينما قال لي: إن ما أسأل عنه هو من أسرار الكاثوليكية وفرض علي كفارة لشكوكي تلك! لقد كنت في حال من الحيرة والارتباك.

بعد مرور بضعة أسابيع (كنت ما أزال مسيحية، لكن كانت هناك شكوك في ذهني)، رأيت مجموعة من المسلمين يصلون داخل مبنى صغير. كان ذلك أمراً مدهشاً، إذ لم يكن هنالك عدد كبير من المسلمين في لشبونة لكنني تجاهلتهم وتابعت طريقي.

وكانوا هناك في اليوم التالي، يصلُّون أيضاً. وبدت لي الآيات جميلة التي كانوا يتلونها، لكني قاومت الإغراء وذهبت في طريقي كالمعتاد.

كان اليوم التالي هو يوم الجمعة، وفي ذلك الوقت، كان هنالك مزيد من المسلمين. ولم أستطع أن أقاوم الإغراء، وبعد أن غادر أغلب الناس المكان، سألت رجلاً أن يدلني على رئيس مجموعة المصلين تلك وعندما وُجِّهتُ إلى الإمام، دهشت لملامحه البرتغالية. لكنني لم أهتم بذلك كثيراً. وطلبت منه أن يحدثني عن الدين الإسلامي. فكلمني عن أسس المسلمين الفكرية وأعطاني كتاباً عن ذلك الموضوع. شكرته وعدت إلى المنزل.

في تلك الليلة، كنت منشغلة بامتحانات كليتي وأشياء أخرى، فظلَّ الكتاب الإسلامي في مكانه ينتظر القراءة. فيما بعد تناولته وأخذت أقرأه. كانت الصفحات مليئة بتفاصيل مؤثرة لم أكن أعرفها عن الإسلام. تعلمت في نشأتي (كما قلت فإن الأيبيريين غير مغرمين بالمسلمين)، أن الإسلام دين قتال. وكانت تقول معلمتي: إن الإسلام دين مُلفَّق قد نقله محمد عن الإنجيل، وإن المسلمين جلبوا الخراب للبرتغال. وحتى بطل البرتغال القومي (فاسكو دي غاما) كان مناوئاً للمسلمين، وكان ينشر دعاية مغرضة ضدهم، وحاربهم في المغرب، حيث هناك فقد إحدى عينيه.

كانت لديّ امتحانات في الكلية طيلة ذلك الأسبوع، ولم أستطع أن أصرف الإسلام عن ذهني. وللمرة الثانية، يوم الجمعة، زرت الإمام. في هذه المرة تعمَّقت أكثر في التفاصيل، وأعطاني نسخة من القرآن الكريم المترجمة إلى البرتغالية. ولما عدت إلى المنزل وقد هدأ بالي بعد انتهاء امتحاناتي، أخذت أقرأ القرآن. لقد كان تأثيره فيَّ كبيراً إلى حد أني لم أستطع النوم طيلة تلك الليلة. لقد انتهيت من قراءة القرآن كله في ساعات قليلة وحينذاك بدأ عذابي.

في قصتي هذه كلها لم أتكلم كثيراً عن والديَّ. لقد كانا، كما كنت أنا سابقاً، كاثوليكيين تقيين. لكن لم يتوافر لهما متسع من الوقت لي، ذلك أن عملهما كان يتطلب منهما اجتهاداً بالغاً وساعات طويلة كحال عملهما السابق في بلدة (فارو) مع ذلك كانا يقضيان بعض الوقت معي حينما تسنح لهما الفرص .

وفي أحد الأيام وبينما كنا في نزهة، اعترفت لهما أني مهتمة بالإسلام. لكن رد فعلهما لم يكن طيباً. لم يحدث يوماً أن وجَّه والديَّ إلي صفعة، لكن كلماتهما يومئذ كانت أسوأ من ذلك. لقد ألقيا علي محاضرة عن مدى الشر في دين الإسلام. لم أصغ إليهما مع ذلك، وخالفتهما الرأي بجرأة. عندما أعود بذاكرتي إلى تلك اللحظات، لا أستطيع أن أصدق مدى الطاقة الكبيرة التي كانت تسري في جسدي.

عندما عدنا إلى المنزل، ظل والديّ يحاولان إقناعي لكن باللجوء إلى الصراخ عالياً هذه المرة. وكل ما فعلته أني وضعت نسخة القرآن أمامهما وحسب. لكن والديَّ اللذين ربَّياني وأحبَّاني وأطعماني أخذا يشتماني وألقيا بالكتاب الكريم على الأرض. لم يكن ذلك أمراً أستطيع احتماله، وسالت الدموع على وجنتيَّ. وقال أبي بحزمٍ إن أنا فارقت الكاثوليكية، فلا معيشة لي في المنزل.

حزمت حوائجي، وبينما كنت أغادر البيت و والداي يقرآن بلا اكتراث في صحيفة، قلت بجرأة وشجاعة وبصوت عال:

"Eu no pertenco a fe cristo. Eu sou agora uma muculmana!"

وتعني هذه العبارة: (لم أعد أنتمي إلى الدين المسيحي. إني الآن مسلمة!) كدت أموت خوفاً مما قد يفعله والداي، لكن وبشعور من الرضا، هرعت خارج البيت.

إني أحب والديَّ، وبشق النفس أكتب قصتي هذه الآن. كانت الساعة الثانية والنصف صباحاً، وما من معيل يدفع مصاريف تعليمي وطعامي ولباسي ومسكني.

لقد بكيت على نفسي أن نمت في الشارع تلك الليلة.

في اليوم التالي، وكان يوم سبت، ذهبت إلى الإمام وشرحت له وضعي. لقد واساني إذ انهرت مراراً وأنا أروي قصتي. وقال هذا الإمام الذي يبدو أنه برتغالي: إنه هو أيضاً قد اعتنق الإسلام، لكن عائلته كانت ملحدة، ولم تعبأ بالأمر. وعندما جاء الناس لأداء صلاة الظهر أخبرهم الإمام، بموافقة مني، عن بعض جوانب قصتي. لقد ذهلت من تدفق الدعم الذي جاءني من أناس لا تربطني بهم صلة قربى، تبرعوا بكثير من المال لي، تدفقت دموعي وقلت للإمام: إني أريد أن أصبح مسلمة في الحال. وجهاراً في ذلك اليوم 12 تموز 2003، نطقت الشهادة وأصبحت مسلمة. ودوت في المكان صيحات (الله أكبر ! الله أكبر! وتغيرت حالتي النفسية وعلت الابتسامة وجهي، وبصوت خافت كنت أردد في نفسي: (لقد أصبحت مسلمة) "Eu sou agora uma muculmana".

أيها القارىء العزيز: والله ما انتهيت من هذه الفقرة إلّا وبدأت الدموع تذرف من عيناي، وأنا جالس في مكتبي أقرأ تلك القصة وتمنيت أن لا يدخل عليَّ أحد من أبنائي كي أَستمر بالبكاء بيني وبين ربّي .... أعود الآن للسيدة الفاضلة التي تقول: قال لي والدي: (خالفيني يابنتي خالفيني)، هل قرأت أيتها السيدة الفاضلة قصة مسلمة كانت كاثوليكية، وكيف أنها تتباهى بالإسلام وهي من أوروبا...!! وهل لاحظت موقفها من الإسلام ومن هذا الدين العظيم؟

وهل تعلمي ما أبكاني أنا كمسلم عندما وقعت أنظاري على هذه القصة في الوقت الذي لا تربطني صلة قربى بتلك المرأة البرتغالية الفاضلة، وأنا لست برتغالياً ولا إسبانياً....لكني كردي من إقليم كوردستان العراق، فالذي جمعني مع هذه المرأة الفاضلة التي لا أعرفها ولا تعرفني...؟ هو الله جلَّ وعلا... وهذا من عظمة الإسلام، أرأيت أيتها السيدة الفاضلة أن الإسلام يجمع العربي والفارسي والأندونيسي والتركي، والباكستاني والكوردي والبرتغالي...بينما رأيت السيدة الفاضلة في التلفزة وهي تقول: أن والدها كان يقول لها: خالفيني يا بنتي خالفيني اعلمي أيتها السيدة الفاضلة:

أن الدين لا يُفَرّق بل يجمع ... عجيب أمر هذه الكاتبة!!

ولتعرف الكاتبة الفاضلة ما يلي: لو طلبت مني مثل هذه المرأة البرتغالية التي أسلمت كل ما أملك لأعطيتها . . . حتى دون أن أقابلها أو أراها، ودون أن أتعرف عليها ودون أن تعرف هي من أين أتى هذا المال . . . أيتها الكاتبة الروائية الفاضلة، لا أدري هل أفقت بهذه القصة؟ لعلك بهذه القصة قد شممت رائحة العطر الزكية التي تفوح من دين سيدنا محمد ﷺ، وأنا أدعو لك دوماً وقبل رحلتك إلى عالم البرزخ لكي تهتدي وتعودي إلى الصراط المستقيم .

وتمضي (ماري) قائلة:

وكان لا بد لي أن أنسحب من الكلية لفترة من الوقت وأن أعيل نفسي. بيد أن ذلك المال الذي تبرع لي به أولئك المسلمون قد ساعدني حقاً. وذهبت لاحقاً إلى كلية صغيرة للدراسة. وفيما بعد زرت بلدة (فارو)، التي لم أرها منذ أن كنت في العاشرة من عمري. ودخلت الكاتدرائية التي كنت أحبها كثيراً وحدقت بنظرات فارغة في تلك التماثيل والصلبان. كان هنالك تمثالا (نوسا سنهورا دا كونسمو) و (سانتو لينو)، ذلك القديس وذلك الرمز الذين كنت أوقرهما أيام طفولتي. سابقاً قبلت أقدامهما حينما لم يكن هنالك أحد يراني، لكن اليوم، أشك في أن أي امرىء سيشعر بالارتياح في قضائه ليلة في الكنيسة الكاثوليكية مع كل تلك التماثيل والصور .

إن الإسلام بالنسبة لي مثل آية هندسية مفعمة بالألوان، كل جزء فيه يكمل بتناغم الجزء الآخر، وسرعان ما يصبح الدين المفضل والأروع بين الناس. اليوم، ما زلت متدينة كعادتي حينما كنتُ بنتاً صغيرة. إني أصلّي كثيراً من النوافل، وأقرأ القرآن الكريم، وألتزم (الصراط المستقيم).

لقد أتقنت أربع لغات ـ لغتي الأم البرتغالية والإنكليزية والإسبانية والفرنسية وأنا أعمل على إتقان اللغة العربية. لحسن الحظ، أني قضيت وقتاً كافياً في الكلية المرموقة التي كنت أذهب إليها قبل إسلامي للحصول على تعليم واف. اليوم، إني أعيش في (لشبونة) وأعتزم مع تخصصي في الحقل الطبي، أن أهاجر إلى الولايات المتحدة. إن شاء الله، هناك سوف أحيا حياة مثمرة، وأتزوج بمسلم، ولن أنسى جذوري إذ سأزور مراراً (فارو) و (لشبونة). ما زلت أدعو لوالديّ. وسوف أكون صامدة، وبما أن الحياة اليومية محمومة ولا تفسح إلا براحة يسيرة، فإني سأنتهز دائماً جوف الليل لأردد صلواتي الشخصية بالبرتغالية :

(لقد أصبحت مسلمة)

"Eu sou agora uma muculmana eu sou agora uma muculmana"

هنا الغريب أن (ماريا) هذه البنت الفاضلة تجلى عندها احترام والديها بعد أن أسلمت حيث تقول: ما زلت أدعو لوالديَّ .... هكذا أيها القارىء الكريم أمرنا الإسلام باحترام حقوق الوالدين فلا ننساهما حتى لو لم يسلموا.

هذا هو الوفاء بعينه في الإسلام، هكذا هي عظمة ديننا، وهكذا يجب أن يكون المسلم عندما يدخل في دين الإسلام.

وتستمر (ماريا) في قصتها قائلة:

إني في الحقيقة لم أغير ديني. لقد كانت البرتغال في السابق بلداً مسلماً في غالبيته. وبعد بحث تشبث بتفكيري، اكتشفت أن اسم المنطقة التي ولدت فيها (الكارف) جاءت من كلمة العربية: (الغرب). أما بلدة (فارو) مسقط رأسي الحبيبة، فقد سميت باسم عائلة (بنو هارون) التي حكمتها ذات يوم وحتى إنه يقال: إن المسلمين هم الذين أسسوها. (في اللغة البرتغالية، يلفظ الحرف("o في نهاية الكلمة "oo)؛ لهذا، فإن فارو هي (roo ـ fah) وفي بعض الأحيان أيضاً يتم الخلط بين الحرف H والحرف F ومن هنا جاءت Faro من كلمة (هارون). أما منطقة الفاما في لشبونة التي أمضيت فيها أكثر حياتي، فقد جاءت من الكلمة العربية الحمَّة وحتى اسم مدينة لشبونة مستمد من الاسم العربي للمدينة: (al ـ Ushbuna) وتحوي اللغة البرتغالية كثيراً من الكلمات المنحدرة من أصل عربي.

الغريب أن (ماريا جو) المسلمة الفاضلة والتي لم تكن في السابق في ديننا تعترف أن المسلمون هم الذين بنوا البرتغال الجميلة، بينما هناك في الآخر ومن عندنا بعض من المسلمين الزائفين والجاهلين يقولون: أن المسلمين دمّروا البرتغال... !!... من أدرى بذلك؟ هل البرتغاليون أنفسهم أدرى بذلك أم الآخر الحاقد على ديننا...؟!!

هذه امرأة برتغالية تعترف بفضل الإسلام في بناء دولتها، إذن فليبلغ الجاهلون أينما كانوا في بقاع الأرض.

وتستمر (ماريا جو) قائلة:

إنّ لون بشرتي أغمق من غالبية البرتغاليين في الشمال، وهذا علامة على الدم المسلم الذي يجري في عروقي. لقد كانت تقول معلمتي: إن الإسلام جلب الخراب إلى البرتغال.

لكن في الحقيقة هي لا تدري في ظل الإسلام، ازدهرت لشبونة وبقية مدن الأندلس، وكانت بعض المناطق أكثر غنى مما هي عليه اليوم.

انظر أخي القارىء كيف أن الاستعمار والصهيونية وأبواقهما قد صقلت أدمغة المعلمات وعلمتهن أموراً باطلة ضد المسلمين، بينما تقول (ماريا جو): في ظل الإسلام ازدهرت (لشبونة) وبقية مدن الأندلس، وكانت بعض المناطق أكثر غنىً مما هو عليه اليوم.

وتستمر (ماريا جو) لتقول:

كل ما أريده أن أحيا حياتي مسلمة عادية، وأنا لم أشارك من قبل قصتي أي إنسان، لكن حان الوقت لأن يسمعها أحد ما.

وكلمتي الأخيرة أن قلبي يكاد يسقط حينما أسمع عن المسلمين في إسبانية والبرتغال. يوجد اليوم في إسبانية ما بين 500 ألف و 800 ألف مسلم من أصل 40 مليون شخص. وفي البرتغال يوجد فقط 15000 مسلم من أصل 10 ملايين شخص ! وتقول (ماريا):

رجاءً، دعنا نساعد في نشر الإسلام في كلا البلدين، فمن المحزن رؤية هذين البلدين، اللذين كانت فيهما في الماضي أغلبية مسلمة، وفيهما اليوم هذا العدد الضئيل من المسلمين.

هل تسمعين أيتها الكاتبة الروائية لا زلت تقولين: كان يقول لي والدي: خالفيني يا ابنتي خالفيني.

قصة كارلا (Karla) المرأة الأمريكية

المثقفة التي اعتنقت الإسلام، وتحجبت، وهل الدين يظهر المرأة؟[1]

إن هذه المرأة التي كانت ثرية وكانت تذهب إلى مدرسة خاصة باهظة الثمن، وكانت تُدرَّسُ فيها الأديان الرئيسة في العالم، وأثناء دراستها تقول: إن الإسلام سَحَرَني فعلاً، إذ قلت: إن المسلمين ليسوا مرائين مثل المسيحين الذين عرفتهم، وأذكر أمرين رئيسين استرعيا انتباهي:

أحدهما: هو تركيز الإسلام على إلٰه واحد.

والأمر الثاني: الذي لفت انتباهي هو الصلاة.

ولا أقصد فقط الصلاة خمس مرات في اليوم، ولكن كيف أن الصلاة بمعظمها تركز على عبادة الله.

إن هذه المرأة المثقفة لا تخادع نفسها فيما تقول، وتقول هذه المرأة عن الإسلام: إن أول ما أثار دهشتي فعلاً حول الإسلام كانت تلك الحقوق التي أُعطيت للمرأة.

ذهبت إلى الكلية في واشنطن، حيث كان هناك عدد لا بأس به من المسلمين. واهتمامي بالإسلام كان بالتأكيد ما يزال قائماً على الرغم من أني كنت بالغة الخجل. لقد اعتدت على أن أقود سيارتي بالقرب من (المركز الإسلامي في شارع ماس). لكن خجلي كان يمنعني من الدخول إليه. واتصلت هاتفياً ذات مرة لأرى إن كانوا ينظمون دروساً للناس الذين هم مهتمون بالإسلام، لكني لم أتلق رداً.

اشتريت نسخة من القرآن، وشرعت في قراءتها، كانت مذهلة. لقد دخلت قلبي أَتَعْلَمْ لِمَ؟ إن أول ما أثار دهشتي فعلاً حول الإسلام كانت تلك الحقوق التي أعطيت للمرأة.

---

(1) القصة أخذت من كتاب هكذا أسلمت. من إعداد وترجمة: هالة صلاح الدين لولو 2007، وتصرفت فيها بين حين وآخر مع ما يتلائم مع موضوعي.

أعرف أن بودّ أناس كثيرين اليوم أن يسخروا مني لهذا الإقرار، لكني رأيت ـ وأنا التي قرأت الكتاب المقدس ـ أن الحقوق المعطاة للمرأة في الإسلام لم يمنحها قط الكتاب المقدس. لقد مُنحت النساء حق رفض الشريك في الزواج، في حين كان يُنظر إلى النساء في الثقافة الغربية المسيحية النموذجية في ذلك الوقت (عام 600 ميلادية) باعتبارهن من ممتلكات الأب الذي كان يزوجهن لمن يرى أنه ملائم لهن.

وللنساء في الإسلام حصة من ميراث الأب والزوج، في حين كان الميراث في الغرب يذهب على نحو نموذجي إلى الابن الأكبر وحسب. كما أن الإسلام منح النساء حق التملك وإبرام العقود. وهو حق لم تحصل عليه النساء في الولايات المتحدة إلا في منتصف القرن التاسع عشر. وكان النبي محمد ﷺ ينهي عن قتل الأطفال ـ وهي ممارسة كانت شائعة في ذلك الوقت، وإحدى المشاكل التي لا تزال اليوم في الهند والصين ـ بالطبع هنالك اليوم تقنية متطورة في قتل الأنثى، فإجهاض الحمل بها يتم بعد تحديد جنس الطفل عن طريق الفحص بالأمواج فوق الصوتيه (إيكو). كما أن الإسلام يحث المرأة والرجل كليهما على طلب العلم من المهد إلى اللحد. لكن للأسف الشديد، يبدو أن تفكير المجتمع يتدخل في تلك الحقوق حاليًا[1].

ما رأيك أيتها الكاتبة الروائية التي تقولين: إن والدي قال لي :خالفيني يابنتي خالفيني، حول ما صرحت به هذه المرأة الأمريكية حول حقوق المرأة في الإسلام. إنها عشقت الإسلام، وتعطشت إلى الله ﷻ، إن (كارلا) هي امرأة مثقفة ذكية ولكن دخلت ديننا، ونحن المسلمين نبتعد عنه . . . هل يجوز ذلك؟ أليست هذه المرأة عاقلة؟ أليست باحثة عن الحقيقة؟ . . .

وتضيف (كارلا): إني دائماً كان لديَّ أسئلة أو شكوك تتعلق بالدين المسيحي، وبشكل رئيس تدور حول مفهوم (الثالوث المقدس) و (ألوهية يسوع المسيح) إن فكرة المسيح كإله لم تكن منطقية بالنسبة إليَّ، حيث إنها تتعارض مع (الوصية الأولى)، ومع ما بدا أن المسيح نفسه كان قد مارسه. لقد كان على الدوام يركز على الله (الأب) ـ إن جاز التعبير ـ وحينما كان يُسأل، كان يقول: إن الوصية الأعظم أن تحب الرب إلٰهك من كل قلبك وروحك وعقلك، أي الله الواحد، إنه أمر جاهدت دائماً لأن أقوم به، وما زلت آمل

(1) كما هو الحال في بعض المجتمعات القبلية التي تحرم المرأة من العلم. (المترجمة) .

في إصلاحه. وسألت قساوسة من مختلف المذاهب حول شكوكي، وكانت الإجابة التي تلقيتها هي: إنك بحاجة إلى الإيمان وحسب. أذكر في أحد صفوف دراسة الكتاب المقدس، ذلك الرجل الذي شرع يقول كل تلك الأكاذيب عن المسلمين. حينذاك تكلمت بصوت عال وقلت: هذا غير صحيح .

وأخذت أخبر الحاضرين في صفي في مدرسة الأحد[1] بماذا يؤمن المسلمون فعلاً، كما ترى ... حتى في ذلك الوقت ... لم أكن أنكر الشهادة. لقد ظليت أؤمن بأن هنالك إلٰهاً واحداً فقط هو الله، وبأن محمداً رسوله.

على أية حال عزيزي القارىء هكذا بدأت تفكر نساء الغرب الذكيات عن ديننا ونحن ندق الطبول ضد ديننا وننتقده جهلاً بالدين .

أما الغريب هو أن هذه المرأة بدأت تتحجب منذ يوم الاثنين، الثامن عشر من تشرين الأول سنة (2001) وهو اليوم الذي ـ حسبما أعتقد ـ أنها أسلمت وتقول كارلا: يوم الاثنين الثامن عشر من تشرين الأول سنة (2001).

هو يوم بالغ الأهمية في حياتي كمسلمة فقد ارتديت غطاء الرأس للمرة الأولى لأساهم في حملة التضامن مع الحجاب. لقد أصبحت امرأة مشهورة في مكان العمل، فقد أصبح الناس يتعمدون المرور أمام باب مكتبي. كنت قد جعلت على الباب مقالات حول التضامن مع الحجاب وكذلك عن الإسلام. وعندما كان الناس يسألونني، هل أنت واحدة منهم؟ أو هل أنت مسلمة؟ كنت أجيب أجل. وهكذا فأنا اليوم لست أظن أن الناس يفترضون أن امرأة شقراء زرقاء العينين لا يمكن أن تكون مسلمة، يبدو أن السؤال الرئيس الذي يسأله الناس هو: كيف بوسعك، أنت المرأة الأميركية المثقفة، أن تعتنقي الإسلام ذلك الدين الذي يضطهد النساء؟ ويتسرعون في اعتبار حقوق المرأة في الإسلام تعكسها حقوق المرأة في أفغانستان. كنت أقول لهم: إن القرآن أعطى المرأة حقوقاً أكثر مما أعطى الكتاب المقدس بشكله المتداول. وكان ذلك أحد الأشياء التي جذبتني أولاً إلى الإسلام. للأسف الشديد اليوم، لم يعد الإسلام هو المرشد إلى حقوق المرأة[2].

---

(1) مدرسة الأحد: مدرسة للتعليم الديني المسيحي تفتح أبوابها يوم الأحد.

(2) نقلت جزءاً من القصة من كتاب (هكذا أسلمت) ترجمة وإعداد: هالة صلاح الدين لولو، وتصرفت فيها حسبما يتلائم مع ما أصبو إليه، هذا والقصة باللغة الإنجليزية موجودة في:
http://www.islamfortoday.org/karla.htm.

كان أمامي خياران، إما إنكار ما أؤمن به أقصد (أن لا إلٰه إلّا الله وأن محمَّداً رسول الله) أو قبول ما أنا أؤمن به، ولكن أعمل على تغيير المشاكل الموجودة داخل الجماعة المسلمة. وقد اخترت الخيار الثاني.

هل تري أيتها الكاتبة والروائية الفاضلة التي خالفتِ والدكِ: كيف أسلمت (كارلا) الأمريكية الجنسية والمثقفة الذكية التي اعتنقت الإسلام، ذلك الدين الذي يعتقد بعض الجهلة أنه ضد المرأة ويضطهدها؟

اقرأي أيتها الكاتبة الفاضلة قصة هذه الفتاة من أمريكا وهي موجودة في المصدر السالف الذكر، فإن قصة إسلامها طويلة . . . انظري أيتها الروائية الفاضلة إلى صورة المرأة الشقراء أعلاه وكيف تظهر أنها واثقة من نفسها، فخورة بإسلامها، وشخصيتها ودينها، . . . إنها قد أسلمت وإنها فخورة بالحجاب الذي أنت ترفضينه، لقد أصابت (كارلا) عندما خالفت والديها، وأنت المخطئة عندما خالفتِ والدك ، علماً أنَّ والدا (كارلا) ليسا على دينها.

فلا طاعة لمخلوق في معصية الخَالق.

الأستاذ الجامعي (خوليو سيزار بينو) الكوبي الجنسية

يتحدث عن رحلته إلى الله ... ويُدعى الآن بـ (أسد جبريل بينو)

(خوليو سيزار بينو) له قصة طويلة وهو أستاذ جامعي وُلدَ في قبضة الثورة الكوبية، أرجو لمن يرغب الاطلاع على قصته، أن يراجع في المصدر السالف الذكر، وما يهمني في قصته هو: أنه يرى أن الإسلام يجمع شمل كثير من الأقوام وإنه خاتم الأديان، ولقد انبهر عندما دخل المسجد، وشاهد أن هذا المسجد يشمل وجوهاً كثيرة، و يقص جزءاً من قصته كالآتي:

(وشعرت وأنا أدعو الله بدموعي التي تنساب على وجهي للمرة الأولى منذ سنوات طويلة. كان شيئاً ما مثيراً على وشك أن يحدث في حياتي، كنت أعرف ذلك).

في يوم من أيام الجمعة قدت سيارتي من (كنت) إلى (أكرون) لأشهد أول صلاة جمعة في حياتي. وأنا أمشي في الطابق العلوي لمسجد متواضع مكون من طابقين، أدهشني تنوع الوجوه أميركيون سود، آسيويون جنوبيون، وأخ بدا لي أنه أوروبي، وأشخاص عرب، بمن فيهم الإمام. وألقى الإمام خطبة ملتهبة لكنها مدروسة. لا أذكر موضوعها، لكني لن أنسى أبداً عبارته المتكررة: يا عباد الله ! تلك العبارة لا تزال ترنُّ في أذني إلى اليوم.

لِمَ يود أي امرىء أن يكون عبداً لله؟ لقد وجدت الإجابة تحيط بي في ذلك اليوم: إن الرجال الذين يملكون أمرهم هم في سلام مع أنفسهم، لأنهم سلّموا حياتهم لله ليتصرف بها حسب مشيئته.

وعدت في الأسبوع التالي، وبعد إلقاء خطبة الجمعة، سألت على استحياء أحد الإخوة إن كان يرغب في أن يكون شاهداً على اعتناقي للإسلام. و وسط دهشتي الكبرى، دعا المصلين كلهم ليتجمعوا حولي. رددت شهادة الإسلام أمام إمام المسجد، وأذكر تماماً تلك البشرى التي قالها لي: كل ذنوبك السابقة غُفرت لك. وفي يوم القيامة سنشهد أنك

نطقت الشهادة أمامنا، (خوليو سيزار بينو) مات في ذلك اليوم، و ولد (أسد جبريل بينو)[1].

والملفت للنظر كما يقول (د. محمد عمارة): أن نلاحظ أن لون الزنجي وجنسه لم يحملا بأية حال إخوانه الجدد في الدين الإسلامي على أن يتعصبوا عليه. ولا شك أن نجاح الإسلام قد تقدم في إفريقية الزنجية (Nigritid) تقدماً جوهرياً بسبب إعدام كل إحساس باحتقار الأسود. وفي الحق يظهر أن الإسلام لم يعامل الأسود قط على أنه من طبقة منحطة، كما كان الحال ـ لسوء الحظ ـ في كثير من الأحيان، في العالم المسيحي .

إن الأسود المتحضر يميل إلى الإحساس بأن أبناء دينه من الأوروبيين ينتمون إلى لون من الحضارة لا يلائم طبائعه في الحياة، على حين يشعر في المجتمع الإسلامي بأنه أكثر تعلقاً به واطمئناناً إليه. وقد أجاد أحد المشاهدين المحدثين توضيح ذلك في الرسالة التالية:

إن الإسلام . . . لا يتطلب من أهل نيجيريا، أن يفقد أحدهم قوميته باعتبار أن ذلك شيء يصحب الدخول في الإسلام، ولا يستلزم تغييرات انقلابية في الحياة الاجتماعية يستحيل تحقيقها في المرحلة الحاضرة من تطور أهل نيجيريا، ولا هو يقوض نفوذ الأسرة وسلطة الجماعة، وليست هناك هوة بين الداعي إلى الإسلام والمتحول إليه فكلاهما متساوٍ أحدهما مع الآخر لا نظريًا، بل عمليًا أمام الله و كلاهما إفريقي، وهما من أبناء أرض واحدة. وينفذ مبدأ التآخي الإنساني تنفيذًا عمليًا، ولا يعني الدخول في الإسلام أن ينصرف الداخل فيه عن شؤونه وأسرته وحياته الاجتماعية، ولا عن احترامه لسلطان حكام بلاده الأصليين . . وليس هناك من لا يعجب بسلوك المسلم النيجيري ووقاره ـ بل بسلوك مسلمي إفريقية الغربية عامة وإن هيئة الرجل العامة لتنم عن شعور بالقومية واعتزاز بالجنس، يخيل إليك أنه يقول: إن كلاً منا يختلف عن الآخر، ولكننا جميعًا بشر.

وإن انتشار الإسلام الذي نشهده اليوم في نيجيريا الجنوبية ليؤثر بصفة خاصة تأثيرًا اجتماعيًا ويمنَح الإسلام هؤلاء الذين يتصلون به منزلةً أرقى وفكرة أسمى عن مكانة الإنسان من العالم المحيط به، ويحرره من ربقة إلف الأوهام الخرافية.

وقد أجاد شخص كان نفسه زنجيًا في توضيح الفارق بين الطريقة التي تقدم بها كل

(1) هكذا أسلمت ترجمة وإعداد هالة صلاح الدين لولو، ص: 92، 2007 بتصرف مني.

من المسيحية والإسلام إلى الإفريقيين . . وذلك في العبارات الآتية :

(. . . بينما تنسب البعوث التبشيرية قيام قساوسة من الوطنيين إلى عصر معين، تجد الدعاة المسلمين ينفذون إلى قلب إفريقية ويصلون في سهولة إلى الوثنيين ويحولونهم إلى الإسلام. وبذلك أصبح الزنوج اليوم ينظرون إلى الإسلام على أنه دين السود، والمسيحية على أنها دين البيض، ويرون أن المسيحية تدعو الزنجي إلى الخلاص، ولكنها تضعه في مكان منحط إلى حد أنه يقول في نفسه وقد استولى عليه القنوط: ليس لي نصيب ولا حظ في هذا الدين.

أما الإسلام فإنه يدعو الناس إلى الخلاص، ويقول له: إن بلوغك أسمى الدرجات الممكنة إنما يتوقف عليك. ومن ثم أقبل الزنجي بدافع من الحماسة على هذا الدين بروحه وجسده . .)

ومما يساعد في نشر الإسلام مساعدة كبيرة جدًا على تفسير نجاح الإسلام أن مجرد الدخول فيه يدل ضمنًا على الترقي في الحضارة وأنه خطوة جد مثمرة في تقدم القبيلة الزنجية عقليًا وماديًا

إذن أيتها الكاتبة الروائية الفاضلة هكذا يجمع الإسلام الشمل ولا يفرق.

(وارنسبي علي) الرجل الكندي

الذي يُشجع الفتاة على لبس الحجاب حتى في أغانيه ...

نشأ (وارنسبي علي) وهو معجب بغناء (كينغستون تريو) و (بوب ديلان) وعشرة مهووس آخر. لكن كانت تلك الأيام حينما كان (داوود وارنسبي علي) يعزف غيتاره في الأماكن التي أجهدت ضميره وأقلقت روحه.

اليوم، وجد ذلك الكندي ابن الثامنة والعشرين عاماً سلامه الروحي وجمهوره الأشد ثقة. إنه يكتب ويغني أغانٍ شعبية للمسلمين.

يقول (وارنسبي علي):

اعتنقت الإسلام عام 1993، وهكذا أبعدت نفسي عن العمل في حانات الشرب وأشياء أخرى من هذا القبيل. وبعد ثلاث سنوات من إسلامه، أصدر تسجيله الإسلامي الأول (همسة سلام) في عمر مبكر، كان (وارنسبي علي) كاثوليكياً متشوقاً لمعرفة الدين .

يقول (وارنسبي علي): دخلت مسجداً للمرة الأولى في حياتي، وأنا في سن العشرين، باحثاً عن معلومات، موثوقة عن الإسلام، ويقول كانت هنالك عناصر ثقافية في المسجد وكنت أتحسس أن الإسلام كأسلوب حياة يسع الناس من جميع أنحاء العالم. لم أكن بعد متحمساً لتطبيق ذلك الأسلوب من الحياة، لكني شعرت بالارتياح هناك .

وحينما تغير دين (وارنسبي علي) تغيرت أيضاً موسيقاه. فهو يقول: كل شيء أردت الكتابة عنه والتعبير عنه مستمد من القرآن.

وأغانيه هي غالباً خفيفة مرحة، لكن هدفه أن يُلهم الآخرين ويُعلّمهم. على سبيل المثال، في أغنيته الحجاب (The Veil)، يشجع الفتاة على ارتداء غطاء الرأس في تلك الكلمات:

ذلك الجسد الذي أمتلكه، ما من غريب له الحق في رؤيته، تلك الملابس الطويلة،

والشال الذي أضعه يصونان حشمتي، الإيمان أهم من الموضة ألا توافقني؟

إني أود أن أذكّر الروائية التي تقول: كان والدي يقول لي خالفيني يابنتي خالفيني . . . انظري أيتها الكاتبة الفاضلة إلى وارنسبي الرجل الغربي من كندا، والذي أسلم، وبات يغني الأغاني التي تلهم الآخرين ويعلمهم في أغنيته الحجابْ (The veil)، ويشجع الفتاة على ارتداء غطاء الرأس في تلك الكلمات الآنفة الذكر. وأنتِ تقولين للنساء ـ وأنت مسلمة ـ أزيلوا الحجاب عن رؤوسكم! وبهذا فأنت تخالفين شرع الله وأمره . . .

بينما اسمعي لأقوال هذا الرجل الغربي والكندي الجنسية الذي تربى في بيئة غربية والذي يفصح ويصرح بعكس ما أنت تقولينه ويشجع النساء على لبس الحجاب . .

وأعود إلى الرجل الكريم وارنسبي علي، ففي قصته التي ترجمتها الكاتبة (هالة صلاح الدين) في كتابها (هكذا أسلمت)، هناك صور لصغيرات محجبات لا أدري إن كانت تلك هي بناته أم لا؟ فلينظر كل واحد منا إلى تلك الصورة الآنفة الذكر . . . فوالله لست مبالغاً إن قلت أن البركة والنور يشعان من تلك الوجوه النيرة المباركة . . .

ليست تلك الوجوه افضل وانور بآلاف المرات من صور لنساء مكشوفات الرأس والجسد التي تثير المشاعر الحيوانية في الإنسان وتردي بالمرء الى الهاوية.

والغريب هو أن أُخت وارنسي علي قد أسلمت أيضاً وتحجبت . . . هذا خبر ربما لا يفرح الكاتبة الروائية التي ذكرتها آنفاً . . . ولا أدري هل تبقى الكاتبة تخالف والدها فيما بعد؟!

وبعد هذه القصص التي تهز المشاعر والقلوب، أود أن أقول للسيدة الفاضلة الكاتبة والروائية: هل أنت محيطة بحياة المجتمع الغربي أم أن أفراد المجتمع الغربي أدرى بمجتمعاتهم وسعادتهم بل وحقيقتهم . .

في الواقع لو علمت المجتمعات الغربية حقيقة الإسلام وعلموا اللذة الروحية التي يتلذذ بها المسلم الصادق ـ وليس المسلم المزيف ـ لدخل معظمهم في ديننا، إلا أن الأبواق المعادية بدعاياتها المغرضة تبعد المجتمع الغربي عن الإسلام وتشوه سمعته زوراً وبهتاناً، وإلّا حصل ما يتمناه كل مسلم . . .

ثم إن هناك أمرًا مهمًا يجب توضيحه للعالم وهو أننا كمسلمين لم نقل ولا قلنا ما يسيء إلى سيدنا عيسى عليه السلام؟ وهذا لا يجوز في ديننا وهو نبي من أنبياء الله بل نذكره في قرآننا، ونوده كنبيٍّ من أنبياء الله وقد نبكي من شدة فرحنا عندما نسمع الآيات القرآنية التي تتلى علينا عندما يرد ذكره في تلك الآيات، ولكن هيهات هيهات للآخر فإنهم يكتبون ما يسيء إلى نبينا ﷺ وخير شاهد على ذلك ما كتب في الجرائد الدنماركية، والكتب التي تسيءُ إلى نبينا زوراً وبهتاناً، وأحياناً بأقلام مسلمين مزيفين خونة وكفرة، بل مسلمين بالولادة و مستأجرين من قبل الآخر، كما تُكتب أحياناً قصص وكتب جديدة باطلة ومحرفة على نبينا زوراً وبهتاناً وبأسماء شعراء وكتاب سبق أن ماتوا مثل الشاعر معروف الرصافي.

فهذه طريقة جديدة مبتكرة من الحاقدين والمعادين للإسلام ابتكروها ليضعوا الحبل الجديد ولكن خاب ظن هؤلاء فإن لهذا الدين ربًّا يحميه

ولعلم القارىء أن الشاعر (معروف الرصافي) كان رجلاً يشرب الخمر ـ سكير بكل معنى الكلمة ـ فهل يحق من لا يفهم الدين أن يتحدث عن الدين والغيبيات؟ . . .

وليعلم الكتّاب الذين يسايرون الآخر بأن كثيراً من الأوروبيين أو غيرهم يجدون في الإسلام مبتغاهم، والقيم التي يبحثون عنها، حسبما يقول الكاتب (الطيّب الصالح) وهو يمثل كبار مثقفي العالم الثالث، وجامع لعناصر حضارية مختلفة.

وفي الواقع فإن الإسلام واقع ثابت، ولا حاجة له بتركيز من جديد، حيث يتحدث البعض عنه أحياناً كمن ينتظر ولادته، وليعلم كل فرد أن المشكلة لا تكمن في أعداء الإسلام، إنما المسألة هي مسألة تفهم الآخر له في ظروف تقارب الدول والشعوب المتزايد حالياً.

وليعلم كل منا أن الذين يعيشون الإسلام حقاً هم أولئك الذين يرتعون في السكينة، أما الذين يضجون فهم السياسيون.

إني أرى أن التخلف الذي نلتمسه الآن في الشعوب الإسلامية وحكوماتها هو ناجم عن أن حقبات كاملة من تاريخ العرب غاب عنها الإسلام الحق، وبالتالي كان لها دور

تاريخي سلبي، ومثالي على ذلك هو العهد العثماني وعهد الاستعمار بالنسبة للعالم الإسلامي، هذا بالإضافة إلى ابتعاد العرب عن الإسلام وفشلهم لاعتمادهم على تجارب القومية العلمانية.

obeikandl.com

(قصة ياسمين رحمان) البريطانية الجنسية[1]

(ياسمين رحمان) بريطانية الأصل من أب وأم بريطانيين لا علاقة لها بالإسلام، سميت بهذا الاسم عندما أسلمت، وهي ضابطة في الشرطة البريطانية، وقد أسلمت بكامل حريتها ولم يمنعها زوجها من تغيير دينها وهو أيضاً ضابط في الشرطة في لندن .

تقول (ياسمين): قبل إسلامها لم تكن تحمل أية عقيدة دينية ولم تذهب يومًا في حياتها إلى الكنيسة، في الوقت الذي هي متأصلة من عائلة مسيحية أباً عن جد، إنها تقول إن الدين الإسلامي هو الدين الوحيد الذي يمكن أن يمنح الإنسان العلاقة الصحيحة مع خالقه.

وتقول: كانت علاقاتي بزميلاتي قبل الإسلام علاقة سيئة ـ وتقصد أنها الآن بفضل الإسلام قد تحسنت علاقاتها حتى مع زميلاتها ـ ياسمين أسلمت في نهاية (2007)، وتقول منذ دخولي في الإسلام تغيرت حياتي بالكامل وقد سَمَّت المرحلة التي دخلت في الإسلام بالمرحلة الذهبية في حياتها، وتقول أيضاً: أن أقربائها فرحوا بإسلامها، وإن كانوا هم مسيحيين، كما أنها تشكر المسؤولين في الشرطة بأنهم لم يمنعوها من الوظيفة عندما تحجبت، يا للفارق الكبير بين تركيا وحكومتها العلمانية وبين دولة بريطانيا، فتركيا تمنع لبس الحجاب في الدوائر الحكومية والجامعات، بينما لم يؤثر الحجاب في سلك الشرطة الحساس في لندن على الحكومة البريطانية، يا لهول المصيبة الكبرى . . . حرية في لندن يغتبطها كل إنسان على وجه الكرة الأرضية، ودكتاتورية علمانية في حكومة تركيا تشمئز منها النفوس . . . .

أين الكاتبة العربية المسلمة التي توصي نساء المسلمين برفع الخمار عن رؤوسهن؟! أيتها الكاتبة الفاضلة هل قرأت بأم عينيك هذه القصة، فيتباهى بـ (ياسمين) كلُّ مسلم ومسلمة، وأنا شخصياً أدعو لها من اليوم بعد صلواتي داعياً من الله ﷻ أن يوفقها في

(1) قصة كتبت باللغة الكردية في جريدة الرابطة الإسلامية عدد(689) بتاريخ 13/ 5/ 2008 وأيضاً جاء الخبر من قناة العربية في6/ 6/ 2008 .

الدنيا لتنال رضاء الله، في الوقت الذي أنا لا أعرفها وهي لا تعرفني. إذن أَليس ديننا دين عظيم!؟ تشتغل (ياسمين) في محطة قطار مدينة (واترلو) . . . والغريب أنها تقول: أسمَعُ في القطار أن بعض الناس ينادونني بـ (بن لادن) أو (طالبان)، ولكنها تقول: هذه الكلمات لا تؤثر فِيَّ أبداً ولا أُبالي لهؤلاء ولا أجاوبهم. إنها تطالع وطالعت كثيراً عن الإسلام وتقول: أنا أرى أن حقوق المرأة في الإسلام هي غير ما كنا نسمعها، وتضيف قائلة: هذه هي سورة مريم، فسميت هذه السورة في القرآن الكريم باسم امرأة، وأول من أسلمت في الإسلام هي خديجة زوجة رسول ﷺ، كذلك أول شهيد في الإسلام كانت امرأة وهي (سُمَية . . .).

وانظري أيتها الكاتبة الفاضلة التي خالفتِ أوامر والدك، كيف أن هذه الضابطة البريطانية قد تحجبت وهي فخورة بذلك الحجاب وقد دخلت الإسلام من كل قلبها وفكرها وروحها، أما أنتِ فالعلم عند الله، وظاهراً أنك تخالفين شرع الله . . . ثم هل هي من دولة متحضرة أم أنتِ أيتها الكاتبة الروائية؟ فـ (ياسمين) من دولة هي من أكثر دول العالم تحضراً، مع ذلك فقد تحجبت.

كريستيانا باكر(Christiane Backer)

السيدة الألمانية والإعلامية المشتهرة

تدخل في خاتم الأديان

سيدة ألمانية في أوج نضوجها قد اعتنقت الإسلام، إنّنا كمسلمين نتباهى بدخول هذه المرأة الناضجة ـ بكل معنى الكلمة ـ في الإسلام، إنها ألفت كتابًا بعنوان ـ من محطة التلفاز(MTV) إلى مكة ـ و تشرح في كتابها كيف غيّر الإسلام حياتها.

هذه المذيعة الشهيرة في التلفزة الألمانية لا زالت من أشهر المذيعات في ألمانيا، إنها عملت في عدة قنوات تلفزيونية، و لها خبرة واسعة في عمل الأعلام وتبلغ من العمر(43) عامًا، إنها تكتب بأسلوب أدبي راق عن خبرتها التي امتدت على مدار سنوات عديدة من العمل الإعلامي اختلطت فيها بالفن والفنانين من خلال تقديم البرامج الموسيقية في محطة MTV الشهيرة،وهنا تكمن قيمة هذا الكتاب بما يحمله من معان وتفسيرات لحياة الإنسان التي من الممكن أن تتغير من النقيض إلى النقيض، هذه المرأة الذكية جعلها ذكاؤها أن تكتشف الحقيقة الإلٰهية وهذا هو دأب الأذكياء من الناس، إنها محظوظة حقاً لأن الله هداها للإيمان .

إنه من العجب العجاب أن تنتقل هذه المرأة المباركة من وهج الاستمتاع بمباهج الحياة التي لا تنتهي إلى الالتزام بمنهج الإيمان والدين، إنها فعلاً نظرت إلى ما هو أعمق وأبعد من هذه الحياة ، إنها تبحث عن حياة أبدية بعد هذه الحياة الدنيا لتنتقل بعدها إلى جنات النعيم.إن الكاتبة في كتابها لا تخرج عن الثقافة الأوروبية وإنها كتبت للأوروبين ، إنها قد أحسنت عملاً، فهي حتمًا تعرف أن الأوروبيين ما زالوا يجهلون الكثير عن الإسلام، وكتابها ليس كتابًا دينيًا بأي حال إنما صيغ بشكل كتب السيرة الذاتية، إلّا أن فيه الكثير من الرد على أسئلة واستفسارات الأوروبيين عن الإسلام بطريقة الخبرة الشخصية التي تعطي كاتبته

الكثير من المصداقية. أخي القارىء إنني أغتبط هذه المرأة التي هداها الله وأرجو من الباري ﷻ أن يوفقها، يظهر أنها لا ترضى فقط بنعمة هذه الدنيا الزائلة المؤقتة بل تريد أن تدخل جنات النعيم الأبدية لترضي ربها.

انظر أيها القارىء ماذا تقول هذ المرأة:

تقول: إنه رغم النجومية التي تمتعتُ بها، والفرص التي أُتيحت لي للقاء الشخصيات الشهيرة حول العالم، والحوارات التي أجريتها مع شخصيات فنية مثل (Rolling Stones) و(Lenny Kravitz) و عشرات المقابلات الأخرى، وأفخم الفنادق التي أقمت فيها وسفرياتي المتواصلة من التسعينات بين لندن ونيويورك و ميونيخ، وتقديمي لمهرجانات وحفلات كان يحضرها في بعض الأحيان (75) ألف متفرج ... إلا أنني كنت أشعر دائمًا بأن هناك شيئًا ناقصًا وأنني غير سعيدة. وهي تحاول هنا أن تعطي فكرة للقارىء عن كيفية الحياة التي عاشتها لتنقلها بعد ذلك إلى إحساس آخر مختلف تمامًا عما هي كانت عليها.

تقول الكاتبة: عندما كانت تنقضي الحفلات وكل هذا الصخب والضجيج اليومي من المتعة الحسية، أذهب وحيدة إلى غرفتي في الفندق وبداخلي خواء نفسي شديد، لم تستطع كل هذه النجومية والأصدقاء الكثر حولي من ملء هذا الفراغ؟

إنها صادقة في حديثها إنها تعيش وتحس بالفطرة، فالإنسان لا شك فيه أنه يتكون من المادة والروح فإن متّع المرء الناحية المادية في حياته وأهمل الشطر الثاني - أي الشطرالروحي -، عاش قلقًا لا يشعر براحة ... إن الناحية الروحية طبعًا هي معرفة الخالق، خالقنا وخالق كريستينا، والشعور بعدم ملء الفراغ موجودة عند كل من لا يؤمن بالله ولا يتفرغ للتفكير به جل وعلا ولو لنصف ساعة يوميًا ... القلق وعدم الراحة والخواء هو دأب كل من يهتم بالنواحي المادية في الدنيا ويترك الناحية الروحية ... وكثير من الأوروبيين يملؤون الفراغ الروحي بالسكر والعربدة ليس إلا، ولكن بعد صحوهم من السكر يراودهم الفراغ الفكري وعدم الراحة مرة أخرى .. اللّهم اهدِ كل أهل الغرب بل وأهل الشرق الذين يعيشون في فراغ دائم كما هديت قلب (كريستينا باكر)، اللهم آمين.

الكاتبة تسرد معاناتها عندما تحولت إلى الإسلام خاصة عندما جاءت المضايقات من الأصدقاء والزملاء ومن ثم فقدت الوظيفة في بعض القنوات التلفزيونية التي تعمل بها، إلا أنها بقيت صامدة معتمدة على قناعتها وثقافتها بل وعلمها بالدين العظيم...

أيها القارىء: إنني قصصت معاناة هذه المرأة وفقدان وظيفتها لمجموعة من أطفال أقربائي الذين تبلغ أعمارهم بين 9-12 سنة، فأبلغوني بأنهم مستعدون لتكريس كل مدخراتهم في صناديق الادخار لمساعدة السيدة (كريستيانا) وكان هذا بحق ليس مبعث فرح بل مبعث مرح لدى الكثير منا .

إن هذا هو شعور الإيمان حتى عند أطفال المسلمين. ما أعظم هذا الدين، فلتستمتع (كريستيانا) بهذه القصص فإن مليارًا و نصف مليار مسلم يشاركونها في العقيدة وأكثرهم دينًا حتما سوف يدعون لها.. وبالمناسبة أود أن أوجه حديثًا إلى الكاتبة الروائية التي ذكرتها في القصص السابقة وأقول لها: أيتها الروائية هل هذه المرأة (كريستيانا) التي عاشت حضارة الغرب وتمتعت بها منذ نعومة أظفارها تفهم عن الحياة وعن ربها أم أنت؟ إنها اتجهت لدين الإسلام لتغير حياتها هذه بكل معطياتها بحياة سرمدية تعيش ما بقي من حياتها وإلى الأبد في كنف الله و إلى يوم يبعثون.

ازدواجية الحضارة الغربية ... والمرأة

ازدواجية الحضارة الغربية والقوة الحضارية العملاقة التي صعدت إلى القمة في التكنولوجيا والمدَنيَّة المادية المعاصرة، وضرب النساء

لا يخفى على مسلم أن الرسول ﷺ لم يمد يده لضرب أي امرأة من نسائه اللواتي تزوجهن، ولم يحدث ذلك في حياته قط. ولكن بالرغم من وجود ضرب النساء في جميع دول العالم وفي الغرب بالذات فإني أتعجب كيف أنهم - أي بلاد الغرب - يدافعون عن المرأة وحقوقها! وخير مثال ودليل على ذلك هو ما كتبه الأستاذ محمد مصطفى غنيم[1] تحت عنوان (ذروة الحضارة وضرب الزوجات) وكالآتي:

هل تعرف الموضوع الذي يشغل بال الرأي العام البريطاني في هذه الأيام أكثر من أي موضوع سواه؟ إنه ليس الأزمة الاقتصادية الطاحنة وليس سياسة الوفاق، بل إن المشكلة التي لا تكاد تخلو منها صحيفة واحدة أو ينقطع الحديث عنها في أي لقاء.. وهي ظاهرة ضرب الزوجات التي تفشت في المجتمع البريطاني. و روي أن المشكلة نوقشت في أعلى المستويات الحكومية لأنه في أغلب الأحيان ضرب قاس عنيف أدى في أحيان كثيرة إلى موت الزوجة، وقد تبين أن بعض الأزواج اعتاد أن يضرب زوجته كل ليلة بصورة منتظمة دون أن يجرؤ أحد على التدخل أو الشكوى. فالبوليس البريطاني لا يتدخل حتى لا يتهم بالتدخل في شؤون العائلات.

ويقول تقرير أعدته جماعة (مساعدة المرأة المعتدى عليها): إن بعض الزوجات استمرت عمليات ضربهن سنوات دون أن تتقدم إحداهن بالشكوى وذلك إما خجلاً أو خوفاً. وقال التقرير: إن كثيرات من الزوجات أصبن بكسور وكدمات، بل إن البعض كان يتحمل

(1) (يوميات الأخبار) بتاريخ 4 سبتمبر 1973 م (الصفحة الثامنة) نقلاً من كتاب: مكانة المرأة في القرآن الكريم والسنة الصحيحة. دكتور محمد بلتاجي 2000، ص: 110-111.

(علقة) الزوج حتى خلال فترة الحمل. وقد تعهد إدوارد هيث رئيس الوزراء في حينه بالتحقيق ومعالجة هذه الظاهرة المتفشية، (والطريف بعد ذلك أن عددًا كبيراً من الزوجات كن يرفضن طلب الطلاق من أزواجهن رغم تكرار الاعتداء عليهن بالضرب، ويفضلن البقاء تحت سقف الزوجية رغم الآلام التي يعانينها) وهذه هي ذروة الحضارة الغربية.

فإذا تركنا الحضارة الغربية وانتقلنا إلى اليابان ـ هذه القوة الحضارية العملاقة التي صعدت على القمة في التفوق التكنولوجي والمدنية المادية المعاصرة ـ فسوف نجد أن رئيس وزرائها السيد (كاكوي تاناكا) أصدرفي حينه كتاباً بعنوان (حياتي) قال فيه: إنه يؤمن بأن أفضل أسلوب لمعاملة المرأة هو ضربها بين الحين والحين، واعترف (تاناكا) بأنه يضرب زوجته وابنته كثيراً، ورغم ذلك فالعلاقة بينهم تعتبر مثالية ! بل إنه نصح زوج ابنته ـ ليلة زفافها ـ بضرورة ضربها حتى ينصلح حالها. وقد فوجيء زوج الابنة بما يطلبه منه حماه ولكن تاناكا عاد وأكد أن الضرب بدون سبب هو الذي قد يغضب الزوجة، أما ضربها لارتكابها بعض الأخطاء فإن هذا قد يؤلمها ويوجعها ولكنها ستزداد حباً لزوجها بعد أن يتبدد الألم والوجع.

ولم يصل الأمر في الشريعة الإسلامية قط إلى قتل الزوجات أو تكسير عظامهن، أو الإكثار من ضرب الزوجة بين الحين والحين كأفضل وسيلة لمعاملتها، والحمد لله على أنه لا اليابان ولا بريطانيا تطبق أحكام الإسلام وإلا لخرج دعاة (تحرير المرأة) في بلادنا بمظاهرات الاحتجاج على هذه الوحشية والرجعية ـ كما يقولون عادة ـ ولطالبوا باستقالة رئيس الوزراء وربما إعدامه ! أما والأمر يتصل ببريطانيا واليابان غير الإسلاميتين، فهما عند دعاة تحرير المرأة في بلادنا من قمم الحضارة والمدنية التي يقولون: متى تصل إليها بلادنا؟ وسنرى في (تعدد الزوجات) نماذج أخرى من هذه المدنية الغربية. وأضف إلى هذا أيضاً أن اليابان ما تزال معروفة بأن نساءها من أفضل الزوجات وأنهن يقدسن الرجل وتقوم الزوجة بخلع حذائه بيديها. وقارن هذا كله بكثير مما يلغط به دعاة تحرير المرأة من ارتباط التقدم الصناعي والتكنولوجي بمساواة المرأة الكاملة بالرجل في كل شيء.

بعد كل هذه القصص من حضارة الإمبراطورية البريطانية إلى حضارة عملاق العالم اليوم في التفوق التكنولوجي والمدنية المادية المعاصرة وهي حضارة اليابان وإلى تفكير ونظرية رئيس وزراء هذه الدولة العملاق السيد (كاكوي تاناكا) الذي أصدر كتاباً بعنوان (حياتي) حيث قال فيه: إنه يؤمن بأن أفضل أسلوب لمعاملة المرأة هو ضربها بين الحين

والحين واعترف ما اعترف في ما جاء سالفاً، والغريب أن هذا العملاق يقول أن الضرب المؤلم والموجع سيزيد محبة الزوجة للرجل .... وهذا المثال يطابق تماماً المثل العربي الذي يقول: بعد العداوة حلاوة ... أين الغرب من كل هذه الأخبار؟ أين هم؟ لماذا لا يكتبون بأقلامهم التي خصصت أكثر الأحيان لنقد الدين الإسلامي الحنيف، فليقرؤوا عن حياة سيدنا محمَّد ﷺ فإنه لم يمد يده إلى امرأة طول حياته قاصداً ضربها... فقارن أيها القارىء الكريم بين ديننا وأخلاقنا وأخلاق الغرب وعمالقته فشتان بين هذا وذاك، فشتان بين الثرى والثريا .

إذن ألَّا يتحير المرء من ازدواجية الغرب؟ إذا كان الأمر كما أسلفنا فأين حقوق المرأة وما الغرض في الدفاع عن حقوق المرأة، فإذا راجع القارىء كتابي (المرأة الحنون وعظمة هذا الدين) سيلقى هناك في موضوع ضرب النساء وحقوق المرأة ما يكفيه.. ثم يقارن فيما بين الحضارتين ليصل إلى القرار الصائب.

يعجز القلم عن وصف وفاء المرأة لزوجها

هكذا يربي ديننا المرأة ...

نساؤنا ونساء الآخر ..، فطنة نسائنا ونساء الآخر....

عقيدة نسائنا ونساء الآخر...، وفاء نسائنا ونساء الآخر .....

لم يؤثر فيّ أن أكتب عن هذا الموضوع إلا حادثة امرأة عاقلة فطنة مسلمة بالرغم من مصيبتها الكبرى التي أصابتها، ولو أصاب هذه المصيبة رجلاً من رجالنا لما تصرف ذلك التصرف بل حقد حتى على مجتمعه ودينه... امرأة فقدت جمالها وتشوهت وتهشمت عظام وجهها ولكنها بعقلها وبفطنتها لم تحسب كل ذلك على الدّين ولكن حسبتها على عادات اجتماعية قد لا تبت إلى الدين بأية صلة، إنها فعلاً امرأة ذات قلب حَديدي تستحق الثناء.

إنها امرأة لرجل حسبما تذكر المرأة قد شدّ يوماً من أيام حياتها الزوجية بيديه حول رقبتها، وبدأ الزوج بضرباته القاسية المؤلمة المدمرة يحطم ويهشم وجه زوجته المسكينة التي لم تذنب ذنباً يستحق كل تلك الضربات المميتة، هذه الضربات من رجل كهذا كان فيها نية القتل لزوجته وعندما ظن أنه قد قضى عليها ، هرب تاركاً الزوجة ملطخة ثيابها بالدم . . .

ولكن هل جرت هذه الحادثة كحوادث كثيرة في شرقنا تمضي بسلام؟ . . . وهل أن الرجل بعد هذه الجريمة النكراء، بدلاً من أن يُسرع لإسعافها وإدخالها المستشفى ـ ومهما كانت النتيجة من العقاب الذي كان ينتظره ـ قد تركها على الرصيف عند مدخل المستشفى ولكن كيف مرت الأمور . . . هل التهمة في هذه الجريمة بالنسبة للإعلام وبالخصوص الإعلام الغربي محسوبة على الرجل أو الدين أو التقاليد؟

نعم كلنا نعلم أن هذا العمل المشين لا يبت إلى الدين الإسلامي الحنيف بِصِلة. . .ماذا يكون تفكير كثير من الناس لو أصابتهم مثل هذه المصيبة رجالاً أو نساءً؟ لا بد أن أول ما يفكر به المرء هو مطالبة العدالة بالعقاب الصارم . . .

أما تلك المرأة العاقلة التي تهشم وجهها وتكسرت عظام وجهها وفي تعاظم حالتها السيئة في المستشفى كانت تخشى من أن يقدم زوجها على الانتحار بعد أن يدرك جدية الموقف عند قراءته للصحف . . . هذا هو شعور المرأة الصالحة وهي تقول: إنني تخيّلت أن رجلي هو والد طفلَيَّ اللذين سوف أحصل بلا شك على حضانتهما، نظراً للظروف، وما سيكون رأيهما فيما بعد بهذه المأساة؟ ومن أية ناحية سينظران إليها وكيف؟ ألن أكون أنا في نظرهم المسؤولة إلى حد ما؟ بعد أن يفقدا والدهما، سوف يرفضان أمهما، سيكون ذلك الأمر فظيعاً بالنسبة لهما وهذا ما لا أريده. صحيح أن زوجي ارتكب خطأً بضربي، لكن أنا مع كل ذلك الخطأ والجريمة أود أن أعرف زوجي إن كان ما زال حيّاً، فموته سوف يفسد كل حكم ويلطخ حياتي بشكل دائم، فليعش زوجي، كي يعترف بخطأه ويتحمل مسؤوليته أمام ولدينا، أُريد أن أترك لهما الفرصة في الحكم عليه، لا أنوي أن أقوم بذلك مكانهما. . .

بالله عليك عزيزي القارىء كيف تقيّم موقف هذه المرأة الجليلة؟ هذه المرأة الناضجة والعاقلة، وهي في أشد وأقسى حالاتها الصحية السيئة، هذه المرأة التي أصبح وجهها كتلة من اللحم المشوه المتورم المخطط بالندبات المنقط بالأورام الدموية الزرقاء والقشور، لم تعد عيناها إلّا ثقبين صغيرتين غائرتين في هذه الكرة المتورمة، إنها في هذه اللحظات العصيبة تفكر وتخشى أن يكون زوجها حيًا أو قد انتحر وأنها تفكر بعفوها، هل هناك في كل أوروبا وأمريكا امرأة تصيبها هذه المصيبة النكراء وتود أن يكون زوجها لم يصبه أي أذى مثلها؟ هكذا هو شعور النساء المسلمات في مجتمعاتنا . . . .

ثم تقلّبت كل هذه المحنة إلى أمر عصيب تناقلتها كل صحف الدنيا شرقاً وغرباً، إن ذلك الحدث كبير وقد أثر ذلك الحدث حينئذ حتى على رجال الدولة في السعودية ونسائها وأميراتها . . . وتوافد على هذه المرأة في المستشفى ممثلو معظم الصحافة الأجنبية وكذلك صحافيون من أكبر الوكالات الإنكلوسكسونية، وأسوشيتدبرس، ورويترز . . . . لكن ضربتها تلك أصبحت رحمة لإنقاذ مجتمع من عادة لا صلة لها بالإسلام . . .

وقد دعيت هذه المرأة إلى مؤتمر في فرنسا بعد ذلك الحادث و بعد شفائها من آلامها وتشوهاتها، وكان الحضور في هذه الندوة من النساء والرجال، وكان عدد النساء يفوق عدد الرجال، وكان جو المؤتمر هادئاً، وقد جرى الاستماع بجدية إلى كل المداخلات. وإني إذ أرى وأنا أكتب عن هذه المرأة الفاضلة أن كل المؤتمرين كانوا ينتظرون من المرأة أن تقول:

إن الدّين هو الذي جعل زوجي أن يضربني هكذا، وكان الجميع يتوقعون حتمًا أن تقول كذلك، ولكن خابت كل آمالهم ونطقت بالآتي:

(لم أتعرض للضرب باسم مبدأ ديني ولكن من قبل رجل غيور لا أكثر ولا أقل، إن الذين يتذرعون بالإسلام كي يبرروا هكذا تصرفات يكذبون)، أما الذين يعتقدون صراحة أن القرآن يشجع هذه الممارسات فإنهم مخطئون. إنها قصة رجال ولا شيء آخر. (كان النبي ﷺ يعلم المحبة وليس الكره كما يشيع اليوم بضع المتحمسين له بإفراط).

هذه هي المرأة الناضجة المثقفة في الإسلام.

هذه كانت قصة امرأة تدعى (رانيا الباز) وكُتِبت قصتها في مؤلفٍ عنوانه (المشوّهة) تعريب (جورج قاضي) وإني إذ علقت على هذه القصة دون أن ألوم الزوجة أو الزوج، حيث لا يهمني ذلك وإن ذلك الأمر منوط بهما.

قصة امرأة غربية تقشعر منها الجلود
أي حكم أقِر لزوجها؟ لماذا؟ ...

وهل يتمنى رجالنا أو نساؤنا أن تصل تلك القوانين إلينا؟

أم أن قوانيننا وشريعتنا هي خير ما في الدنيا...؟

التقيتُ بصديق حميم من أمريكا لا يكذب أبداً، وقال لي: رأيت في قناة الأوبرا (Operah) وبتاريخ 13/ 12/ 2007 بعد الظهر قصة لا مثيل لها في تاريخ العالم الإسلامي، أما القصة باختصار فهي كالآتي:

امرأة متزوجة برجل وقد طلب منها زوجها أن يواقعها (يجامعها) ـ طبعاً هي حلال له وهو حلال لها في كل الأعراف الدينية على وجه الكرة الأرضية ـ إلّا أن الزوجة بالرغم من عدم قبولها لهذا الأمر عدة مرات إلّا أن الرجل فعل ذلك رغم معارضتها . . . ما النتيجة؟ إلى أين آلت هذه القضية؟ . . الزوجة اشتكت لدى المحاكم . . . وقد حكم على الرجل حوالي (53) عاماً، حيث لكل مرة واقعها الرجل عنوة حكم عليه عدد من سنوات السجن، وهكذا قانون أمريكا، فيعتبر جماع الرجل مع زوجته جريمة إذا هي لم ترغب في ذلك. ما هذا أيها الناس، لم نسمع بهذا القضاء ولا هذه القصص لا في الدين الإسلامي ولا المسيحي ولا اليهودي . . .

من أين لهذه الدول تلك القوانين، رجل هو زوج شرعي لزوجته تأبى الزوجة وقاعه وإذا ما تم ذلك قسراً أو عنوة من الرجل، فباستطاعة الزوجة أن تشتكي عليه ليسجن الزوج طيلة تلك الفترة ويظهر أن هذا الحكم أشد من جريمة قتل . . . أنا لا أدري وحائر كيف أصف هذه الأمور، أين يذهب الرجل في مثل هذه الحالات؟ هل يذهب والعياذ بالله إلى بيوت الدعارة؟ أم يفتش عن البغايا؟ أو عن الخليلات، ليفعل ما يريد لسد رغباته الطبيعية كإنسان . . . إنه لأمر تقشعر منه الجلود . . .

أما آن الأوان في مثل هذه البلاد أن تشكل جمعيات الدفاع عن حقوق الرجال؟ أين

سَكَنُ المرأة وأين معنى الزواج في مثل تلكم البلاد، في الواقع إن العقل ليقف حيران إزاء هذه الأمور . . . والأغرب من ذلك أن الزوجة قد استرحمت للرجل وقد ذهبت للمحاكم لتخفف عنه بعض سنين الحكم، مدعية أنه قد تحسنت طبائعه في السجن، وربما لا يكرر مثل هذه التصرفات. يعني أنها لا زالت لا تقبل بتصرفات زوجها بإشباع رغباته كما هو يريد. . . وهذا أَمر مُحيِّر لنا . . . .

وأود أن أقول أخيراً هل تريد نساؤنا أن يقلدن نساء الغرب؟ . . . هل هذا هو وفاء الزوجة لزوجها في الغرب؟ هل هذا هو وفاء المرأة لأبي أولادها . . . . ما سمعنا بهذه الأمور لا في القرون الوسطى ولا في أي دين منذ أن خلق الله آدم، هل هذا قانون الغاب؟ أو حتى لا يوجد في الغاب هذا القانون . . . أنت أيتها المرأة الفاضلة هل تريدين قانون الغرب وتصحين بذلك مجرمة وتودين أن يعاقب زوجك من أجل أمر حلال في كل شرائع الدنيا . . .أنا أنتقد قوانين الآخر وأراها مجحفة. نعم ربما كان هذا الرجل السالف ذكره سيئاً بكل معنى الكلمة،لكن هناك طرق قانونية للخلاص منه،فلماذا لم تطالب الزوجة بها للخلاص منه، كالطلاق مثلاً.

أود أن أُنبه القارىء، هذا لا يعني أنه هكذا هو حال جميع الأزواج في الآخر،فهناك علاقات طيبة بين كثير من الأزواج، إلّا أنّ انتقادي هو للقوانين المُشرِّعة في الآخر، وكما حدث في المشكلة المذكورة آنفاً.

امرأة من معارفي هذه قصتها ... امرأة وَفِيَّة، حالها حال أكثر نسائنا في العالم الإسلامي

وهل يلقى الإنسان هذا الوفاء في الآخر؟

توفي زوج امرأة تبلغ من العمر (28) عاماً وهي شابة في ريعان شبابها وفي منتهى جمالها، لها عدد من الأولاد، مات زوجها بجلطة قلبية وهي في ذلك العمر . . . ماذا عملت هذه المرأة هل تزوجت بعد وفاة زوجها؟ كلا . . . بل إنها قالت الحب لرجل واحد، فلو ملّكوني كل هذه الدنيا لم أتزوج بعد ذلك الرجل، وتخلت عن كل شيء سوى تربية أطفالها، حيث كان أكبر أولادها يبلغ من العمر (12) عاماً . . هكذا هو وفاء نساء المسلمين في لشرق لأزواجهم . . .

هذه هي حال أكثر نساء المسلمين، وهل نلقى حتى امرأة واحدة في الآخر تفعل كما فعلت هذه المرأة، وكما تفعل معظم نسائنا؟!! أيُّ تَربيةُ هذه؟ عَقيدةَ من هذه؟ كل هذه الأمور نابعة من الدين الحنيف. هكذا هي طبيعة نسائنا و وفائها ودينها وتضحيتها .

إنها ضَحت بكل النزوات الطبيعية التي تمتلكها المرأة، وقالت: إني أود أن أكون كافلةً لأطفالي الأيتام وأدخل الجنة مع سيدنا محمد ﷺ وكانت تتلو حديث المصطفى ﷺ: وتقول عن سهل بن سعدٍ ﷺ عن النبي ﷺ: **«أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا وقال بإصبعه السَّبَّابة والوسطى»**[1]، ثم تذكر حديثاً آخر وتقول: عنْ عوفِ بن مالك الأشجعيِّ ﷺ عنِ النبي ﷺ قال: **«أنا وامرأةٌ سفعاء الخدين**[2] **كهاتين يوم القيامة و**(أوْماَ بالوسطى والسَبَّابَةِ) **امرأةٌ أمت من زوجها**[3] **ذات منصب وجمالٍ حَـبسَتْ نفسها على يَتاماها حتى بانوا أو ماتوا»**[4].

---

(1) وقال: أي أشار وفرج بين السبابة والوسطى.

(2) متغيرة لون الخدين من المشقة والضنك.

(3) صارت أيماً لا زوج لها .

(4) بانوا: أي كبروا واستغنوا عنها، أو ماتوا إلى رحمة الله، فمن لم تتزوج حتى ربت يتاماها لها درجة عظيمة قريبة من النبي ﷺ.

نعم إنها ضحّت بكل شيء لأجل نيل درجة شرف في الآخرة ألا وهي: قربها من سيّد الكائنات محمد ﷺ .

أخي القارىء شتان بين نسائنا ونساء الآخر، يستحيل أن تضحي المرأة الغربية بالدنيا لأجل تربية الأطفال ويستحيل أن تضحي بغريزتها القوية الطبيعية لأجل الآخرة. أما نسائنا؟ فقرأتَ حكايتها و قصتها الحقيقية. . .

فالمرأة عندنا تعرف حقوقها وتعلم مصالحها ولا تريد الحقوق المزيفة التي يتباكى عليها المارقون في الآخر.

أولادنا وأولاد الآخر.....

نصف الولادات في ألمانيا غير شرعية ...

لا شك أن أكثر البلاد الغربية هي بلاد علمانية لا تعترف بدور الدين في الشريعة، والقصد من وراء ذلك هو الغطاء القانوني، فالقاعدة القانونية تقول أن الأصل في الأمور الإباحة، وبالتالي لا يوجد في القانون الألماني على سبيل المثال نصّ يُجرّم الإنجاب خارج مؤسسة الزواج.

في الواقع هناك إحصائيات تفيد بأن نصف الولادات في ألمانيا غير شرعية، ووردت هذه المعلومة في جريدة الشرق الأوسط في كولون (Koeln) ـ ألمانيا ـ وبعنوان: (نصف الولادات في ألمانيا غير شرعية) وكالآتي:

كولون (ألمانيا): الشرق الأوسط.

تزايد عدد الأطفال غير الشرعيين في ألمانيا، منذ صدور قرار المساواة في الحقوق بين أطفال الأسر المتزوجة رسميًا وأطفال زيجات (الحياة المشتركة) لعام 1998. وإذا كان عدد الأطفال غير الشرعيين في غرب ألمانيا، يشكل نحو 20٪ من مجموع الولادات كمعدل، فإن عدد الأطفال غير الشرعيين في شرق ألمانيا يشكل 60٪ من مجموع الولادات. وذكرت دائرة الإحصاء المركزية في (فيسبادن) أن نسبة الولادات غير الشرعية عام 2003 كانت 27٪ فقط من مجموع الولادات (191 ألف طفل)، لكنه ارتفع العدد عام 2005 إلى 221,22 ألف، وهي أكبر معدل للولادات من غير المتزوجين منذ نهاية الحرب العالمية الثانية. وكانت هذه النسبة عام

2000 تقل بـ 20 ٪ عن عام 2005، مع ملاحظة أن عدد الولادات غير الشرعية عام 1993 كان قد وصل إلى(118)ألف فقط.

وفسرت دائرة الإحصاء المركزية هذه الظاهرة على أساس قانون 1998، الذي يمنح والدي الطفل غير الشرعي حق الرعاية المشتركة لهما إسوة بوالدي الطفل الشرعي. كما يفرض القانون على الأب تحمل تكلفة إعالة الطفل غير الشرعي حتى إنهائه الدراسة الجامعية، أو حتى اعتماده على نفسه، وأسهم هذا القانون، ليس في تقليل عدد الأطفال الشرعيين فحسب، وإنما في تقليل الزيجات الشرعية أيضاً.

وترتفع نسبة الولادات غير الشرعية في الولايات الشرقية إلى 61٪ في ميكلنبورغ فوربومرن و 60٪ في سكسونيا ـ انهالت، و57٪ في براندنبورغ، و 55٪ في تورنغن، وفسرت الدائرة استشراء الزواج الشرعي في شرق ألمانيا على أساس ضعف ظاهرة التدين هناك. وتبقى ولادة الطفل سببًا للزواج في ولاية بافاريا الجنوبية (غرب)، في حين أنها ليست كذلك في ميكلنبورغ فوربومرن (شرق) [1]. إنني إذ أعتبر أن هذا العمل هو هضم لحقوق المرأة، لأن الرجل بهذا العمل لا يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالمرأة، ويذكرني هذا الأمر بامرأة ألمانية ـ في هوهنيهايم (Hoheheim) ـ وكانت جارتي، حيث سألتها جارتها قائلة: أين والد طفلك هذا، هل هو حي؟ قالت: أنا ودت أن أحمل من والد هذا الطفل، وقالت إنه لايعيش معنا، وأردفت قائلةً: وكما قلت أنا كنت راغبة في أن أحمل منه هذا الطفل، فحتى هو (أي الرجل) غير مكلف بإعالته ... غريب أمر هؤلاء الأقوام .... !

إذن الأب شأنه في مثالي السابق قد انتهى بالعلاقة العابرة ويبقى الطفل في كنف أمه التي تكون هي المعيل الوحيد له!!... أليست هذه الظاهرة إشارة للعودة إلى الهمجية؟

فكيف يتربى هذا الطفل؟ أين العاطفة الأبوية لهذا الطفل؟ ففي فطرة الإنسان أن يكون له أب.

انهم بهذا العمل قد ابتعدوا حتى عن ديانتهم. المسيحية. فما الفرق اذن بين الجنس الذي يمارس من قبل البهائم والإنسان؟

(1) جريدة الشرق الأوسط، السبت 26 جمادى الثاني 1427 هجري، 22 يوليو 2006، العدد 10098.

(هذا ولقد ظهرت كتابات وأبحاث ومؤلفات في أمريكا وفي غيرهما من مجتمعات الغرب تنحو باللائمة على الحركات النسائية المتطرفة التي جعلت الرجل يهرب من العلاقة الزوجية الشرعية)[1].

وقد بدأت الآن في مجتمعاتنا تلك الحركات المتطرفة لتجعل الرجال أيضاً يهربون من الزواج؟... ناهيك عن الرجال، هل ترضى النساء بهذا الحال؟ هل ترضى بأن تنقرض أمتنا .... فالقوانين التي تُسنُّ وتنتشر في العقود الأخيرة جعلت (الزواج) مشروعاً ومحاطاً بالمخاطر، لماذا لأن تلك القوانين من صنع البشر، وإنها تظلم الناس.

أكتب الآن هذه الأسطر وأخي جالس بجانبي وهو يحمل الجنسية الأمريكية ويقول: إن الرجل الأمريكي عندما يطلق زوجته ولديه منها طفل يضطر ـ حسب القوانين الأمريكية ـ عن التخلي عن معظم ممتلكات العائلة للزوجة ويتخلى عن ثلث راتبه الشهري ويسمح للرجل أن يلتقي بأطفاله يوماً في الأسبوع. قد نهى الرسول ﷺ العزوف عن الزواج حيث قال ﷺ: **«من استطاع منكم الباءة فليتزوج»** ما رأي المرء بإنسان القرن العشرين وحقوق المرأة في هذا القرن. لقد صدق الدكتور عبد الواحد عندما قال: (ما الفرق بين إنسان الغابة وإنسان القرن العشرين عندما يبهت مفهوم العائلة ويتحول إلى علاقة عابرة !؟).

أصبح الزواج في الغرب إذن أمرًا بحيث يجعل الرجل يعزف عنه لأنه فعلاً مغامرة لا تحمد عقباها...

(وتشير الأرقام إلى أن معدلات الزواج في الولايات المتحدة الأمريكية هبطت خلال الأربعين عاماً الأخيرة بنسبة تزيد على الأربعين بالمائة، وتدل الإحصاءات في عام 2000 إلى أن نصف البالغين في أمريكا غير متزوجين وأن العلاقات المكونة من والد واحد فقط (الأمُّ في الغالب) أكثر من عدد العائلات المكونة من والدين وأطفال!!)[2]

أَلا تُبيّن كل تلك الإحصاءات التي تشمئز منها النفوس إن مجتمع الغرب ينتقل جيلاً بعد جيل من النقيض إلى النقيض.

نعم صحيح إنه في السابق ـ في أمريكا والدول الغربية ـ لم تكن حقوق للمرأة تذكر، وبسبب ذلك الاضطهاد قد برزت المنظمات التي تنادي بحقوق المرأة، يا ترى ماذا كانت

(1) خصخصة الزواج، للدكتور عبد الواحد الحميد، بتصرف www.alariydh.com.
(2) خصخصة الزواج، للدكتور عبد الواحد الحميد، بتصرف www.alariydh.com.

النتيجة؟: المبالغة في مطالبها!!.... وقد استجابت المؤسسات التشريعية لتلك المطالب لأسباب سياسية بما في ذلك المطالب غير المبررة كالمبالغة في تجريد الزوج من ممتلكات العائلة بعد الطلاق ....

إذن أليس من حق الرجال الامتناع عن الزواج مفضلين الاستمتاع بالعلاقات العابرة، وهل بهذا العمل أصبحت المرأة أكثر سعادة؟ أو أكثر بؤساً وشقاءً، فإنها أصبحت المسؤولة عن أطفالها غير الشرعيين.

وتعليقاً على ما جاء آنفاً أقول: هل الدول الغربية بتشريعاتها لحقوق المرأة ظلمت المرأة أم أفادتها؟ ألا ينتظر الغرب يوماً ما انقراضاً في عدد أفرادها إذا ما تجاهل ما يعانيه الآن من هذه المشاكل؟ ولكن ما هو الحل أخيراً؟ لا أبالغ إن قلت هو الرجوع إلى ما سنته الشريعة الغراء، فشريعتنا لم تجهل حقوق المرأة كما تجاهلها الغرب في الماضي، بل أعطى لها حقها وحق زوجها وأوجب عليهما تربية أطفالهما التي هي زينة حياتهما، وقد أوصت الشريعة بالمرأة إلى حد الكفاية ويمكنك أن تقرأ عن حقوقها في كتابي (المرأة الحنون وعظمة هذا الدين)..

أكاد اقسم بالله لو ان الوضع استمر هكذا في الغرب، لساء حالهم اكثر فاكثر، كلما ابتعدوا عن الشرائع السماوية وانغمسوا في الانحرافات وحادوا عن الفطرة

اما آن الاوان ايها الصاحب القارىء ان نتعظ بمصيبة غيرنا وقد بدات بعض دولنا تُقلد الغرب في هذه الامور وربما نقوت يوماً، يا ليتنا لم نبدا بما انتهوا منه

وهكذا تترائى لي الأمور الأخرى التي نهى الله عنها في شرعنا وانغمس الغرب فيها، و لا يعلم كيف ينتهي منها، وأحد هذه الأمور هو شرب الخمر، فالغرب يشدد في كافة ميادين الحياة أن يعدل مواطنوه عن شربه أو في الأقل أن يقللوا منه، ولكن دون جدوى.... وهذه شوارع ألمانيا ترى الشرطي واقف في زاوية مخفية، يوقف السيارات المارة فاحصاً سائقيها ليرى إن كانت نسبة الخمر فيهم قد جاوزت الحد المسموح ليعاقبوا عليه.... ولا يحتاج أن أذكر الإحصائيات التي تحير العقول من حوادث السير التي تقع سنوياً بسبب شرب الخمر.

قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ﴾ [طه: 124].

ونعود لقضية المرأة مرة أخرى ونقول: إن الإسلام لم يتجاهل حقوق المرأة ولم يبالغ في حقوقها كما فعل الغرب ذلك، ولذلك وقع الغرب في أخطاء يدفع ضريبتها مواطنوه. . .

واستناداً إلى تشريع القوانين الزوجية فإنها قد باءت كلها ـ في الغرب - بالفشل وهناك أصوات تنادي من أمريكا بـ (خصخصة الزواج) . . . وقد كتب عن هذا الموضوع الدكتور عبد الواحد الحميد ـ المصدر السابق ـ ليقول: تحولت العلاقة الزوجية في أمريكا إلى عقد بين طرفين هما الزوج والزوجة دون تدخل من الحكومة . . . فما تتعاقد عليه الزوجات هو الذي يحكم علاقتهما المستقبلية ابتداء من اقتسام عملية غسل الأطباق في حالة استمرار الزواج، وانتهاءً بكيفية اقتسام ممتلكات العائلة في حال وقوع الطلاق!!

إذن ماذا تفيد لائحة حقوق المرأة في مكتبة الأمم المتحدة؟ وماذا تعني؟ ولا أشك مثقال ذرة أن أسباب صعوبة عدم تطبيق نظم الأرض منحصرةٌ في ثلاثة أمور:

1 ـ إنها من صنع البشر والشيء الذي يكون من صنعة يد البشر تنقضه يده أيضاً.

2 ـ إنها غير صالحة في كثير من فروعها للتطبيق .

3 ـ إنها لا تمتلك قوة كافية للتطبيق وذلك لأنها في الواقع تعتمد على قانون العقوبات، الذي إن كان صحيحاً (وهو غير صحيح)، فهو غير كافٍ لما سيأتي.

يا ترى ما هو ذنب الأطفال غير الشرعيين والأطفال مجهولي الأبوين في الغرب؟ هذا وان توفر الحضانات لا يشفع لحكومات الغرب، لأن حنان الأُم لا يضاهيه حنان موظفة أو عدد من الموظفات في الحضانة. ماذا يكون مستقبل هؤلاء الأطفال؟ ماذا نتوقع من نفسية طفل يزوره أبوه مرة في الأسبوع أو لا يزوره نهائياً أو لا يعرف قطعاً من هما أمه وأبوه وهو مجهول الأبوين؟ أليس المجتمع قد ارتكب بحق هذه الأطفال الأبرياء جرائم لا تغتفر؟ ثم إنني أفهم كيف يفكر المجتمع الغربي فإنه من طرف يحث على حقوق الإنسان هنا وهناك وفي المحافل الدولية، وفي الطرف الآخر يُسَنُّ قوانين تنص على أن الإنسان حرّ في أن يمارس الجنس ثم ينتج من لذته المؤقتة في الشوارع أطفالاً، أليست هذه جرائم في حق الأطفال؟

فالإنسان بعمله الشنيع هذا في هذه المجتمعات يكون قد سلب من طفل رضيع حق أن تكون له أم وأب وإخوة وأسرة . . . من يكون في المستقبل أخاً لهذا الطفل وأختاً له بل عمة وخالة له؟ هل هذه هي الحضارة التي يفتخر بها الغرب؟ ثم هل للغرب أن ينتقدنا؟ فأطفالنا في الأمة الإسلامية يعيشون مع أسرهم وذويهم . . . أيُّ النظامين أعظم وأعدَلُ وأحكم؟ نظامنا وقوانينا الشرعية التي تهذبنا وتعلمنا رجالاً ونساءً وأطفالاً، وتعلمنا حدود حرياتنا في المجتمع؟ أم قوانين الغرب التي تُضيع الحقوق كما جاء آنفاً؟

ثم لو قورن بين أحكام الغرب وأحكام الإسلام في الزواج والطلاق والأخلاق وبر الوالدين والخمر والبيع والربا وغير ذلك من الأمور الكثيرة لاتّضحت جوانب تقدمنا وتحضرنا وتخلف الآخر (الغرب) على وجه التحديد، فأحكام الطلاق في الغرب في تغير باستمرار فقد كان الطلاق عندهم محرماً إلّا في حالات نادرة ولكن عندما اكتشفوا أضراره أباحوه واختلفوا في الوقت نفسه في أحكامه وحقوقه المترتبة عليه، ولا عجب في تخلف أحكام الغرب فذلك شيء طبيعي لأن أحكامهم وضعية حيث تكون صائبة في جوانب ومخطئة في جوانب أخرى، أما حكم شريعة الإسلام فهو حكم شرّعهُ الله تعالى وهو محيط بالنفس البشرية ويعلم خفاياها وما يناسبها حيث قال تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الملك:14]، ربما لا يشعر كثير منا بتقدمنا وتخلف الآخر، ذلك لأن الغرب نجح بإعلامه القوي والذكي في إظهار عيوبنا (دون أن يكون هناك عيب في أحكامنا) وستر عيوبه وأخطائه، وهذا الأمر لا يخفى على شعوبنا . . . .

فلو أَعدمنا في شرقنا مجرماً يستحق الحكم، لقامت القيامة في حين أن ضحايا الحرب العالمية الثانية كانت أكثر من أربعين مليوناً أغلبهم من المدنيين، إذن فمن الهمجي نحن أو الآخر؟

وليعلم القارىء ما جرى بعد هذه الحروب، إذ تم اقتسام الشعوب وأراضيهم بين الحلفاء بعد انتصارهم في تلك الحروب.

هل الآخر اذن حريص على العدل والحرية والمساواة؟ أليس تخلف الآخر واضح في ظُلمه وشرائعه وأخلاقه؟

ولا يخفى أن الطفل الذي يتربى دون أب أو أم أو كليهما، لا يكون له رحمة وشفقة، وخاصة إذا تربّى على طريقة الغرب وليس على طريقة أمة محمد، فتراه عندما يكبر،

لا شفقة ولا رحمة ولا عاطفة له، إني لا أشك أن مثل هذه الأولاد سيكونون عالة على حكوماتهم ومجتمعاتهم لقسوتهم عندما يكبرون . . . .

وكان حال الغرب قبل الثورة الصناعية في تربية الأطفال واختيار عقيدتهم أحسن مما هو عليه الآن و كما يقول (ألفين توفلر)[1]: إننا حين نترك للصغير الاختيار في عقائده ظانين أنه سوف يبحث لنفسه عن العقيدة الصحيحة فنحن خاطئون. إنه سوف يتلقى عقائده خارج المدرسة بالإيحاء والتأثير فلا يوجد إنسان بلا عقائد محددة وهو غالباً قد تلقاها بلا مناقشة. فالطالب إذن يتلقى العقائد بطريقة سيئة غير عاقلة. ونحن نرى السذاجة التي يواجه بها الفرد عندما تعترضه الأسئلة الدينية، هذا إذا كان للطفل أب وأُم معروفين، فكيف يكون ذلك الاختبار لطفل مجهول الأب والأُم؟ . . .

(1) صدمة المستقبل، ترجمة عبداللطيف الخياط ص: 64 ، 1979.

التكافل والضمان الاجتماعي في الإسلام ...

حوار بين طالب مسلم وأستاذ ــ من الآخر ــ في الغرب

لقد استفاد طالب مسلم في ألمانيا لتحضير لمثل هذا الحوار من معلومات و مصادر مدونة في متن الحوار. و لكي يكون الأمر سلساً للقارىء الكريم في موضوع التكافل والضمان الاجتماعي في الإسلام، فقد دونت ذلك الحوار وعلقت عليه بين حين وآخر:

الآخر: ما معنى التكافل في مجتمعكم؟

المسلم: ضم ذمة إلى ذمة لتتقوى إحداهما بهذا الضم .

الآخر: هل هناك تكافل اجتماعي في دين الإسلام؟

المسلم: نعم وهو كإحدى الأُسس التي من خلالها تتحقق الحياة الكريمة للفرد.

الآخر: لا بد أن يكون لذلك العطاء سمات ما هي تلك السمات؟

المسلم: يتحقق التكافل والضمان الاجتماعي من خلال الزكاة والصدقة والوقف والكفارات والنذور . . .

الآخر: وهل هذه الأشكال تقتصر فقط على العطاء لسد الاحتياجات الأساسية للإنسان؟

المسلم: كلا . . . بل لحد تحقيق الكفاية وحد الغنى، فكما قال سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ: (إذا أعطيتم فأغنوا)، و هذا ممكن عن طريق توفير فرصة عمل و المساعدة في عمل مشروعات صغيرة . . .

الآخر: ما أصناف التكافل الاجتماعي في الإسلام؟

المسلم: تكافل مادي ومعنوي.

الآخر: ماذا تقصد بالتكافل المعنوي؟

المسلم: يتضمن التكافل المعنوي: المشورة، والنصيحة، والصداقة، والتعليم.

الآخر: ما الفرق لديكم بين التكافل الاجتماعي والضمان الاجتماعي رغم تشابههما؟

المسلم: الضمان الاجتماعي هو التزام الحاكم نحو رعيته أو باللغة المعاصرة التزام الحكومة نحو شعبها، فالسلطة يجب أن تحرص على إبقاء الحد الأدنى من المعيشة اللائقة للشعب وتوفير المساعدة لكل من يحتاج إليها [1].

الآخر: ما هي الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي يظهر فيها مفهوم التكافل الاجتماعي؟

المسلم: لقد ظهر مفهوم التكافل الاجتماعي في كثير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، يقول الله تعالى في قرآنه الكريم: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الحجرات:10] كما يقول تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة:71]، كما ورد في السنة الكثير من الأحاديث التي تحث المسلمين على التآخي والإيثار من أجل الآخرين، قال رسول الله ﷺ: **«المؤمن للمؤمن كالبُنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً»** وقوله: **«مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»**. وأيضًا قوله ﷺ: **«لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»**[2].

الآخر: كيف ينظر المسلم إلى المال الذي يهبه الله لعباده؟

المسلم: لقد أوضح الإسلام أن المال الذي وهبه الله لعباده ليس ملكا خاصاً لهم وإنما هو ملك لله. وذلك يستدعي أن المسلم لا ينفق المال فقط كما تلهمه أهواءه إنما يكون الإنفاق

---

(1) محمد شوقي الفنجري (المقومات الأساسية للمجتمع الإسلامي: التكامل الاجتماعي) في إطار المؤتمر العام الحادي عشر الأعلى للشؤون الإسلامية: نحو مشروع حضاري لنهضة العالم الإسلامي، القاهرة 2000، ص: 532.

(2) جمال الدين محمد محمود. أصول المجتمع الإسلامي دار الكتاب المصري، القاهرة1992، ص: 140.

حسب التعاليم التي أتى بها الله تعالى. فالإسلام يوضح أن الكون كله بمن عليه هو ملك لله وليس للبشر، فلقد قال الله تعالى: ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [لقمان:26] وقال أيضا: ﴿وَآتُوهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ﴾ [النور:33]، وكون المال ملك الله، فهو أمانة في يد الإنسان إلى أن يسأل عليه يوم القيامة، ومن أهم الأساسيات التي حث عليها الله تعالى في جميع رسالاته هو الإنفاق في سبيل الله، فلقد قال الله تعالى في قرآنه الكريم: ﴿هَا أَنتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُم﴾ [محمد:38]. كما يقول تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُم بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾[آل عمران:180][1] فالآية الأخيرة إنذار لمن يبخل بما آتاه الله من ماله . . .

الآخر: إذا لم تكف الزكاة والصدقات للمحتاج فمن يكفل إكمال ذلك لينقذ المحتاج؟

المسلم: قد وصل إلزام الإسلام على المسلم أن يعطي لأخيه المحتاج إلى حد أنه إذا لم تكف الزكاة و الصدقات، فعلى المجتمع ككل أن يشارك بعضه بعضًا في الكفاف، كما قال الله تعالى: ﴿كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ﴾ [الحشر:7] كما قال الرسول ﷺ: «**ليس بمؤمن من بات شبعان وجاره جائع إلى جنبه وهو يعلم**» ، أما سيدنا عمر بن الخطاب فلقد قال: (إني حريص على ألاّ أدع حاجة إلا سددتها ما اتسع بعضنا لبعض، فإذا عجزنا تآسينا في عيشنا حتى نستوي في الكفاف)[2].

الآخر: إني أرى أن التكافل الاجتماعي الذي هو حق أساسي من حقوق الإنسان التي كفلها الله تعالى لعباده منذ (14) قرناً، وأن تلك الحقوق هي من القواعد الثابتة في المنهج الإسلامي، والغريب أنني عندما أقارنها مع الغرب فإن تلك الأسس في الغرب أتت نتيجة لتجارب إنسانية ظهرت مع تقدم النظم السياسية والاقتصادية في القرن العشرين في عالمنا الغربي.

---

(1) عبد الله ناصح العلوان: التكافل الاجتماعي في الإسلام، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة 2001، ص: 36 و 35.

(2) محمد شوقي الفنجري " المقومات الأساسية للمجتمع الإسلامي: التكافل الاجتماعي " في إطار المؤتمر العام الحادي عشر للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية: نحو مشروع حضاري لنهضة العالم الإسلامي، القاهرة، 2000 ص: 536 - 538.

المسلم: نعم إنك قد أصبت . . .

الآخر: مرة أخرى أود أن أسألك سؤالاً وهو: ما هي الوسائل التي أوجدها الإسلام لتحقيق التكافل الاجتماعي؟

المسلم: لقد أوجد الإسلام وسائل عديدة للمسلم لكي يتحقق التكافل الاجتماعي منها الزكاة، الصدقات، الوقف وهو يعد صدقة جارية، الديات، الكفارات والنذور. وهناك بعض المقترحات من بعض المفكرين التي قد نبدأ بها في المرحلة الحالية كمحاولات لتحقيق التكافل الاجتماعي، ومنها التكافل العائلي ونعني به أن العائلة تعد صندوقاً للتكافل الاجتماعي تعين به الأسر الفقيرة في العائلة كأن تعطي لهم رواتب شهرية أو مبلغًا من المال لبداية مشروع أو إسعاف مريض. أيضًا من المقترحات هي إنشاء لجان التكافل الاجتماعي في الأحياء لكي يساعد أغنياء الحي الفقير والمسكين واليتيم منهم بصورة منظمة[1] ومن الضروري توريث أسس التكافل الاجتماعي عبر الأجيال.

الآخر: هل لك أن تذكر لي الأمثلة الرائعة التي أوضحت أن الحاكم الصالح قادر أن يحقق العدل والرخاء لأمتك ـ أمة الإسلام ـ من خلال الأمانة والعدالة في توزيع الأموال على المسلمين؟

المسلم: لقد ضرب الخليفتان عمر بن الخطاب وعمر بن عبدالعزيز ﷺ أروع الأمثلة التي أوضحت كيف أن الحاكم الصالح قادر أن يحقق العدل والرخاء لأمته من خلال الأمانة والعدالة الفائقة في توزيع أموال الأمة، فلقد قال الخليفة عمر بن الخطاب في عام الرمادة وهو عام المجاعة، (والله الذي لا إله إلَّا هو، ما أحد إلَّا وله في هذا المال حق أعطيه أو أمنعه، وما أحد أحق به من أحد، وما أنا فيه إلا كأحدكم . . . والله لئن بقيت، ليأتين الراعي بجبل صنعاء حظه من المال وهو يرعى مكانه)[2]، أما في عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز فلقد محي الفقر وحل محله الغنى في جميع أنحاء الأمة، مسلمين كانوا أو غير مسلمين فعن سهيل بن أبي صالح، كتب عمر بن عبد العزيز إلى عبد الحميد بن عبد الرحمٰن

---

(1) ناصح علوان: التكافل الاجتماعي في الإسلام، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة 2001، ص: 76.

(2) محمد فاروق النبهان، أبحاث في الاقتصاد الإسلامي مؤسسة الرسالة، بيروت 1986، ص: 66 .

وهو بالعراق أن أخرج إليهم أعطياتهم، فكتب إليه عبد الحميد: أني قد أخرجت للناس أعطياتهم وقد بقي في بيت المال مال، فكتب إليه: انظر من أدان في غير سفه ولا سرف فاقض عنه، فكتب إليه: أني قد قضيت عنهم وبقي في بيت مال المسلمين مال، فكتب إليه: انظر كل بكر ليس له مال فشاء أن تزوجه فزوجه و أصدق عنه، فكتب إليه: إني زوجت كل من وجدت و قد بقي في بيت مال المسلمين مال، فكتب إليه هذا: انظر من كانت عليه جزية فضعف عن أرضه فأسلفه ما يقوى به على عمل أرضه، فإنا لا نريدهم لعام أو لعامين[1]. في الواقع إن هذا العدل لا يمكن أن نراه في دنيانا أبداً وخاصة في هذا العصر وحتى في الدول التي فيها ضمان اجتماعي، ثم إني أستغرب من حكامنا اليوم في الدول الإسلامية، فلو نفّذوا ما جاء أعلاه لَمَا ذهب ولَمَا التجأ المسلمون إلى دول الغرب . . .

الآخر: هل أكد الإسلام على ضرورة مراعاة الحاكم لرعاياه بتحري الحق والعدل وتحقيق العدالة الاجتماعية والتكافل الاجتماعي؟ وكيف؟

المسلم: لقد أكّد الإسلام على ضرورة مراعاة الحاكم لرعاياه بتحري الحق والعدل وتحقيق العدالة الاجتماعية والتكافل الاجتماعي. عن أبي هريرة ﷺ، عن النبي ﷺ قال: **«ما من أمير عشيرة إلا يؤتى يوم القيامة مغلولاً لا يفكّه إلا العدل»** كما قال ﷺ: **«ما من عبد يسترعيه الله ﷻ رعية، يموت يوم يموت وهو غاش رعيته إلا حرم الله عليه الجنة»**، يا ترى كم من حاكم وقائد في زماننا يدخلون الجنة، وبالأخص في الدول الإسلامية؟

ومن هنا، يجب على كل مسلم ومسلمة أن يعلم أن الأمة كلها أفرادًا كانت أم حكومات عليها مسؤولية كبيرة للخروج من أزمة الفقر والفساد وعدم المساواة التي يعاني منها الملايين من المسلمين في جميع أنحاء العالم الإسلامي. و علينا أن نبدأ بأنفسنا بأن نعمل و نشجع بعضنا البعض لتحقيق التكافل بين المجتمع كي نبرأ أنفسنا أمام الله تعالى يوم القيامة بأن أعطينا و عدلنا قدر ما استطعنا و هذا أضعف الإيمان[2].

فلو طُبقَت شريعتنا الغراء في هذا المجال لما وجدنا فقيرًا واحدًا في هذه البلاد . . .

---

(1) ناصح علوان. التكافل الاجتماعي في الإسلام دار الطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة ،2001 ص: 86.

(2) لقد استفدت من هذه المعلومات والمصادر من موقع www.neareast.org، وقد تصرفت فيها بما يتلائم مع موضوع بحثي.

وأود أن أذكر شيئاً غريباً في هذا المجال وهو أن كثيراً من مواطني الغرب الأثرياء يتركون ورثتهم إلى (كلابهم وحيواناتهم من الببغاء وغيرها) فأين هؤلاء من الإنسانية وحقوق الإنسان، والضمان الاجتماعي والتكافل الاجتماعي؟ حيث يموت مئات الألوف من الناس في العالم من الفقر والجوع سنوياً، في بلدان العالم.

الآخر: هل لديكم في الإسلام تكافل أدبي وعلمي ودفاعي، وإن كانت تلك الأمور كلها تدخل ضمن التكافل الاجتماعي . . . وهل تشرح لي ذلك؟

المسلم: لا شك أن التكافل يشمل كل زاوية من زوايا حياة الإنسان ويظهر التكافل[1] الذي سألتني عنه وأنواعه هو أصلاً التكافل الأدبي، وهو أن يشعر الفرد بحبه للآخرين وتعاونه معهم في جميع المجالات، لأن هذا التعاون هو الطريق الصحيح لبناء المجتمع الصالح .

الآخر: وهل هناك حديث لرسولكم عَبَّر عن المعنى الدقيق لمفهوم المسؤولية بين أفراد المجتمع الإسلامي؟

قال النّبي ﷺ: **«مثلُ المؤمنين في توادّهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»**[2] وقال أيضاً : **«لا يؤمن أحدكم حتى يُحب لأخيه ما يُحب لنفسهِ»**[3].

ثانياً: التكافل العلمي. هو أن يتعاون أفراد المجتمع على نشر العلم والمعرفة بينهم، ودعا الإسلام إلى طلب العلم وجعل للعلماء منزلة رفيعة في المجتمع، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ فَٱفۡسَحُواْ يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ﴾ [المجادلة: 11] وقال النبي ﷺ: **«العَالِم والمُتعلم شريكان في الأجر ولا خير في سائر الناس»**[4].

وكانت المساجد في التاريخ الإسلامي حافلة بالحركة العلمية، إذ كان العلماء يؤمونها

(1) نظر تفصيل ذلك في كتاب ((اشتراكية الإسلام)) للمرحوم مصطفى السباعي، ص: 180-190.
(2) رواه البخاري ومسلم وأحمد والترمذي.
(3) رواه البخاري ومسلم وأحمد والترمذي.
(4) رواه ابن عبد البر.

لتعليم الناس، وكان طالبو العلم يقصدونها للتزود من العلم والمعرفة، ويعود الفضل في تلك النهضة العلمية التي ظهرت في تاريخنا إلى تلك الحلقات العلمية التي كانت تعقد في المساجد .

ثالثًا: التكافل الدفاعي. وهو شعور الأفراد بمسؤوليتهم عن الدفاع عن بلادهم وأمتهم، ويتمثل هذا التكافل في وقوف الأفراد جميعاً صفًا واحداً لمواجهة المعتدي سواء أكان هذا المعتدي عدواً خارجيًا يهدد البلاد، أو كان عدواً داخليًا متمثلاً في سلطة جائرة أو دعوة هدامة، وفي هذه الحالة أوجب الإسلام على كل فرد أن يتحمل مسؤولية الدفاع عن نفسه وبلده وعقيدته، ويقف في وجه الطغيان أنّى كان مصدره[1].

قال النبي ﷺ: « **مَن رأى مِنكُم مُنكرًا فليُغيرهُ بيده، فإن لم يستطع فبِلسانِهِ، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعفُ الإيمان**»[2] وقد عبَّر الرسول ﷺ عن المعنى الدقيق لمفهوم المسؤولية والتكافل بين أفراد المجتمع الإسلامي بقوله: «**مَثَلُ القائم في حدود الله، والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فصار بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على مَن فوقهم، فقالوا: لو أنّا خرقنا من نصيبنا خرقًا ولم نؤذ من فوقنا، فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعًا، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعًا**»[3].

ولم يكتف الإسلام بما ذكره من صور تبيّن لنا مفهوم التكافل بين الفرد والمجتمع، وإنما أوجب على الأفراد بعض الواجبات لتدعيم الروابط الاجتماعية ولتحقيق التعاون بين الأفراد، ومن هذه الصور: واجب الضيافة، واجب إعارة الماعون، واجب مساعدة ابن السبيل، واجب كفاية الفقراء وقد سبق شرح هذه الواجبات فيما سلف في هذا الموضوع.

---

(1) استفدت في هذا الموضوع من نظام الحكم في الإسلام للدكتور محمد فاروق النبهان 1978، ص: 122-124.

(2) رواه الترمذي.

(3) رواه البخاري والترمذي.

الزكاة وتشويهها من قبل المغرضين والمتحايلين من الآخر- أو من بعض المغفلين عندنا، بأنها ذلٌّ

وهل «التصدق» على الآخرين يعزز الإحساس بالسعادة

دراسة بريطانية حديثة ....

إني هنا أتحدث بصراحة وأقول إذا كانت الدولة تحكم بالإسلام فعلى الدولة جمع الزكاة حالها حال أية ضريبة أخرى، (إذن فالدولة هي التي تتولى إنفاقها بنظام معين والزكاة هنا تتبع ميزانية الدولة بل يجب أن تكون لها إدارة منفصلة، والدولة إذا كانت متسعة الأرجاء فإنها تترك الأمر لحكومات المقاطعات تنظم كل مقاطعة طريق الجمع والتوزيع[1]. أنا لا أدري أين الذلة هنا في نظام كهذا النظام؟ هكذا هو حال المغرضين والمتحايلين الذين يريدون دوماً أن يصوروا صورة واحدة مزورة لشعيرة الزكاة وهي: أن الزكاة هي غني يتصدق أو يتبرع، وفقير يستلم ويشكر!!

ويد عليا مانحة وتحتها يد سفلى آخذة، وجهًا لوجه، بل مباشرة بين فرد وفرد !!...

أيها القارىء أسألك سؤالاً واحداً وأقول: إذا سنّت الدولة قانوناً يجبي مثلاً 2,5 ٪ من كل ثروة كثرت أم قلت، لتكوين جيش، وجعلت هذه الضريبة وقفاً على هذا الباب من أبواب النفقات العامة ... هل يجوز أن نقول: أن الجيش يتسول، وإن كرامتة تستذل؟ لأن الدولة أخذت نفقاته من أموال الأغنياء، فالثري والفقير هنا في أدائها سواء !!... طبعاً الجواب هنا هو: كلا ... إذن فالزكاة ضريبة كهذه الضريبة الآنفة الذكر، تجبيها الحكومة، ثم تنفقها في وجوه معينة تجبيها بشكل عام ثم تنفقها أجزاءً ... هل هذا إحسان فردي يخرج بعينه من يد ليعطى إلى يد؟ .... ربما يقول القارىء إننا نرى أن بعض الناس في أيامنا هذه يخرجون الزكاة من أموالهم، ويوزعونها بأيديهم ...، نعم ولكن هذا الأمر ليس

(1) روح الدين الإسلامي، عفيف عبدالفتاح طيارة 1978.

هو النظام الذي فرضه الإسلام، ولكن هكذا يفعل بعض الناس، ويملكون هذا الطريق المباشر، والسبب واضح لأن الدولة لا تجبي هذه الضريبة بيده، لتنفقها هي بمعرفتها في تلك الوجوه القابلة للتصرف بحسب تغير الأحوال.

وليعلم القارىء العزيز: إن الصدقة تبدأ بمن تعول أمرهم كزوجة و ولد و خادم، أي بمن تجب عليك نفقتهم. وفيه أنَّ الإنفاق على الأهل واجب وهذا باتفاق. واعلم أخي القارىء: أن النفقة والصدقة في الشرع واحد، وهو بذل المال إلى الغير، وإن اشتهر في عوام الناس أن النفقة على الأهل والصدقة على الأجنبي.

عن أبي هريرة ﷺ عن النبيّ ﷺ قال: «**بر الصدقة ما كان عن ظهر غني، وَابْدأ بمن تعول**»[1].

إذن هذا يعني أن هذا النوع من الصدقات يزيد المحبة إذا كان للأقربين، فالرجل الذي يتصدق بماله الزائد عن الحاجة للزوجة والأولاد والخدم، يشعرهم بسعادة، ثم إن الصدقة في هذه الحالة لا تُشْعِر بالذلّ كما تتناقلها ألسنة المغفلين، فالأقربون أولى بالمعروف، إذن هكذا تزيد المحبة بين من يتصدق بماله الزائد عن حاجته إلى الأقربين، وهناك نعمة أخرى للمتصدق وهي أنها تزيد العمر وتدفع عن الإنسان البلاء، حيث قال ﷺ: «**الصدقة تدفع البلاء وتزيد العمر**».

وحتى في النظام الإسلامي ـ أقصد الدولة ـ إذا أخذت الزكاة من الناس و وزعتها ستؤجر عليها ويوفقها الله في حكمها لأنها تؤدي أوتنفذ أمراً إلاهياً لخدمة أبناء شعبها . . . .

هذا وقد أثنى سيدنا محمد ﷺ عندما قال: عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قالَ: «**سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ تَعالَى في ظِلِّهِ يَوْمَ لا ظِلَّ إلاَّ ظِلُّهُ: إمَامٌ عَادِلٌ. وَشَابٌّ نَشَأَ في طاعة اللهِ. وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ في الْمَسَاجِدِ. وَرَجُلاَنِ تَحابَّا في اللهِ اجْتَمَعاَ عَلَيْهِ. وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَ جَمَالٍ فَقَالَ: إنِّي أَخَافُ اللهَ. وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بَصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لاَ تَعْلَمَ شِمالُهُ ما تُنْفِقُ يَمِينُهُ. وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللهَ خَالِياً ففاَضَت عَيناهُ**». رَوَاهُ الخَمْسَةُ إلاَّ أَباَ دَاوودَ وَاللهُ أَعْلَمُ.

هل قرأت أخي القارىء في الحديث الآنف الذكر، كيف أن الرسول ﷺ يصف الرجل

(1) لفظ ظهر زائد للتمكين، فأفضل الصدقة ما كان زائداً عن الحاجة، وابدأ بمن تعول أمرهم كزوجة وولد خادم، أي بمن تجب عليك نفقتهم .

الذي يتصدق بصدقة ويخفيها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه. هذا يعني أن المحتاج هنا لا يعلم حتى من المتصدق، هذا المتصدق هو الشخص الذي يظله الله تعالى يوم القيامة في ظلّه، إذن أين كلام الغَفَلة والمستغفلين الذين يتحدثون عن أن الزكاة إحسان فردي يذِلّ النفوس، ويعوّدُها الاستجداء؟! في حين أنَّ الذي يأخذ الصدقة لا يعلم من أين أتت إليه تلك، ومن منحه، فكيف يستجدي وممن يستجدي إنه إذ لا يعلم من منحه تلك الزكاة. هكذا أوصانا الرسول ﷺ بإعطاء الزكاة، وحذرنا من المنّ وحثنا على إخفاء الصدقة، لأن ثوابها سيزيد في هذه الحالة، وخير دليل على ذلك هو قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ﴾ [البقرة: 264] وقال تعالى أيضاً: ﴿إِن تُبۡدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخۡفُوهَا وَتُؤۡتُوهَا ٱلۡفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۚ﴾ [البقرة: 271] والإخفاء يبعدنا عن الرياء وهذا في صدقة التطوع.

هذا وأود أن أقول إن إظهار دفع الزكاة أفضل أحياناً لئلا يتهم بتركها، وليكون قدوة حَسنة للآخرين. ربما يقول القارىء: لكن هذا يخالف الإخفاء أنا قلت: أن المسلم يدفع الزكاة للدولة ـ لإدارة منفصلة تقوم بجمعها وتوزيعها ـ إذن في هذه الحالة لا تدفع مباشرة إلى الفقير فأين الذل إذن، كما قلت فإن دفعها أحياناً مع إظهارها هو تشجيع للآخرين بدفعها وعدم تركها، والآية الآنفة الذكر صريحة من أن إخفاءها هو خير للمسلمين، ولهذا الإخفاء درجة أعلى وثواب أكثر، لأنه يبعدنا عن الرياء وهذا في صدقة التطوع.

دراسة بريطانية: (التّصَدق) على الآخرين

يعزز الإحساس بالسعادة [1]

واشنطن ــ المصريون (رصد): بتاريخ 22-3-2008

وجد فريق بحثي في كلية هارفارد لإدارة الأعمال بجامعة كولومبيا البريطانية أن إنفاق مبلغ زهيد مثل خمسة دولارات يوميًا على شخص آخر يمكن أن يعزز الإحساس بالسعادة بشكل ملحوظ.

وأظهرت تجاربهم على أكثر من 630 أمريكيًا، ووجدوا أنهم كانوا أكثر سعادة حين أنفقوا المال على الآخرين، حتى إذ كانوا يرون أن إنفاق المال على أنفسهم سيجعلهم أكثر سعادة.

وقالت الاختصاصية النفسية بجامعة كولومبيا البريطانية الدكتورة (إليزابيث دن إن): رغبنا في أن نختبر نظريتنا بشأن كيف ينفق الناس أموالهم وهل ذلك على الأقل بنفس قدر أهمية كمّ المال الذي يكسبونه).

وذكرت في بيان (بغض النظر عن مقدار الدخل الذي حققه كل شخص فإن من أنفقوا المال على الآخرين تحدثوا عن سعادة أكبر في حين أن من أنفقوه على أنفسهم لم يشعروا بنفس القدر من السعادة).

وأجرى فريق (إليزابيث دن إن) أيضًا دراسة مسحية على 16 موظفًا في شركة في (بوسطن) قبل وبعد تلقيهم منحة من الأرباح السنوية تراوحت بين ثلاثة آلاف وثمانية آلاف دولار. وكتبوا في تقريرهم الذي نشر في دورية (ساينس) حيث قالوا: (الموظفون الذين خصصوا قدراً أكبر من المنحة للإنفاق الداعم للعلاقات الاجتماعية شعروا بسعادة أكبر،

(1) المصريون صحيفة مستقلة www.almesryoon.com.

وكانت الطريقة التي أنفقوا بها المنحة مؤشرًا أكثر أهمية لسعادتهم من حجم المنحة نفسها فكيف يا ترى تكون سعادة المسلم إذا تصدق؟ تكون ضعفين لأنه في ذلك إرضاء للخالق أيضاً.

إذن هكذا تُثبت الأبحاث العلمية عظمة هذا الدين شرقاً وغرباً.

وليعلم المارقون المغفلون أن مبلغ الزكاة ليس لتذليل من يأخذونه، بل إن مبلغ الزكاة هو للتخفيف من طغيان رأس المال، لذلك فرضه الإسلام على مالكي الثروات بحيث يتنازلوا عن حصة من ثراوتهم لصالح الطبقة الفقيرة، وهذه الحصَّة أطلق الإسلام عليها اسم (الزكاة). وتُنفَق الزكاة على: الفقراء والمساكين والمثقلين بالدَّيْنِ وعتق الأَرقاء وغيرهم.

مناظرة في جامعة ألمانية - حول تنفيذ الأحكام في الإسلام- بين طالب مسلم وأستاذه (الآخر)...

الآخر: ألا يمكن أن يكون النظام الغربي أو الشرقي (الجاهليين) ـ حسب رأيك كمسلم ـ قبسات أو ضوء أو ومضات خير للمجتمع؟

الطالب: نعم ولكنها لا تطبق إلّا في حالات نادرة. فماذا تُغني لائحة حقوق الإنسان في مكتبة الأمم المتحدة. إذا ساد الشقاء، وعمّ العداء كل أرجاء العالم؟ فالمهم تطبيق النظام. والمهم: أن يملك النظام ضماناً، وأن يكون فيه صلاحية ذلك.

الآخر: يظهر أنك تعني أن سبب عدم إمكانية تطبيق نظم الأرض فيه أمور يجب ان تذكرها لي.

الطالب: نعم إنها أولاً من صنع البشر أنفسهم، وما صنعته يد البشر تنقضه يده أيضاً. ثانياً: أنها لا تصلح في كثير من فروعها للتطبيق. ثالثاً: إنها لا تملك قوة كافية للتطبيق في ذلك، لأنها في الواقع تعتمد على قانون العقوبات· الذي إن كان صحيحاً (وهو غير صحيح)، فهو غير كافٍ لما سيأتي.

الآخر: إنك تعني بذلك أن الإسلام ليس من صنع البشر حتى يملك البشر نقضه، وتقصد أيضاً أنه ليس هناك قوة في الأرض ـ ومنها قوة السلطة ـ تملك تغيير حكم الله.

الطالب: لقد أصبت، فالبشر يشعر بالتفاؤل أمام قانون الله لأنه قد وضع من لدن حكيم عليم.

الآخر: هل إنها صالحة للتطبيق ! وهل طبقت في التاريخ مرات عديدة؟

الطالب: نعم وقد استمد صلاحيته هذه من عدة أسباب:

1 ـ إنه يلائم فطرة الإنسان، فإذا هي تنسجم مع طبيعته انسجامًا عجيبًا. . فهو مثلاً: يحكم بما يهوي إليه العقل، ويشبع رغبة النفس ويسد حاجات الجسم. فالله خالق الإنسان ويعلم ما يشرع لأجل بقاءه وعيشه عيشاً هنيئاً سعيداً.

2 ـ إنه ميسور باعتبار ملاحظته للضعف البشري وليس أدل على ذلك من أن الحكم مرفوع في الدين عن المكره والمضطر والمجنون والصبي والنائم والجاهل كل حكم فيه ضرر أو عسر أو حرج أو اختلال نظام فهو مرفوع.

3 ـ إنه مبسط ويستطيع أقل المسلمين فهمًا أن يطلع على ما يحتاجه من أحكام في عمره خلال أشهر معدودة.

الآخر: هل تمتلك نظمكم قوىً كثيرة صالحة للتطبيق؟

الطالب: نعم، إنها تملك قوى كثيرة للتطبيق، ولابد أن نشير قبل بيان تلك القوى: إلى أن النظام مهما كان شاملاً فإنه يحتاج إلى قوة إجرائية أكبر من النظام نفسه . . . والإسلام بما أنه نظام كامل شامل وفيه مئات الآلاف من الأحكام فإن تنفيذه يدل على أن قواه الإجرائية أكبر وأعظم من كل نظام آخر. . . .

القوى الإجرائية في الإسلام هي:

1 ـ الإيمان.

2 ـ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

3 ـ التربية.

4 ـ العقوبة.

الآخر: هل بوسعك أن تشرح لي تلك القوى الإجرائية بالتفصيل؟

الطالب: نعم وكالآتي:

1 ـ الإيمان . .

والإيمان بالله ـ المحيط علمًا وقدرة ـ وباليوم الآخر الذي يجازي فيه بالخير خيراً وبالشر شراً قوة لا مثيل لها في دفع الفرد إلى عمل الخير وتتميز عن غيرها بأنها:

1 ـ تستطيع أن تهذب النفس من الداخل وتنظم مشاعر الإنسان وتحفظه من الحسد

والحقد والجبن والقلق وما أشبه. فكيف يشقى أفراد مجتمع هذه مشاعرهم نحو بعضهم؟ وكيف يجد القلق ثغرة يمر فيها في قلوب أفرادها؟

2 ـ تتمكن من حفظ الفرد عن الخروج عن أحكام الله حيث لا مراقب ولا دولة ولا جزاء. فهل هذه الدولة تحتاج إلى شرطي و وزارة داخلية، . . . فأين نلقى مجتمعاً كهذه؟

3 ـ إن عمل الخير الصادر عن النفس المؤمنة يكون عملاً متقنًا باعتباره صادرًا عن إرادة الفرد ورغبته وليس كرهًا عليه . . فهل هذا المجتمع بحاجة إلى مراقب أو مفتش على صعيد كل أمر دقيق في المجتمع، فهل المدارس عندئذ بحاجة إلى مفتشين، وهل المعامل الإنتاجية والمصانع بحاجة إلى مراقبين؟؟!! وهل المستشفيات بحاجة إلى مراقبة الأطباء والممرضين؟

وبصورة معكوسة تمامًا نجد القوانين البشرية (الجاهلية):

1 ـ لا تتمكن من تهذيب النفس من الداخل. ولذلك يشيع القلق النفسي في الدول الأوروبية والغربية، حيث تطفح النفوس بالعقد الجنسية والحضارية. فانظر إلى المآسي التي دبَّت في هذه المجتمعات من الكآبة، فالكآبة وصلت حتى إلى تلاميذ المتوسطة وقد بدأوا يتناولون عقاقير ضد الكآبة، كما أنّ الفساد الاجتماعي في هذه البلاد لا يحتاج إلى ذكره بالتفصيل لأن الجميع عارفوه.

2 ـ وهي لا تستطيع أن تنظم سلوك الفرد الداخلي، فلا تستطيع قطع الإجرام الذي كثيرًا ما يكون سرًا. ومن هنا فإن البشر عاجزٌ عن توفير حياة طاهرة من الإجرام لنفسه وإنْ صرف المبالغ الطائلة[1] فإذا كان رقيب المسلم هو الله جل وعلا، فأين يظهر الإجرام؟ وأين نلقى السرقة والكذب والكآبة والقلق في مجتمع مطمئن لا يخشى.

3 ـ وحيث أن الفرد يريد من الداخل الشر ويجبر على عدم فعله من الخارج، فإنه يعيش أزمة داخلية باستمرار وينمو فيه بغض متزايد للشعب والقانون وينتهي بالثورة والتمرد اللذين نجد نماذج منها في دول العالم الراقية اليوم. فهذه الأفراد يشعرون أن حكامهم وملوكهم يعيشون أسعد الناس ولهم ـ لا لغيرهم ـ كل ما يحتاجونه من ملذات الحياة، فكيف لا يبغضون حكامهم وكيف لا يتمردون عليهم؟

---

(1) تصرف الولايات المتحدة في مدينة نيويورك فقط مئة مليون دولار سنويًا للمحافظة على الأمن مع ذلك فإن نسبة الإجرام في اطراد دائم.

2 ـ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . .

صفة الحياة صفة فطرية في الإنسان، ومن هنا فالفرد تابع لمجتمعه وقليلاً ما يخرج عن عاداته التي يعاب من خرج عليها. . . والدين يستخدم هذه الصفة حيث يجعل العمل بأحكام الدين صبغة اجتماعية يعاب من تركها، وتبرز هذه السمة حينما يوصي الدين بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ويفرض على كل مسلم: أن يراقب الناس جميعًا فإذا رأى مروقًا أو خروجًا على حكم ديني أو أخلاقي سارع إلى إنكاره بكل عنف ـ أرأيت كيف يكون حال مجتمع كل أهله رجال أمن وشرطة وأخلاق؟. . فهل مجتمعنا إذن بحاجة إلى أمن وشرطة؟ ومن الطريف أن الأمر بالمعروف قد يكون مأمورا به غدًا من قبل نفس الذي يأمره اليوم . . ذلك لأن المسؤولية في هذا الصدد تجري على الكل بصفة متساوية . . فالمؤمنون يتواصون بالخير . . وهذه القوة لا تبلغ في حجمها القوة الإيمانية ولكنها في نفسها قوة كبيرة إذ أن مراقبة الجماهير أقوى بكثير من مراقبة طائفة خاصة (كرجال الأمن والشرطة) في القانون البشري في حين أنه لا يكلف الشعب مالاً و وقتًا ولا أي شيء آخر.

3 ـ التربيـة . .

والتربية (التي سبق الحديث حولها في فصل إصلاح الناس) وهي مجموعة تعاليم من شأنها تزكية النفس وتطهيرها عن الرذائل، عامل آخر مساعد لإجراء أحكام الدين . .

ومع أن سائر النظم قد استخدمت هذه القوة إلا أن ترابط نظم الدين وتفاعلها مع النفس الإنسانية لا مثيل لها في النظم الأخرى. ولذلك فإن التربية في سائر النظم لا تستطيع خدمة النظم مثلما تفعله في الإسلام، بالإضافة إلى أن التربية الإسلامية تتميز بعدة سمات تجعلها أقوى من غيرها:

1 ـ استخدام كافة الطاقات الكامنة في جوهر الإنسان كالعاطفة والعقل وحب الذات وحب الأقرباء وهكذا . . وعلى سبيل المثال وليس الحصر، لم أَر في المانيا طيلة سنوات دراستي شيخاً أو عجوزاً إلّا ويشكو من ضعف صلة قرابة أولاده به.

2 ـ تقوية أواصر الأسرة والقرابة مما تؤثر في انطباع الأفراد بخلقهم. وهو كما ذكرته في النقطة (1)، فالمسلم الصحيح له رابطة قوية لا مثيل لها بالوالدين وإخوانه وبقية قرابته، هكذا هي تربية الإسلام . . . وأنا شخصياً كنت أتمنى أن أموت قبل والديّ من شدة محبتي إليهما.

3 ـ تنقية الجو المحيط بالأطفال بحيث يجعل الطفل لا يفكر مجرد تفكير في الجريمة. وقد لا نستطيع أن نعرف مدى تأثير التربية في تطهير نفس المؤمن وعمله من الرذيلة والجريمة. ولكن الواضح: أن لها تأثيرًا بالغًا جداً. فتربية الفرد تربية في رحاب الدين ومحبة الله ورسوله ومخافتهما، تخلق مجتمعاً خالياً من الجرائم بكافة أشكالها . . . إذن هذا هو الإسلام الذي يحاربنا به الآخر لكي لا نتطور ولا نتقدم في كافة ميادين الحياة، ولكي لا تعود حضارتنا التي نتباهى بها.

4 ـ **العقوبة** . .

والعقوبة المفروضة في الإسلام . . ليست فقط تكميلاً لنواقص الإنسان بل إنها حصن منيع للمجتمع عن الجريمة أيضًا.

والعقوبات الإسلامية التي تشمل كلاً من الحدود والقصاص والديات تتميز بالسمات التالية:

1 ـ أنها لا تثبت بشبهة أو سوء ظن، بل تدرأ بالشبهات[1].

2 ـ عندما تتحقق الجريمة دون أن يرافقها حالة من حالات التخفيف القائمة على أية شبهة من الشبهات ، فإن الإسلام يقرر تنفيذ العقوبة وإقامة الحد الزاجر الرادع، مع التشهير به في مشهد عام من المسلمين، ليكون ذلك عبرة لمن يعتبر.

3 ـ الإسلام يراعي حالة فقدان المسؤولية العقلية،أو فقدان المسؤولية الإرادية، فمتى ارتفعت المسؤولية العقلية ارتفعت معها أحكام الحدود، ومتى ارتفعت المسؤولية الإرادية قامت الشبهة التي تدرأ الحد. ومن فقدان المسؤولية الإرادية في السرقة أن يأخذ الإنسان شيئاً من مكان يقع في وهم الناس أن الأخذ منه يكون من باب اللقطة لا من باب السرقة ، أو يأخذ من مال وهو يظن أنه مباح له.

4 ـ بما أن الجريمة يجب أن تحسم مادتها بعزم وإصرار فإن الإسلام يضع عقوبات مناسبة لكل جريمة دون أن يرحم المجرم . . ومن هنا كان قطع اليد والإعدام والقصاص في النفس والأطراف مشروعًا في الإسلام.

---

(1) قال الرسول ﷺ: «**تدرء الحدود بالشُبهات**».

وقد ثبت أن وضع هذه القوانين الحاسمة هو العلاج الوحيد لقطع دابر الجريمة. وأن تماهُل القوانين الأخرى[1] حول الجريمة هي التي سببت ازدياد نسبة الجريمة في كل بلاد العالم . . . في حين أن انحسام مادة الجريمة عن المجتمع الإسلامي كان مسببًا نوعًا ما عن هذه العقوبات.

(1) كالقانون السويسري الذي أثار سخط كل الشعب حيث دفع إلى تحدي المجرمين وازدياد الجريمة في البلاد. ـ استفاد الطالب المسلم بصورة رئيسة في هذا الموضوع الذي حاوره به الألماني في حينه من كتاب(الفكر الإسلامي مواجهة حضارية)، محمد تقي المدرسي، 1412هـ، ص: 453-457 بتصرف بين حين وآخر. كما استفاد المحاضر من كتاب : روح الدين الإسلامي، د. عفيف عبدالفتاح طبارة 1978، وكتاب أجنحة المكر الثلاثة، للدكتور عبد الرحمٰن حسن حبنكة الميداني.

obeikandi.com

جريمة القتل وعقابها

هل تنفيذها صحيح كما جاء في شرعنا؟

أم أن الآخر على صواب في انتقادنا؟

دعني أيها القارىء أن أعطي تفصيلاً أكثر للنقطة الرابعة في الموضوع الآنف الذكر وكالآتي:

ربما يقول قائل: لماذا تكون عقوبة القتل المتعمد هو القتل وليس سجناً أبدياً.

أقول ما هو سبب حكم القاتل في الإسلام؟ إذا لم يُقتل القاتل أمام مرئى ومشهد من الناس، فحتماً هناك آلاف المجرمين الذين ينوون قتل الناس ـ لأي سبب كان ـ ولكن عندما يشهدون أمام أعينهم كيف أن القاتل يقتل فهذا الحكم يصبح لهم عبرة، فيهابون من هذه العقوبة، ولكن لا يهابون من العقوبات الأخرى كالسجن المؤبد، لأن الذي ينوي قتل أحد، لا يشعر بشعور القاتل المجرم المسجون، أما عندما يرى تنفيذ الحكم أمامه و أمام مرئى من الناس، يذكّره هذا التنفيذ في الحكم فيتراجع إذا كان ينوي القتل، فيخشى أن يفعل ذلك لشدة العقوبة التي تودي بحياته، ولا شك أنّ ذلك يشوه سمعته وسمعة أولاده وعائلته إن فعله، ثم إنَّ قتلَ القاتل يراه ويسمع به كل الناس فهذا أمر يؤثر في نفسية الذي ينوي القتل، فكيف يجوز أن يقتل إنساناً ثم يقتل هو أمام أعين جماهيره ويشوه سمعته وسمعة عائلته، إذن هذا الأمر يكون عبرة له فيتخوف من تلك العقوبة، بينما القاتل الذي يسجن لا يشعر بمأساته من هو خارج السجن وله نية قتل شخص ما، ثم إذا كان حكم القاتل منحصراً بالسجن ـ كما في أكثر الدول الغربية ـ يقول الذي ينوي جريمة القتل في هذه الحال: إذا قتلت شخصاً لأجل شيء ما ـ أيا كان ـ فبسيطة . . . فلا أعدم بل أُسجن لسنوات وبعدها سأخرج من السجن .إذن هل السجن عبرة للقاتل ومن ينويه في هذه الحالة؟

ولعلمك أخي القارىء أن حكم الإعدام لا زال جارياً في بعض ولايات أمريكا، في الوقت الذي كانت المحكمة العليا للدولة قد ألغته في السبعينات.

أما ألمانيا التي كانت قد ألغت حكم الإعدام في الماضي فإنها الآن تفكر بإعادته للإرهابين ـ على حد قولها ـ، إذن هكذا هو قضاؤنا الذي إذا كان بيد البشر فلا يُفيد، لأن قانوناً يضعه البشر للبشر ناقص، لذلك يجب أن يكون واضعه خالقه لأنه هو عالم بذلك ويعلم ما يجول في نفسه ويجب العودة إلى قضاء الله.

obeikandl.com

مقارنة بين مؤيدي تنفيذ الإعدام ومعارضيه

أليس المؤيدون لذلك العقاب منصِفون؟

وأخيراً أود أن أبين للقارىء الكريم حجج المعارضين لعقوبة الإعدام والمؤيدين لها. فليكن القارىء منصفاً في كل نقطة ليرى أنه مهما قيل بشأن الإعدام فإنها دون أدنى شك تعدّ صمام أمن في التشريع لردع من تسوّل لهم أنفسهم بارتكاب أشد الجرائم خطورة في المجتمع لما لها من أثر شديد مانع من الإجرام ولا سيما إذ يتم تنفيذها علانية ليكون ذلك أجدى في الردع والإرهاب امتثالاً لقول الله ﷻ : ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور:2] هذا علمَ بأني سأعلق بين حين وآخر على كل نقطة من النقاط ومدافعاً عن مؤيدي تلك العقوبة وبشكل شبه حوار وكالآتي:

1 ـ الاتجاه المعارض :

إن الذي يهب الحياة للبشر هو الله ﷻ وليس من حق الدولة سلب هذه الحياة من مواطنيها مهما كانت جسامة أفعالهم، وقد أنكر (بكاريا) على الدولة منحها هذا الحق لنفسها في ذبح الآخرين[1].

الاتجاه المؤيد:

يقول المؤيدون للإبقاء على عقوبة الإعدام رداً على المعارضين لها أنه إذا كانت الحياة هبة من الله ﷻ فإن الحرية هبة منه أيضاً وليست هبة من المجتمع، وإن الإنسان له الحق في الحرية كما له الحق في الحياة، وهذا يقود إلى ضرورة إلغاء العقوبات السالبة للحرية أيضاً، مما يترتب عليه تعطيل حق الدولة في توقيع أية عقوبة على أفراد المجتمع[2].

---

(1) عمارالحسيني، وظائف العقوبة، دراسة مقارنة بين الشريعة الإسلامية والقانون الوضعي، رسالة دكتوراه مقدمة للجامعة، النهرين 2005.

(2) د. علي عبد القادر القهوجي، شرح قانون العقوبات القسم العام - منشورات الحلبي الحقوقية، بيروت 2002، ص: 762.

وأود التعليق على الاتجاه المعارض وأقول:

إذا كان معارضو هذا الحكم يقولون أن الحياة هبة من الله عز وجل إذن فلماذا لا يقبلون بتطبيق شريعة القصاص على المجرمين بكل معنى الكلمة، فالحد هنا من الله عز وجل

2-الاتجاه المعارض:

لا يمكن تفادي الخطأ في تنفيذ هذه العقوبة وإصلاح آثارها، فإذا ظهر بعد التنفيذ ما يدل على وقوع خطأ قضائي - والخطأ من طبائع البشر - فإنه لا يمكن إصلاح هذا الخطأ بعد فوات الأوان[1]، وهناك الكثير من الوقائع التاريخية التي أثبتت خطأ العدالة في إعدام أشخاص ظهرت براءتهم بعد تنفيذ عقوبة الإعدام فيهم[2].

الاتجاه المؤيد:

إن مقولة عدم إمكانية تفادي عقوبة الإعدام إذا ما نفذت خطأ على المحكوم عليه فهي وإن كانت من أقوى الحجج التي يتذرع بها أنصار الاتجاه المعارض لهذه العقوبة، فهي لا تقتصر على عقوبة الإعدام وحدها، وإنما تنطبق أيضاً على العقوبات السالبة للحرية التي ينتج عنها أيضاً ضرراً غير قابل للإصلاح. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى: فإن الحكم بهذه العقوبة يحاط بضمانات عدة يجعل الوقوع في خطأ الحكم بها أمراً مستبعداً، فإذا لم يتوافر لدى القاضي أدلة الإدانة الكافية للحكم بها فإن عليه التذرع بالأسباب التقديرية المخففة ليتجنب النطق بها، ومن ناحية ثالثة فإن الخطأ من سمات البشر فإذا كانت الأحكام التي يحكم بها بالإعدام على أبرياء من الندرة فإن هناك أخطاء بشرية أكثر منها ذيوعاً وانتشاراً كالأخطاء الطبية والعلاجية والتي تؤدي إلى وفاة بعض الأشخاص ومع هذا لم نسمع أحداً ينادي بإلغاء العمليات الجراحية أو العلاجات الطبية[3].

---

(1) الأستاذ جندي عبد الملك، الموسوعة الجنائية، ج5، دار العلم للملايين، بيروت، بلا سنة نشر، ص: 43.

(2) عدنان الدوري، علم العقاب، ومعاملة المذنبين، ط، ذات السلاسل، الكويت، 1989، ص: 183.

(3) الاستاذ جندي عبد الملك، الموسوعة الجنائية، ج5، دار العلم للملايين، بيروت، بلا سنة نشر، ص: 43.

3 ـ الاتجاه المعارض :

هذه العقوبة لا تحقق مطلب الردع العام ـ ومن وجهة نظر أنصار هذا الاتجاه ـ لعدم وجود دليل علمي على انخفاض نسبة الإجرام في البلدان التي ألغت هذه العقوبة في الوقت الذي تشير فيه بعض الإحصائيات إلى ارتفاع معدلات الإجرام بعد العودة إليها، وأشارت إحصائية أجريت في إنجلترا أن (250) مجرماً أعدموا في أوائل القرن العشرين كان من بينهم (170) مجرماً سبق لهم أن شاهدوا تنفيذ عقوبة الإعدام بغيرهم مرة أو مرتين، مما يدلل على عدم فاعلية هذه العقوبة في تحقيق الردع العام لدى العديد من النماذج الإجرامية[1].

الاتجاه المؤيد :

تُعد هذه العقوبة أكثر العقوبات تحقيقاً للردع العام، وصدق المولى ﷻ إذا يقول: ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة:179] وكون هذه العقوبة تهدد حق الإنسان في حياته وهو أغلى ما يحرص عليه، فإن التهديد بها ذو أثر فعّال في مكافحة الإجرام، والمحافظة على النظام الاجتماعي بصرف الأفراد عن الإقدام على الجرائم التي تستوجب عقوبتها الإعدام، فالمعرفة المسبقة بالعقوبة على الفعل تمنع الفرد من الإقدام عليه، ولا سيما إذا كانت العقوبة جسيمة كالإعدام، فمن يريد القتل فإنه سيكف عنه متى علم أنه سيقتل، وبهذا تتحقق الحياة التي هي مطلوب الشرع من أعمال القصاص.

وتعليقي على الإحصاء الذي أُجريَ في إنجلترا هو:

هل بالإمكان إحصاء الأفراد الذين شاهدوا تنفيذ عقوبة الإعدام وبيان أثر ذلك فيهم وتهديد مشاعرهم وحقوقهم من التفكير حتى في جريمة القتل في المستقبل وليس في تنفيذها، إذن هذه الفئة التي أثر في مشارعهم تنفيذ عقوبة الإعدام على الجرائم التي تستوجبها الإعدام لا يمكن أن يقوموا بمثل هذه الجريمة ولا يمكن إحصائهم، حيث أن المعرفة المسبقة بالعقوبة على الفعل تمنع الفرد من الإقدام عليه، ولا سيما إذا كانت العقوبة كالإعدام.

4 ـ الاتجاه المعارض :

إن عقوبة الإعدام تتعارض مع فكرة إصلاح المجرم وإعادة تأهيله وهي بهذا تهدر

(1) د. عمار الحسيني، وظائف العقوبة، المرجع السابق، ص: 123.

الهدف الإصلاحي للعقوبة، ذلك الهدف الرئيس الذي لا يمكن التغاضي عنه في علم العقاب المعاصر[1].

الاتجاه المؤيد :

يريد مؤيدو هذا الاتجاه على مقولة تعارض هذه العقوبة مع فكرة إصلاح المجرم وإعادة تأهليه، بأنها تقوم على الإسراف بالتفاؤل، وحسن الظن المفرط بالطبيعة البشرية، لأنه إذا تبيّن بعد فحص شخصية المجرم مدى خطورته الإجرامية التي يهدّد بها المجتمع مع التفاؤل في احتمال إصلاحه وتأهيله فمن الخطأ تجاهل هذه الحقائق والاستناد إلى افتراض قابليته للإصلاح والتأهيل هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإنه فيما لو أُلغيت هذه العقوبة وتمّ استبدالها بعقوبة سالبة للحرية مدى الحياة، فإن محاولات الإصلاح لو أثمرت فلن تجد نفعاً لعدم عودته إلى المجتمع ثانية، لأن هذه العقوبة تفترض وجوده وبقاءه في المؤسسة العقابية مدى حياته، وبذلك تكون هذه العقوبة أشد قسوة من عقوبة الإعدام[2].

5 ـ الاتجاه المعارض :

يقول أنصار هذا الاتجاه أن هذه العقوبة نظراً لما تتسم به من القسوة تشمئز منها النفوس، ويتأذى منها الشعور الاجتماعي وهي في حقيقتها قتل منظم ـ كما يقول (بكاريا) ـ ولا تفترق عن سائر أنواع القتل الأخرى سوى تنظيم القانون لها، وتنفيذ الدولة لها على شخص لا حول ولا قوة أمامها، فهو غدا في غاية الضعف والعجز على خلاف ما كان عليه الحال وقت ارتكابه الجريمة[3].

الاتجاه المؤيد :

أما القول بأن عقوبة الإعدام منفرة ويتأذى منها الشعور العام فهذه الحجة ـ من وجهة نظر أنصار هذا الاتجاه ـ عاطفية ولا تقوى على الصمود أمام ضرورات الدفاع عن المجتمع ومصالحه وسلامة أمنه الذي يبرر وجود هذه العقوبة، كما أنه في حالة إلغاء هذه العقوبة قد تتطلب ضرورات الدفاع الاجتماعية اللجوء إلى عقوبات أخرى سالبة للحرية طويلة الأمد وهي أكثر قسوة

---

(1) د. سليمان عبدالمنعم، النظرية العامة لقانون العقوبات، منشورات الحلبي الحقوقية، بيروت، 2003، ص: 740.

(2) د. محمود نجيب حسني، شرح قانون العقوبات اللبناني، القسم العام، منشورات الحلبي الحقوقية، بيروت 1958، ص: 978.

(3) د. محمود نجيب حسني - المصدر السابق ذكره - ص: 974.

وأشد إيذاء للشعور من عقوبة الإعدام، فضلاً عن أن الشعور العام لا يفزع ويتأذى من توقيع هذه العقوبة بقدر الفزع الذي ينتابه من الجريمة التي أدت إلى توقيع العقاب على مرتكبها، ولا يتحول هذا الفزع إلى أمن واستقرار إلا إذا تم تطبيق عقوبة الإعدام فعلاً على الجاني[1].

6 ـ الاتجاه المعارض:

عقوبة الإعدام غير يقينية بالقول لأنها قلّما تنفذ حتى في البلدان التي أبقت عليها فالشهود إذا عرفوا أن عقوبة الإعدام هي التي سيحكم بها على الجاني قد يعزفون عن شهادتهم، ولا يميل القضاء إلى الحكم بها خشية الخطأ، وفي أحوال أخرى قد يعفو رئيس الدولة عن المجرم المحكوم عليه بهذه العقوبة أو يستبدلها بعقوبة أخرى[2].

الاتجاه المؤيد :

يُردّ على من يرى أن عقوبة الإعدام غير يقينية بالقول إنها يقينية وإنها العقوبة الوحيدة المؤكدة، إذ إن عقوبة سلب الحرية التي يرى البعض إنها بديلاً لعقوبة الإعدام ليست مؤكدة لاحتمال هروب السجين من سجنه أو احتمال إطلاق سراحه بالعفو أو بالإفراج الشرطي[3]، كما أن القاضي لا يجد حرجاً من النطق بها متى استوثق من قوة أدلة إدانة الجاني، واستبعد ظهور أدلة جديدة من شأنها أن تقود إلى براءته، ويجدر برئيس الدولة أيضاً أن لا يجعل من سلطته في العفو الخاص وسيلة لتفادي تنفيذ الإعدام إلا في أضيق الحدود وبما لا يتعارض مع مصلحة المجتمع[4].

7- الاتجاه المعارض :

إن الإجراءات القانونية والإدارية التي تجيز تنفيذ عقوبة الإعدام تستغرق وقتاً طويلاً يفصل بين الوقت الذي ارتكبت فيه الجريمة وبين موعد تنفيذ هذه العقوبة، الأمر الذي يترتب عليه فقدان عقوبة الإعدام أهميتها وفاعليتها الرادعة من الناحية الواقعية[5].

---

(1) د. فتوح الشاذلي، أساسيات علم الإجرام والعقاب، منشورات الحلبي الحقوقية، لبنان، 2006، ص: 404.

(2) د. عبود السراج، علم الإجرام والعقاب، ط 2، ذات السلاسل، الكويت، 1990، ص: 419.

(3) د. عدنان الدوري، علم العقاب ومعاملة المذنبين، ط1، ذات السلاسل، الكويت، 1989، ص: 183.

(4) د. محمود نجيب حسني، شرح قانون العقوبات اللبناني، مرجع سابق، ص: 980.

(5) د. عدنان الدوري، علم العقاب ومعاملة المذنبين، المرجع السابق ص: 184، هذا وقد استفدت من المصادر التي ذكرتها في هذا الموضوع من كتاب مبادىء علم العقاب للدكتور محمد عبد الله الوريكات أستاذ القانون الجنائي المساعد في كلية الحقوق- جامعة عمان الأهلية .

الاتجاه المؤيد:

لا شك أن التأني في إجراءات تنفيذ عقوبة الإعدام قد يفسح المجال لظهور أدلة جديدة تثبت براءة المحكوم عليه بها، أو تجعله جديراً بعقوبة أخف منها، كما أن هذه الإجراءات والتي تعدّ في حقيقتها ضمانة لحسن تطبيق هذه العقوبة فهي وإن استغرقت وقتاً زمنياً طويلاً فلا تنفي الخوف الذي يختلج قلوب الأفراد منها متى كانت محققة التطبيق.

أيها القارىء الكريم ماذا تقول حول الاتجاهين؟ أيهما تختار، ألا ترى أن عقوبة الإعدام ضرورية وأنها تطبيق لشريعة القصاص، حيث ورد النص عليها في شريعتنا الغراء وفي الشرائع السماوية من قبل، وإزاء هذا الأمر لا يملك العبد منازعة المعبود بما أقرَّ وأراد . . .

ومن ناحية أخرى، ألا يرى القارىء العزيز وجاهة الأسانيد التي يدلي بها أصحاب الاتجاه لعقوبة الإعدام.

obeikandl.com

عقوبة السَّرقة وهل يرضى بها الآخر؟

كلّا....وهل من حقه ذلك ؟

ربما هناك كثير من الناس ينتقدون قطع يد أو أصابع السارق، لكن هنا أود أن أقول إذا كان السارق مسبقاً يعرف الحكم القاسي إذا ما سرق وفعله، أرى أنه يستحقه، ولكن متى يجب أن ينفذ الحكم بهذا الشكل، لي رأي في ذلك فأرى من المفروض أن تكون الحكومة مسؤولة عن كل ما يدور حول هذا الموضوع. فإذا كان بيت المال يوزع أموال المسلمين بشكل يتساوى فيه الكل بحيث لا يبقى فقير بمعنى الكلمة في المجتمع، ، فلماذا يسرق الناس، وإذا سرقوا فليأخذوا جزاءهم العادل في ذلك الحين، ولكن يا ترى هل معظم حكوماتنا في دولنا الإسلامية تهمهم هذه الأمور؟ وهل يوزعون أموال الشعب بالتساوي على شعوبهم؟ أم تذهب الأموال في جيوبهم بل في جيوب عوائلهم وأولادهم، وينطبق هذا الأمر خاصة على قيادات تنادي بالقومية والتحرير وغير ذلك من الشعارات التي تخدع كثيراً من المسلمين . . . مع الأسف فكيف لا تنتشر الجرائم كالسرقة، والقتل والسطو والخ . . ، والأموال ليست للشعب.

ولي في الواقع توضيح بل وتعليق على موضوع السرقة وعقوباتها وكالآتي:

ما رأي القارىء العزيز في أنه يتم، وقد تم بتر أيادي وأرجل بل وأطراف عشرات الألوف من النساء والشيوخ والأطفال في العالم نتيجة انفجار الألغام المزروعة في معظم دول العالم وخاصة الدول النامية و الفقيرة، فهذه أفغانستان، وتلك أفريقيا، والصومال، ولبنان بل والعراق ـ لكن الغرب يبكي على بتر يد سارق مجرم ـ قل لي عزيزي القارئ: من ممول العالم بكل هذه الألغام؟ من مُصدِّرُ كل هذه الألغام ؟ من يتاجر بهذه الألغام؟ بل من يبيع إلى تلك الدول هذه الألغام؟ لا ريب أن أسعار شرائها رخيصة جداً قد يبلغ دولارين أو عدة دولارات، ولكن إزالة تلك الألغام مكلفة للغأية، فعلُ مَن كل هذه الأمور؟ ذنب مَن بتر كل تلك الأعضاء؟! وهل الذين يُبتر أعضاؤهم هم مجرمون؟ كلا، والله جميعهم أبرياء، فهذه

لبنان، تسمع بين فترة وأخرى قد انفجر لغم فقتلَ صبياً أو شيخاً، أو امرأةً، أو مزارعاً، أو راعٍ. يا ترى من المسؤول عن هذه الجرائم التي ترتكب ضد هولاء الأبرياء؟ من العجب أن لا يكون بتر أطراف الأبرياء بالألغام جريمة بل قطع يد سارق - يسرق أموال الناس بغير حق ويأخذ أَموال الناس خفية ويعتدي على صاحب المال في غفلته، وهو جبان في اعتدائه، يستلب منه أعز شيء لديه بعد حياته، وقد يرتكب جريمة القتل مع السرقة، بل كثيراً ما تقع هذه الجريمة الكبرى كوسيلة يتذرع بها السارق إلى إتمام سرقته والفرار من تبعاتها فيقتل من غير تمييز - جريمة، هل قطع يد السارق إذن جريمة أم عقاب به يُؤدَّب كل من ينوي السرقة فيما بعد؟ دعنا نقول: إذا كانت عقوبة السرقة هي الحبس كما تفعل القوانين الوضعية فهل ينزجر بها ويرتدع؟ وهل يا ترى يتحقق بذلك الأمن على النفوس والأموال؟ كلا . . . ولهذا نرى السرقات لا تقل ولا تنقطع في مجتمعات لا تطبق حكم الخالق، بل تكثر فيها السرقة لأن العقوبة غير زاجرة، ومن ثم نرى اللصوص في هذا العصر ينظمون أنفسهم ويكوِّنون عصابات قوية مسلحة كأنها حكومة داخل حكومة كما نشاهد في أمريكا، وكولومبيا وغيرهما من الدول، وكثيراً ما تعرض في التلفزة تلك الجرائم الحقيقية وقد تم تصوير تلك الجرائم بالكاميرات، وكثيراً من تلك السرقات تؤدي في كثير من الأحيان إلى قتل بائعات مسكينات أو موظفين وموظفات في البنوك الأمريكية.

أرأيت أخي القارىء لو كانت عقوبة هذه السرقات قطع الأيادي لانتهت المشكلة وكان الردع في أوجهه، فلو طبق الشرع الإسلامي في السرقة سنقلع الشر من أصله كما نشاهد آثار ذلك والحق يقال - في المملكة العربية السعودية - ولولا ذلك التطبيق لما اطمئن فيها مقيم على نفسه وعلى ماله، ولكن بتنفيذ الحدود الشرعية، قد أُمِن من تكرار هذه الجريمة، ومن جهة أخرى أسأل وأقول أين المسؤول عن بتر أطراف الأبرياء في أكثر مناطق العالم نتيجة زرع الألغام وكأن المجرم مجهول؟ أليس الآخر هو المسؤول؟ إذن لماذا يتباكى الآخر - الدول الكبرى - على قطع يد سارق مجرم كما جاء وصفه آنفاً وهو خطر على المجتمع ككل، من يبكي يا ترى على بتر أطراف عشرات الألوف من الناس في العالم أجمع نتيجة زرع الألغام هنا وهناك، والغريب أن الناس بصورة عامة لا يتحدثون ولا يذكرون حتى من المسؤول الأَوحد في تلك الجرائم التي يرتكبها الآخر وهو البائع الأوحد لتلك الألغام. . . عجيب خداع الآخر للعالم، بل عجيبة وسائل إعلام الآخر؟!!.

وإذا عدنا إلى (تقرير المرصد العالمي للألغام سنة 2003)[1]، يوضح هذا التقرير بوجود أكثر من (119) مليون لغم مزروع في أراضي (71) دولة في العالم، وتعتبر أكثر من (15) دولة مشلولة بسبب وجود آفة الألغام فيها. ويوجد في العالم ما معدله لغمٌ واحد لكل (16) طفلاً، أي لغم واحد لكل (48) فرداً من سكان العالم. هذا علماً بأن الألغام أرخص الأسلحة وأكثرها فعالية. تقتل الألغام شهرياً (800) شخصًا وتجرح حوالي (1200) فردًا في أماكن شتى في العالم، أي ما معدله (2000) إصابة في الشهر، أي إصابة واحدة كل (20) دقيقة. إنَّ ما يزيد على الثلث من مصابي الألغام يتم بتر أحد أطرافهم على الأقل، وإن عدد الضحايا الذين سقطوا خلال الستين سنة المنصرمة بسبب الألغام يفوق عدد ضحايا الأسلحة النووية والكيميائية مجتمعة.

قلنا آنفًا أن هناك (2000) فرد يقتلون أو تتم إصابتهم أو بتر أحد أطرافهم شهرياً، يا ترى من المسؤول عن هذا، أليس الآخر هو المنتج لتلك الألغام ويبيعه بأرخص الأثمان ويُقتل أو يبتر أحد أطراف ذلك العدد الضخم شهرياً، مسؤولية من كل هذا؟ فعل من كل ذلك، في الوقت الذي نرى الآخر يتباكى على بتر سارق مجرم يسطو على من لا ذنب لهم ويُحرم الأمن من الناس، علماً بأنه لو نفّذت تلك العقوبة في كل دولنا الإسلامية لما وصل إلى (100) شخص في السنة وربما قلَّ ذلك العدد أو انعدم على المدى الطويل إذا تم تطبيقها، فيقل ذلك العدد على المدى الطويل أكثر فأكثر لأن من ينوي السرقة يخشى من العقاب ولا يقترب منها. في الوقت الذي تعتبر كل المجتمعات السرقة جريمة، ولكن ما ذنب الذي يتم بتر أطرافه أو يقتل نتيجة لانفجار لغم وهو بريء،مع كل ذلك، فقليلاً ما يتم الإشارة إلى الدول التي تصدِّر تلك الألغام وكأن مصدِّروها مجهولو الهوية . . . بعد كل هذا هل الذي يتباكى من الآخر على حد السرقة، أَصادقٌ هو قوله؟! أم هو رياء وحقد على ديننا وسفالة منه؟!! وهل يكف الآخر عن زرع الألغام ضد الأبرياء؟ الجواب الآتي يوضح كل شيء: إنه مقابل نزع (100) لغم يتم زرع مليوني لغم سنوياً.

وبعد عرض ما جاء آنفاً حول السبب الحقيقي في سن العقوبات الجنائية في الإسلام في حالات القتل والزنى والسرقة، رضي الآخر بعقوبة السرقة في ديننا ـ وهي امرأة ألمانية

---

(1) www.kkmoq.gove.sa.

الجنـــية ـ عندما فسّرتُ لها سبب الحكم وقالت: دينكم على حق، لكن متى؟ بعدما قصَّت عليَّ حادثة سرقة حصلت معها وكالآتي:

سرقت شيئًا نفيسًا من دار مساعدة مختبر ألمانية كانت تعمل في مختبري في ألمانيا، جامعة شتوتجارت. وكانت هذه السيدة تناقشني على حدود السرقة في الإسلام قبل ذلك، وتنتقدنا كمسلمين، ولكن بعد أن سرقت منها ذلك الشيء النفيس، قلت لها: ماذا لو وجدتِ السارق، قالت: أقتله . . . قلت: والله شرعنا لا يقتله بل إذا ثبت أن تلك السرقة لها مبررات اجتماعية أو فردية تضطره أو تجبره على هذه الفعلة فلا عقوبة، وإذا لم يثبت ذلك أي لم يكن هناك مبررات للسرقة ففي ذلك الحين يطبق عليه الحدود كقطع اليد. . . قالت السيدة: لقد غلبتني هذه المرة وابتسمت.

الغرب ينتقد عقوبة الزنى في الإسلام

هل يَحقُ له ذلك، أم هو على صواب؟

سؤال نسمعه من الآخر مراراً وتكراراً . . . لكي يكون القارىء ملماً بصورة مختصرة بعقوبة الزنى، أود أن أوضح مقدمة صغيرة حول هذه العقوبة، ثم أدخل في مناقشة مستفيضة في هذا الموضوع الشائك عند الآخر .

قال تعالى في كتابه العزيز: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور:2].

أما المحصنة والمحصن فجزاؤهما الإعدام رجماً، لقول النبي ﷺ: «**لا يحل دم امرىء مسلم إلَّا بإحدى ثلاث: كُفرٌ بعد إيمان، وَزِناً بعد إحصان، وقتل نفس بغير حق**» وعقوبة الزنا منوطةٍ في الواقع بإقرار الزاني، فإذا لم يقر فإنه لا يمكن إثبات الزنا عليه بالبينة، والبينة لا تثبت إلا بأربعة شهود عدول يرون حقيقة الزنا بالفعل، وذلك إن لم يكن محالاً فهو متعسر، كما أن هؤلاء الشهود الأربعة إذا أَخَلَّ واحد منهم في أداء الشهادة يتعرض الثلاثة الباقون لعقوبة القذف وهي ثمانون جلدة. والحكمة من هذا التشديد في إثبات هذه الجريمة كي لا يجرؤ الناس على اتهام بعضهم بعضاً دون مبالاة .

ومن يتتبع حالات رَجم الزاني في عهد النبي ﷺ وأتباعه يجد أن الحد وقع باعتراف الزاني لا بشهادة الشهود الأربعة، حتى أن المعترف بالزنا والذي كان النبي ﷺ يحقق معه سائلاً إياه أسئلة متعددة، حتى يتبين حقيقة اعترافه ليخفف عنه الحد بشبهة ترد في اعترافه، فكان يقول ﷺ له: «**لعلك قَبَّلْتَ، لعلك لامستَ**» فكأنَّ هذه العقوبة لا تنفذ إلَّا على من أراد أن يطهر نفسه من هذه الفاحشة.

انظر أخي القارىء إلى مساوىء وخطورة الزنى على عوائل الزاني والزانية من النواحي الاجتماعية والنفسية وحتى الصحية، ثم قَرِّر إن كانت فعلاً العقوبة التي وضعها الشرع للزاني عقوبة مستحقة أم غير مستحقة.

نحن في المجتمع الشرقي نعلم جيداً أن الزانية إذا ثبت بأنها فعلاً زانية، فيا ترى ماذا يقع على عائلتها من سمعة سيئة. فلا أحد يتقرب بالزواج من قريباتها وربما حتى أقربائها من الدرجة الثالثة، نبدأ بأختها وبنات عمتها وبنات خالها أو خالتها وبنات عمها فلا تجد أحداً يتقدم إليهن بالزواج، أليس أيها القارىء هذه أكبر مصيبة على الإطلاق تقع على هذه العائلة، إذ تبقى بنات معظم بل جميع أقربائها محرومات من الزواج وربما مدى الحياة . . . . إذن ألا يستحق أن تشرَّع عقوبة شديدة للزنى ـ كرجم الزاني ـ لكي لا يتجرأ أحد على القيام بهذا الفعل. إذن يعدُّ هذا التشريع صيانة لسمعة العوائل، و ما ذنب أقرباء الزانية ببقائهن عانسات إلى الأبد. هذا بالإضافة إلى سمعة إخوان الزانية وأقربائها المقربين من الرجال ستؤثر هذه الفعلة الشنيعة فيهم وفي سمعتهم جميعاً. هذا الفعل الشنيع قد يكون سبباً في أن لا يتزوج بأخ الزانية بنت على الإطلاق، لأن أختها زانية، وكذلك لا تتزوج بنت ربما بابن عمها أو خالها. وإن كانت وطأةُ هذا الفعل أقل تأثيراً على أقربائها من الرجال في مجتمعاتنا.

وهذا التأثير الاجتماعي مؤثر بنفس الدرجة على الرجل إن زنى، فمصيره ومصير إخوانه وأخواته وسمعتهم بل وشرفهم يتأثر سلباً على العائلة، ويكون لهم نفس المصير الآنف الذكر للزانية،هذا ناهيك عن مساوىء الزنا التي تؤدي إلى تفشي الأمراض الجسيمة التي تصيب الإنسان ابتداءً بمرض الزهري الذي يصيب جميع أجهزة الجسم، كالجهاز العصبي، والدوري، واللمفاوي، والهضمي، والتناسلي ويصيب العظام والمفاصل وجميع غدد الجسم القنوية واللاقنوية والجلد والعين والأذن بإصابات لا حدَّ لخطورتها. كما يُحدث الزنا بجانب ذلك أمراضاً أخرى كالقرحة الرخوة، والقرحة الأكالة، وجرب التناسل، وسنط التناسل، وهربس التناسل، وغيرها. ويُحدث الزنا مرض السيلان الذي ينذر العالم بشَرٍّ كبير، وسببه ميكروب صغير لا يرى إلّا بالمجهر، وسببه الجماع فيصاب الرجل إذا اتصل بامرأة مصابة بالسيلان، كما تصاب المرأة إذا اتصلت برجل مصاب به، هذا إضافة إلى نقل مرض (الإيدز) الذي سبب قتل الملايين من البشر لحد الآن، فيا ترى إذا لم يشرع لمثل هذه الجريمة التي قد تقضي على سمعة وراحة وحياة ومستقبل عائلة أو عشيرة كاملة بل بلد كامل، إذن فما الحل غير هذه العقوبة الإلٰهية؟، ثم ما ذنب أخوات الزاني أن يبقين عانسات إلى الأبد؟. . . أليست أشد العقوبات أفضل من نتائج هذه الفعلة الشنيعة، هذا ولو كانت عقوبة الزنى خفيفة على سبيل المثال كالسجن، لكان سيتفشى بشكل مريب وكلنا نرى كيف أن الزنا يتفشى الآن في الغرب والشرق غير المسلم وقد تفشت في تلكم الدول الأمراض التي ذكرتها آنفًا إضافة

للمشاكل الاجتماعية الناجمة من ذلك. إذن هل نشكر الله على تشريعه أم ننتقد لا سمح الله ذلك التشريع.

إذن هل توافقني أخي القارىء على كل ما جاء آنفاً 100٪ أم لا؟... إنّ جلد الزاني إن لم يكن محصناً أو رجمه إن كان محصناً، هو فقط ليُشْعِر الآخرين جميعاً بدون استثناء إن هذا هو مصير الزاني، وإذا تم على مرئىً ومسمع من الناس فلا يمكن أن ينسى الناس هذه العقوبة الصارمة ... يا ترى إذن من يجرأ على الزنا وربما لا تحدث حالة الزنى مرة، وقد يطول حدوثه سنوات، فالذي لا يخشى العقوبة بالرغم من رؤيته لها، فهو يستحق العقوبة، بعد كل هذا أنا متأكد بأن نسبة كبيرة من القراء يوافقونني على هذه العقوبة الإلٰهية... ثم إن قتل زانٍ أو جلده على مرئىً ومسمع من الناس لا يجوز في نظر الغرب، وأنا أسألهم هل هدم البيوت على الأطفال والشيوخ والنساء الأبرياء يجوز؟ وهذا هو الشرق انظر يميناً ويساراً إلى أكثر الدول، فعشرات مثل هذه الأمور البشعة تُنفذُ من قبل الآخر أو من ينوبهم من الأعوان، أيظنون أن تلك الأمور لا تُعد جرائم، في الوقت الذي هم السبب المباشر فيها .. ولكن بنظرهم جلد الزاني أو صلبه جريمة!!!.

يا لهول المصيبة الكبرى على هذه التناقضات في عصرنا الحاضر وفي عصر فيه قمة العلم ...قتل الأبرياء من الأطفال والشيوخ والنساء يجوز ولكن جلد الزاني أو صلبه جريمة كبرى لا تغتفر!!...

وأخيراً أود أن أقول أن الحدود الإسلامية التي ذكرتها آنفاً كقطع يد السارق ورجم الزاني المحصن والجلد، وجلد غير المحصن، وجلد الكبير ... تبدو للمرء قاسية عند النظرة الأولى وخاصة عند من لم يكن مطلعاً على فكرة هذا الدين الكلية وقواعده العامة جملة وتفصيلاً،ولكن عندما يطّلع المرء على فوائد ذلكم القصاص سيأخذه على الرحب والسعة.

يا ترى متى يقيم الإسلام هذه الحدود على مرتكبي تلك الجرائم؟
تقام حيث لا يكون لهم عذر في ارتكابها ولا شبهة في وقوعها.

فالإسلام يقطع يد السارق، الذي لم يسرق اضطراراً ليطعم نفسه أو يطعم أهله، فإذا كان هناك مبررات اجتماعية أو فردية تضطر إلى هذه الفعلة فلا عقوبة، بل ربما عاد بالعقوبة

على من دفع المجرم إلى ارتكاب جريمته ! وهكذا فعل سيدنا عمر ﷺ مع غلمان سرقوا ناقة، فلما علم أنهم سرقوا لأن سيدهم لا يعطيهم الكفاية من الطعام، أطلقهم وغرم السيد ثمن هذه الناقة ضعفين. ولما كان الجوع في عام الرمادة عطل حد السرقة.

يرجم الزاني الذي يضبطه الشهود في حالة تلبس كامل أو يجلده، في الوقت الذي لا يبيح لأحد أن يتسور على أحد داره أو يتجسس عليه.

فالزاني الذي يضبطه الشهود إذن لا يرتكب هذه الفاحشة في خفية، بل في مكان يستطيع الشهود أن يضبطوه فيه، فهو إذن مجرم فاحش متبجح، ينشر الفاحشة ويشيعها، والله يكره هذا ويمقته: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النور: 19].

بينما الذين يرتكبون الفاحشة مستترين ثم يعترفون طلباً للتكفير، فالإسلام يرأف بهم رأفة شديدة، ويحاول أن يتلمس لهم الشبهات، كي يعفي هذه الضمائر المتحرجة المتطهرة من العقاب.

والذي يرجّح أن هذه العقوبة مراعى في تشديدها، فكرة نشر الفاحشة لأن عقوبة الجلد، توقع على فريق آخر: فريق الذين يشيعون الفاحشة بنشر الإشاعات والأراجيف حول أعراض المؤمنات الطاهرات.

حوارٌ حول عُقوبة السّرقة

بين أستاذ ألماني و طالبه في دراسة الدكتوراه ...

الأستاذ: عجيب أمر حد السرقة في النظام الإسلامي.

الطالب: أود أن أقول لكم أولاً وقبل الخوض في صلب الموضوع

(إن النظام الإسلامي كلّ متكامل، فلا تفهم حكمة الجزئيات التشريعية فيه حق فهمها إلا أن ينظر في طبيعة النظام وأصوله ومبادئه، كذلك لا تصلح هذه الجزئيات فيه للتطبيق إلّا أن يؤخذ النظام كاملًا ويعمل به جملة واحدة هذا بصفة عامة).

أما بالنسبة لحدِّ السرقة:

(فإن الإسلام يقرر حق كل فرد في الحياة وحقه في كل الوسائل لحفظ حياته، ومن حق كل إنسان أن يحصل على هذه الوسائل).

الأستاذ: وما هي تلك الوسائل؟

الطالب: الوسائل أحددها في النقاط التالية:

أولاً: عن طريق العمل ما دام قادراً على العمل، فإن لم يستطيع أن يُحصِّل أسباب الحياة فعلى المجتمع المسلم أن يوفر له ما يحفظ حياته أولاً من النفقة التي تفرض له شرعاً وعلى القادرين في أسرته.

ثانياً: على القادرين من أهل محلته أن يوفروا ما يحفظ حياته.

ثالثاً: من بيت مال المسلمين من حقه المفرض له في الزكاة في نظام تكافلي للرعاية الاجتماعية والأمن الاجتماعي.

والإسلام كذلك يتشدد في تحديد وسائل جمع المال قلا تقوم الملكية الفردية فيه إلا على حلال، ومن ثم لا تثير الملكية الفردية في المجتمع المسلم أحقاد الذين لا يملكون، حيث يمكن لكل واحد أن يصبح غنياً بالوسائل المشروعة والسوق التنافسية الشريفة، والإسلام يربي ضمائر الناس وأخلاقهم، فيجعل تفكيرهم يتجه إلى العمل والكسب لا إلى السرقة، وبذلك يحفظ مصالح الفرد والمجتمع معاً.

إذن فلماذا يسرق السارق في ظل هذا النظام؟

إنه لا يسرق إلا للطمع في الثراء من غير طريق العمل، والثراء لا يطلب من هذا الوجه الذي يروع الجماعة المسلمة في دار الإسلام، ويحرمها الطمأنينة التي من حقها أن تستمتع بها، ويحرم أصحاب المال الحلال أن يطمئنوا على مالهم الحلال .

فإذا سرق إنسان بعد هذا، لا ينبغي لأحد أن يرأف به متى ثبتت عليه الجريمة وأحيل أمره إلى النظام، ونفس الإنسان فطرت على حب المال، ولعل هذا هو الذي يدفع معظم الناس إلى العمل والكد. والإسلام دائماً يقوّم دوافع النفس حتى تنضبط إما بالترغيب أو بالترهيب. من هنا حض الإسلام على الكسب الحلال ورغب فيه ورهب من السرقة بهذه العقوبة، حتى يستقيم المجتمع بما فيه من بار وفاجر، يقول رسول الله ﷺ: **«إن الله ليدع بالسلطان ما لا يدع بالقرآن»**.

ولما كان قطع يد السارق يفضحه ويسمه بسمة السرقة ويطلع الناس على ما كان منه، فقد أقام الإسلام حراسة على من يتهم بالسرقة، فلا تقطع يده مع وجود شبهة في أنه سرق كما لا تقطع يده في الشيء المسروق إذا كان تافهًا لا يعتد به، أو كان في غير حرز بل إن السارق في تلك الحالة يعزر بالضرب أو الحبس، ولا تقطع يده. ومن تلك الضوابط التي وضعتها الشريعة لإقامة حد القطع على السارق:

أولاً: أن يكون المسروق شيئاً ذا قيمة أي أن له اعتبارًا اقتصادياً في حياة الناس، عن السيدة عائشة ﵂ عن النبي ﷺ أنه قال: **«تقطع اليد** ـ أي يد السارق ـ **بربع دينار فصاعدًا»**.

ثانيًا: أن يكون المسروق محروزاً، أي محفوظاً في حرز.

ثالثًا: إن ما أخذ للأكل بالفم من التمر فهذا لا قطع فيه ولا تعزير.

رابعاً: السرقة في أوقات المجاعات لا قطع فيها ولذلك أبطل عمر ـ ﵁ ـ القطع في

عام الرمادة حينما عمت المجاعة. إنه يقطع يد السارق ـ الذي لم يسرق اضطراراً ليطعم نفسه أو يطعم أهله ـ فإذا كانت هناك مبررات اجتماعية أو فردية تضطر إلى هذه الفعلة الشنيعة فلا عقوبة، بل ربما عادت العقوبة على من دفع المجرم إلى ارتكاب جريمته!.

خامساً: العبد إذا سرق شيئًا ينظر هل سيده يطعمه أم لا؟ فإن كان لا، غرم سيده ضعف ثمن المسروق كما فعل سيدنا عمر بن الخطاب ـ ﷺ ـ في غلمان ابن حاطب بن أبي بلتعة حينما سرقوا ناقة رجل من مزينة فقد أمر بقطعهم ولكن حين تبين له أن سيدهم يجيعهم درأ عنهم الحد وغرم سيدهم ضعف ثمن الناقة تأديباً له. والقاعدة أن الحدود تدرء بالشبهات.

وهكذا ينبغي أن تفهم حدود الإسلام في ظل نظامه المتكامل الذي يتخذ أسباب الوقاية قبل أن يتخذ أسباب العقوبة

الأستاذ: ظهر لي الآن إن الحدود تمنع وقوع الجريمة، وبدأت الآن أتقبل هذا الحكم، ولكني لم أسمع قط عن الوسائل الخمسة التي ذكرتها لي .... لكن كيف حال البلاد التي تطبق لديكم هذا الحد، أعتقد أنه يجب أن تكون السرقة قليلة فيها ...

الطالب: نعم أيها الأستاذ الفاضل، حيث أن على مر التاريخ الإسلامي وعلى مساحة واسعة من بلاد المسلمين لم يطبق حد السرقة إلّا في أضيق الحدود وبعدد محدود جداً لا يتجاوز العشرات مع كل هذه الملايين من البشر، حيث استقر في وجدان المسلمين أن السرقة جريمة من الجرائم السيئة التي تهدد الأمن الاجتماعي والمجتمع في ذاته بحيث تستحق مثل هذه العقوبة البدنية التي تشبه عقوبة الإعدام وعلى قدر عظم الذنب والجرم يكون عظم العقاب. وبعض المعاصرين ينطلقون من نموذج معرفي آخر يقدم بدن الإنسان في ذاته بغض النظر عن أفعاله وجرائمه، وقد خفى عليهم كل هدىً سليم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. أنا لا أشك أن كثيراً من المثقفين وغيرهم يتقبلون الوسائل الآنفة الذكر بعد أن يفهموها.

الأستاذ: إننا في الغرب نجهل السبب الحقيقي الشافي لهذه الحدود، فأنا لم أسمع في إعلامنا هذه الأمور مطلقاً.

الطالب: يا أستاذ مع الأسف الشديد إن في إعلامكم ووسائلها نوع من الدَسّ، لذا فهم لا يذكرون الأسباب الحقيقية، وإلّا اقتنعوا بها ...

الأستاذ: الخوف من هذه العقوبة التي أنت ذكرتها لي لا شك أنه يؤدي إلى استتباب الأمن في المجتمع، وهذا هو من أجلّ أن ينعم المجتمع على الإطلاق.

الطالب: أستاذي الفاضل أود أن أقول لكم:

ما أعظم أن يتحرك الإنسان كيف يشاء دون قلق على دمه أو ماله أو عرضه ! عندما دعا إبراهيم ربه للبلد الذي أسسه، طلب أمرين اثنين، رزقاً مكفولاً وأمناً مستقراً، وقدم الأمن على الرزق وهو يسأل الله حاجته: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا﴾ [إبراهيم: 35] ﴿وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ [إبراهيم: 37].

ولكي يشيع الأمان، ويطمئن كل إنسان، شرع الله شرائع كثيرة، من أهمها حد السرقة، حيث إن السرقة جريمة جديرة بالمطاردة والاستئصال، ووجودها مثار ضيق وقلق فكيف إذا شاعت؟!

تصور عاملاً يكدح طوال الشهر، يسعى على أهله و ولده، قبض مرتبه الذي يرقبه بشوق وعاد إلى بيته وهو يفكر في سداد الثغرات الكثيرة التي تنتظره، ولكن يداً آثمة امتدت في الطريق إلى ماله فسرقته، ماذا يقول وما يفعل؟ وكيف يترك هذا اللص يحصد في لحظات حصاد الآخرين في أيام طوال؟

وأعرف موظفاً تغرَّب عاماً أو عامين ليؤسس بيتاً يتزوج فيه، فإذا اللصوص ينقبون البيت ويستولون على كل ما أثل وهيأ؟ وفلاحاً باع محصول زراعته ولم يهنأ بالثمن الذي ناله، لأن اللصوص أخذوه منه! . . . وهكذا يأكل القاعد الخبيث من كدح العامل المرهق. وهؤلاء الشطار اللئام يستولون على أموال الآخرين فيتوسعون في إنفاقها ويبعثرونها في لذاتهم دون حذر لأنهم ما تعبوا في كسبها. لاريب أن المجتمع المحترم يجب أن يتخلص من هؤلاء، وأن يرصد لهم العقوبة التي تقطع دابرهم، وتروع قريبهم وبعيدهم .

ثم أيها الأستاذ الفاضل: إن يد الإنسان هي أصلاً ملك لله جلّ وعلا وإنه يُشرع كيف يجب أن يتعامل عباده مع هذه اليد، فيدٌ أعطاها الله إلى الإنسان ـ وهو عبده ـ ليعمل بها الخيرات، فإذا ارتكب جريمة فحينئذٍ يستحق سلب هذه النعمة التي لم يصنها . . . والغرب منهم مع الأسف من يظن أن الإنسان خلق من مجهول ولا يعلم بعض الجهلة الملحدين أن الله خلقه وشرع له شرعاً يريح به عباده . . .

الأستاذ: يا طالبي العزيز . . . ، الغريب أننا نعترض على حد السرقة فيكم بينما هو موجود في كتابنا المقدس وهو أشد من عقوبتكم، وعقوبته عندنا هو القتل. . . .

الطالب: هل تستطيع أن تذكر لي ذلك؟

الأستاذ: نعم إن حد السرقة ورد في أكثر من مكان في الكتاب (المقدس) منها:

[الخروج: 22:2] يقول كاتب السفر: (إن ضبط السارق وهو ينقب ليلاً، وضرب فمات يذهب دمه هدراً، ولكن إن ضبط بعد شروق الشمس وهو ينقب وضرب حتى قتل يكون الضارب مطالباً بدمه، على اللص أن يدفع تعويضاً إن كان معدماً يباع بسرقته). (من الكتاب المقدس ترجمة تفسيرية).

و[التثنية: 24:7]: «إذا خطف رجل أحداً من بني إسرائيل واسترقه وباعه، يموت الخاطف، فتجتثون الشر من بينكم».

الطالب: إذن هذا حد السارق عندكم . . . القتل. . . فلماذا إذن تعترضون على قطع اليد عندنا؟

الأستاذ: أعلم أنه لا يوجد دليل على النسخ، ولا توجد عقوبة أخرى للسارق عندنا في كتابنا إلا هذه ولا يوجد ذكر للسارق في العهد الجديد . . . الأناجيل ورسائل (القديسين تركوه هكذا من عند أنفسهم، تركوه وشرعوا لأنفسهم غيره) أعتقد أن القارىء بعد التوضيحات الآنفة الذكر قد اقتنع بما شرعه الله من الحدود في الإسلام .

الطالب: أيها الأستاذ الفاضل يظهر أنكم تجهلون كل هذه الأمور؟

الأستاذ: نعم، إننا نجهل خاصة الأسباب الداعية إلى سن تلك الحدود.

الطالب: الأستاذ الكريم لا تتأثر من كلامي ـ أخاف تزعل ـ ولكن أقول أنكم ينطبق عليكم ما قاله (ابن القيم) رحمه الله.

الأستاذ: ماذا قال؟ مع ابتسامة طويلة من الأستاذ . .

الطالب: يقول ابن القيم رحمه الله (والأسباب المانعة من قبول الحق كثيرة جداً منها: الجهل وهذا هو السبب الغالب فإن من جهل شيئاً عاداه وعادى أهله، فإن انضاف إلى ذلك إلفه وعادته على ما كان عليه آباؤه ومن يحبه ويعظمه قوي المانع، فإن انضاف إلى ذلك

توهمه أن الحق الذي دُعي إليه يحول بينه وبين جاهه وعزه وشهوته وأغراضه قوي المانع من القبول جداً، فإن انضاف إلى ذلك خوفه من أصحابه وعشيرته على نفسه وماله وجاهه كما وقع لهرقل ملك النصارى بالشام على عهد النبي ﷺ ، ازداد المانع من قبول الحق قوة، فإن هرقل عرِف الحق وهمَّ بالدخول في الإسلام فلم يطاوعه قومه وخافهم على نفسه فاختار الكفر على الإسلام بعد ما تبين له الهدى).

اعلم أيها القارىء الفاضل: أن اليد الفاسدة عندنا هي: اليد التي عزفت عن العمل الشريف، وانبسطت للناس بالأذى، وعز علاجها مع وفرة التعاليم الدينية التي تغري بالحلال وتنفر من الحرام، ماذا يصنع الإسلام لهذه اليد إلا أن يقطعها ليريح منها صاحبها ويريح المجتمع كله من فسادها؟

ونسأل الذين يستبقون هذه اليد ويأبون الخلاص منها ماذا تبغون من تركها؟ ربما قالوا نكفها عن الأذى بالسجن حيناً ثم نتركها ونقول فإذا خرجت من السجن لتستأنف السرقة وإنزال الفواجع بغيرها، أنتركها للأبد؟

لا يقول بهذا رجل مخلص للناس، غيور على كرامتهم المادية والأدبية! ومسألة التريث أو التعجل في إقامة الحد ليست موضع الخلاف بيننا وبين الشاغبين على العقوبات الإسلامية، فإن الحد لا يقام ـ ديناً ـ إلا بعد أن يستريح ضمير القاضي إلى ما يحكم به، وهو لن يحكم على جائع محرج، ولن يبتَّ الحاكم في قضية أحاطت بها شبهة. إن اليد التي تقطع هي اليد التي ظلمت المجتمع، لا اليد التي ظلمها المجتمع، قال تعالى: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المائدة: 38-39].

والبلاد التي نفذت قطع السارق هدأت أحوالها، وسادتها طمأنينة كاملة وأغناها قطع يد واحدة عن فتح سجون كثيرة يسمن فيها المجرمون، ثم يخرجون أشد ضراوة وأكثر قساوة.

والسطو على مال الغير جريمة فيها قابلية النماء والتجدد، وتتحول من رغبة في المال الحرام إلى جراءة على الدم الحرام، وما أيسر أن يقتل اللص من يعترض طريقه وهو يسرق، سواء أكان المعترض حارس الأمن، أو صاحب المال.

ويغلب أن يتعاون اللص مع اللص في إدراك مأربه، ومن هنا تتكون العصابات التي تقطع الطريق، أو التي تتقاسم المهام في إتمام أعمال السلب والنهب، والسجون ساحات ممهدة لدراسة هذه المعاصي وإحكام خطتها وطبيعي أن يتضاعف العقاب مع استفحال الجرم على هذا النحو.

وقد سمعنا بأنباء السطو المسلح على السيارات والقطارات، أو على الحقول والمتاجر.

والغريب أن بعض الناس يتعاطف مع هؤلاء القطاع ويحاولون تخفيف عقوباتهم، وإني لشديد الريبة في ضمائر هؤلاء المدافعين، وأكاد أقول: ما يعطف على اللص إلا لص، ولا على القاتل إلا قاتل.

وقد حسم الإسلام اللجاجة في مجازاة أولئك العابثين، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝٣٣ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبۡلِ أَن تَقۡدِرُواْ عَلَيۡهِمۡۖ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [المائدة: 33-34].

وهنا ثلاثة أمور لا بد منها:

أولها: إنه لابد من الحفاظ على أموال الناس، وإقامة سياج منيع حولها، ورفض اشتهاء القاعدين الحصول عليها بالأساليب المعوجة، والحدود السماوية ضمان أكيد لهذا المعنى.

ثانيها: لامكان للرحمة بمثيري الفوضى ومهدري الحقوق، فإن ترك هؤلاء فتح لأبواب العذاب على المجتمع كله وإغراء بالظلم، وإسقاط للقيم.

ثالثها: عندما يكون الانحراف خطأً عارضاً، فالشارع أول المنادين بإقالة العثرات، وتيسير التوبة، وهو القائل: أن يخطىء الإمام في العفو خير من أن يخطىء في العقاب. لكن البون شاسع بين تعطيل الحدود، والتدقيق في إيقاعها .

واعلم أستاذي العزيز:

أن اليد العاملة من حقها أن تكافأ وتصان وتشجع، ومن حقها أن يضمن لها سعيها

وأن تذاد عنها الآفات، وأن تهنأ من دون متطفل سمج يقتات عليها .

الأستاذ: بدا لي أن هناك في الإسلام أنواع من الأيادي . .

الطالب: نعم يا أستاذ وهناك نوع ثالث، ما هو؟ وهو اليد العاطلة، واليد العاطلة، من حقها أن تجد العمل الذي يشغلها، وأن توفر لها أسباب العيش الشريف، وأن تأخذ حقها الطبيعي في الحياة، ولا يجوز أن تلجئها إلى طلب القوت عن طريق التسول أو التلصص.

الأستاذ: هناك من يقول أن القطع أوجد جمهوراً من العاطلين العاجزين عن العمل ما جوابك؟

الطالب: هذا اجتراء غريب فإن القطع خلال أربعة عشر قرناً نفع ولم يضر، ولم يحس المجتمع بوجوده إلا على ندرة، لأن الإرهاب بالقطع صرف اللصوص عن السرقة، وأغراهم بالبحث عن كسب معقول. ثم أيها الأستاذ انظر إلى مقاطعة (بادن فورتمبيرج) وهي المقاطعة الجنوبية في ألمانيا، ما أكثر السرقة في الأسواق المركزية لديكم، إنها كثيرة جداً . . . ، لماذا؟ لأن الحدود لديكم ضعيفة قد تكون العقوبة عدة مئات من (اليورو) ولكن هل يجوز السارق عن سرقته بهذه العقوبة؟ طبعاً لا، فإنه يكون أكثر شطارة هذه المرة ويسرق ربما ليس في منطقته بل في منطقة أخرى، لكي يبعد شبهة الدولة عنه. ثم تصور إن لم يكن هناك حد السرقة موجوداً في السعودية، فلا أشك أن في موسم الحج كانت تسرق أموال أكثر الحجاج، ولكن نرى اليوم أنه كل من يجد هناك مالاً يسلمه إلى الشرطة، أو لا يتقرب من ذلك المال تاركاً إياه . . . وهذا ناجم من أنّ النّاس يخشون من شدة العقوبة هناك . . . هنيئاً لهم.

الأستاذ: أشكرك لأني أصبحت الآن مطلعاً على حد السرقة وأسبابها، وكنت أجهل ذلك في السابق ولي شيء أقوله هنا: أننا في ألمانيا مع أن العاطل عن العمل نوفر له أن يعيش عيش الكفاف، ونوفر له كافة مستلزمات الحياة، ولكن مع كل ذلك فهناك سرقات كثيرة .

الطالب: عليك أن تقول أيها الأستاذ: لماذا لا تنتهي أو لا تقل في الأقل السطو على البنوك عندكم في ألمانيا، ولماذا تتكرر هذه الحوادث بين حين وآخر؟ ولست مبالغاً إذا قلت لو كان هناك حد للسرقة لديكم كما في شرعنا لما تجرأ أحد أن يفعل ذلك، وذلك لشدة العقوبة التي تنتظر السارق.

الأستاذ: نعم . . . ربما أنت مصيب في ذلك. فالمُشَرِع هو الله وهو الذي خلق الإنسان ويعلم كيف يُشرِّع لنا القوانين بل وكيف يؤدبنا، فأنا وأنت وغيرنا من الحكام كلنا بشر، فعندما نسن في هذه الأمور قوانين، تكون حتماً ناقصة وغير رادعة، والله أعلم بنا من أنفسنا[1].

(1) لقد استفاد الطالب كثيراً في حينه من هذا الموضوع من (ردٌ من برنامج الأزهر على حد السرقة من منتدى حراس العقيدة - المشرف العام: وليد المسلم)، وتصرّف فيه كثيراً.

obeikandl.com

مسيحيو دارفور

يفضِّلون الإبقاء على بند الحد من السرقة

وهم يعيشون في كنف المجتمع الإسلامي....!!

زارت منظمة أمريكية (Usaid - rti)[1] في 2008 لإجراء تغييرات في قوانين الأحوال المدنية والجنائية وتقريبها من قوانينهم في (دارفور) بجنوب السودان وخصوصاً بل بالتحديد فيما يتعلق ببنود السرقة، حيث لا زالت هذه الحدود تقام هناك، حتى بين الفئة المسيحية هناك... مع كل هذا ومع أن المنظمة الأمريكية كانت تود إزالة هذه الحدود، إلَّا أن الناس هناك استحسنت أن تبقى كل بنود تلك القوانين المتعلقة بالسرقة على حالها وذلك بسبب تأثيرها وأسلوبها العلاجي للحياة، وما يمكن أن يترتب عليها من جرائم.

فقطع يد السارق كانت من البنود التي طلب السكان الإبقاء عليها واستمرار تطبيقه للحد من تفشي السرقة بين صفوف أبناء المسيحيين الذين لو سمحوا لأنفسهم الإقدام على هذا بوجود مانع شرعي إسلامي، فهيهات من العقاب، وهيهات من الاستقرار، وهيهات من الأمن في ظل ما شرعه الله في الإسلام...

هكذا ترون أيها الإخوة القرّاء إنه حتى المسيحين في دارفور يتبارون ويحاولون الالتماس والالتزام بهذا المبدأ الرباني العظيم وهم لاريب فيه لا يدينون للإسلام شيئاً، إذن بعد هذا أين نحن من الإسلام؟! وأين نحن من الدعوة الى إزالة هذه البنود الشرعية المشرعة في القرآن والتخلي عنها لاستقطاب واستجلاب القنوات الغربية المدافعة عن حقوق الإنسان في العيش من أجل أمن وسلام قاطبين ودائمين، وهذا هو ظل الإسلام ليس فقط للمسلمين وإنما هو رسالة تنبيه من السماء إثباتاً لحقيقة مبدئنا الذي جيء به للإنسانية جمعاء...

(1) هذا القول منقول من إحدى موظفات إعادة البناء الإقليمي ل (USAID) المدعوة ب (Jamie dowmon).

إذن يتبين أنه حتى المسيحيين في دارفور يودون الإبقاء على حد السرقة، وألّا تسود الفتنة والفوضى في مجتمعهم، وهذه إشارة إلى أن شرع الله جاء لأمن واستقرار البشرية جمعاء وراحة عوائلها..

لقد فوجئت المنظمة الإنسانية الأمريكية الموكلة لتغيير السياق القانوني للمحاكم الجنائية والأحوال المدنية بهذا الشعور حتى من قبل المسيحيين هناك، أليست هذه الحالة مثيرة وتحير عقل الجاهل والعاقل منا في الظاهر والباطن؟...

obeikandl.com

تعليق على أمر العلمانية ... والزِّنا

العلمانية هي إقصاء كل أثر للتعاليم الدينية في التشريع، وإقامة التشريع على مبعدة من الدين ـ إن لم يكن على عداء صريح مع الدين – .

في الواقع إنه واضح تماماً أن العلمانية ونظامها يعني إباحة الفاحشة الشاذة (اللواطة) التي تشمئز منها النفوس، وإباحة الزنا المحرم، و إلى غير ذلك من ألوان التحدي الصارخ لأوامر الله. أخي القارئ إنك إذ أدركت كل عواقب الزنا و أضراره من كل جوانب الشرع، فهل تستطيع الآن أن تنكر مأساة الزنا حيث أنني في هذا الكتاب فسرت لك في هذا المجال كل شيء، ولا أدري هل أن الحكومات ترضى بهذا الأمر المشين الذي هو كالسيل يغرق صفاتنا الأدبية، ويطفىء ما بنا من نور وخُلق كريم، ناهيك عن أنه يخلف لقطاء يكونون عالة على المجتمع، ويحملون شعوراً لا يمحى من الألَم، ونظرة حنق على هذه الحياة التي حرمتهم لذة العيش في كنف أبوين يُحِنّان ويهيئان لهم مستقبلاً زاهراً.

والزنا إذ يجعل العلاقة بين الجنسين حيوانية قائمة على اللذة العابرة والمنفعة الشخصية مما يجر إلى كثير من العداوات، أليس عن طريق الزنا تنتقل عشرات الأمراض للإنسان؟ أما نسمع بين حين وآخر أن آفة (الأيدز) قد حطمت الملايين من البشر؟ وقد حطمت العلاقات الزوجية بين ملايين من البشر، إذن هل هناك فائدة من العلمانية ونظامها أم هي تحطيم للبشرية جمعاء، بعد كل هذا يظهر أن الحكومات العلمانية تفرح بأن تتحطم العوائل وتنقرض البشرية نتيجة هذه الفوضى الجنسية فهل نقبل بمثل هذه الأنظمة؟ أنا لا أقول أن الأنظمة الأخرى هي في مأمن من هذا الأمر فقد تكون هناك دول إسلامية رسمياً إلّا أنه في الحقيقة والفعل هي دول علمانية مثل تركيا . . .

يا ترى من الذي شرع لنا النظام العلماني، أليس هو تمرد على حق الله في الشريعة، فالخالق الذي خلق البشر وخلق لهم طعامهم ومشربهم وكساءهم وسخر لهم ما في السماوات والأرض جميعاً . . . وهم لا يملكون شيئاً من ذلك كله بغير تمليك الله لهم إياه، ومع ذلك

أيها الإنسان أنت تعصي الله وتضع للبشرية شريعة وتظن أنك أحسنت صنعاً، فالله يعلم دخائل الإنسان ويعلم ما يصلحه وما يصلَحُ له، وهو يحيط بالزمن كله ماضيه وحاضره ومستقبله، ويعلم ما يمكن أن يؤدي إليه كل تشريع من التشريعات، لا في الحاضر وحده، ولكن في الزمن المقبل كله وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها . . . فهل نقبل بقوانين يضعها لنا ماركس ولينين وماوسيتونغ؟ أو تضعها لنا الصهوينية؟.

obeikandl.com

هل وضع الأطفال في سن مبكرة جداً في مدارس يعلّمون فيها بالجملة صحيح؟

هل الأم مسؤولة عن ذلك ؟

تقرير عالمٍ حائز على جائزة نوبل في الطب في هذا المجال....

لو أننا جميعاً كنا متساوين لأمكن أن نربى ونعيش ونعمل في قطعان كبيرة أشبه بقطعان الأغنام. بيد أن لكل منا شخصيته الخاصة، ولا يمكن أن يعامل كرمز. وهذا يعني ألا يوضع الأطفال، في سن مبكرة جداً في مدارس يعلمون فيها بالجملة. ربما يتعجب المرء من هذا الكلام الذي هو من أقوال أحد أكبر علماء الطب (ألكسيس كاريل)[1] الحائز على جائزة نوبل في أبحاثه الطبية. إذ يؤكد على أنه من المعروف للجميع أن معظم عظماء الرجال أنشؤوا في عزلة نسبية، أو رفضوا أن يدخلوا قالب المدرسة ... بالطبع، لا مفر من وجود المدارس للدراسات الفنية، كما أنها تحقق، إلى حد ما، حاجة الطفل إلى الاتصال بالأطفال الآخرين ... لكن يجب أن لا يكون التعليم مانعاً من التوجيه الصائب ... ومثل هذا التوجيه يعود إلى الوالدين، فهما وحدهما، المسؤولان عن ذلك... يرى هذا العالِمُ أن المجتمع العصري ارتكب خطأً جسيماً باستبداله تربية وتدريب الأسرة بالمدرسة استبدالاً تاماً ... ولهذا تترك الأمهات أطفالهن بدور الحضانة حتى يستطعن الانصراف إلى أعمالهن، أو مطامعهن الاجتماعية، أو مباذلهن، أو هوايتهن الأدبية أو الفنية أو اللعب البريدج، أو ارتياد دور السينما، وهكذا يضعن أوقاتهن في الكسل ...

إذن هنا من المسؤول عن اختفاء وحدة الأسر واجتماعها التي يتصل فيها بالكبار فيتعلم منهم أموراً كثيرة؟ ... ويقدم العالم في الطب كلاماً جَميلاً قائلاً: إن الكلاب الصغيرة التي تنشأ مع جراء من نفس عمرها في حظيرة واحدة لا تنمو نمواً مكتملاً كالكلاب

(1) الإنسان ذلك المجهول. ألكسيس كاريل، ص: 305 بتصرف.

الحرة التي تستطيع أن تمضي في أثر والديها ... والحال كذلك بالنسبة للأطفال الذين يعيشون وسط جمهرة من الأطفال الآخرين، وأولئك الذين يعيشون بصحبة راشدين أذكياء. فالطفل لا محال يشكل نشاطه الفسيولوجي والعقلي والعاطفي طبقاً للقوالب الموجودة في محيطه ... إذ لا يتعلم إلّا قليلًا من الأطفال الذين في مثل سنه. أيتها الأم الفاضلة أيها الأب الفاضل، أقرأتما ما يقوله هذا العالم توّاً ؟طفلكما يحب أن يتعلم منكما وليس في الحضانة ... ففي الستينات قامت القيامة على دعاة المسلمين الذين كتبوا وقالوا: دور الحضانة لا تربي لنا أطفالًا كما نريد ولها مساوىء كثيرة ... هذا ويضيف العالم الطبيب (كاريل): حينما يكون الطفل وحده في المدرسة فإنه يظل غير مكتمل، ولكي يبلغ الفرد قوته الكاملة فإنه يحتاج إلى عزلة نسبية واهتمام جماعة اجتماعية محددة تتكون من الأسرة.

نعم إن الفرد يظل إنساناً عندما ينتمي إلى مجموعة صغيرة حيث تكون أهميته النسبية أعظم وحيث يستطيع أن يأمل في أن يصبح بدوره مواطناً ذا نفوذ ... إن احتقار الفردية أدى إلى اختفائها فعلاً .... أيها القارىء ما هو الحل إذن؟ وهل سيَتَّهِمُ الناس هذا العالم الفاضل؟ وهو صاحب كتاب (الإنسان ذلك المجهول) الذي استقبله العالم بحماسة عظيمة، ولقد أُعيد طبع كتابه عدة مرات لأنه يشتمل على كثير من التجارب الواقعية عن الإنسان والحياة. لي صديق في أمريكا يقول: الطفل الذي يربى بالحضانة سيكون أكثر الأحيان عنيداً مشاكساً، بالإضافة إلى الحقد على والديه، لأنه لا يعلم لماذا يبعدونه عنهما وهو طفل صغير لا يفهم سبب وضعه بعيداً عن والدته بالأحرى طوال النهار ... لهذا أقول ليس هناك حنان لأكثر الأولاد الذين يتم وضعهم في الحضانة بعيداً عن أمهاتهم، لذا فكثيراً ما يشكو الأبوان في الدول الغربية من أن أولادهم لا يزورونهم حتى في أعياد رأس السنة، نعم من أين يأتي الحنان وقد تربوا في مرحلة حرجة جداً بعيداً عن أبويهم في الحضانة، وكيف يتعلمون الأمور الحسنة، إذ لا يتعلم الطفل إلّا قليلًا من الأطفال الذين في مثل سنّه.

للأم ميزة تختص بها دون الرجل، فهي أفضل من الرجل في ناحية التربية، إنها مدرسة إذا أعْدَدْتها أعددت شعباً طيب الأعراق، يأتي تفضيل الأم على الأب من الأهمية بحيث تتجاوز الحدود المألوفة في الحياة، وتلك هي المحبة. ولقد وجد الذين فهموا قدر المحبة عند الأم لطفلها، خير وسيلة لتنشئة جيل بكامله، وإذا أحْسَنا توجيه هذه المحبة وجعلنا منها مدرسة تتولى إصلاح البقية، وعلى هذا الأساس يقول حافظ إبراهيم:

الأم مدرسة إذا أعددتها أعددت شعباً طيب الأعراق.

والحق كذلك إذا سلمت هذه المحبة مما يسميه الأطباء (بالمضاعفات) التي تختلط بالأمراض، وإن المضاعفات في حياة الناشئة لا تنشأ إلا من البيئة، وإن اختلاف البيئة إنما ينشأ من التفاوت بين طريقة التصرف بالمحبة عند الأمهات.

(ويجدر الإشارة إلى أن دعاة البيئة يذهبون إلى القول بأن الأمراض العقلية والنفسية ترجع إلى عوامل بيئية، من بينها ما يلقاه الفرد منذ نعومة أظفاره، من فشل وإحباط وحرمان لإشباع حاجاته المادية والنفسية والاجتماعية، وما يتعرض له من مواقف الصراع الدامي والمنافسة الشديدة، والقسوة والعنف والعقاب. ويركز هذا الاتجاه على خبرات الطفولة المبكرة، وذلك لأن جذور الشخصية الأولى توضح خلال هذه الفترة، ولذلك تترك خبرات الطفولة بصماتها على بقية مراحل العمر)[1].

يا ترى كيف يربى الأطفال تربية صحيحة إذا كانت امرأة واحدة ـ غريبة على تلك الأطفال ـ تربي عشرات الأطفال؟ وحتى لو تربّى الطفل من قبل امرأة واحدة مأجورة، لا تستطيع أن تحل محل الأم، لقد رأيت برامج كثيرة خاصة بالأطفال، صورت فيها كيفية تصرف المرأة المربية مع الطفل ـ وقد نصبت كاميرات بصورة خفية دون علم المربية- وفي غياب الأم والأب ـ وقد اندهشتُ من المعاملة السيئة التي يتلقاها تلك الأطفال على يد النساء المربيات، وحتى لحظت أن تلك المربيات يقمن بضرب الأطفال في غياب الأم والأب وحتى هنَّ في بيوت هؤلاء الأطفال . . .

فإذا تعرض طفلنا للإهمال والحرمان من العطف والحب والدفء والحنان، سَبَّ مريضاً نفسياً وعقلياً.

(1) الإسلام والعلاج النفسي الحديث 1988، ص: 41.

إعادة إنشاء إنسان في تمام شخصيته

الذي أضاعته الحياة العصرية في الآخر

رأي الدين في ذلك ...

إني إذ أرى أنه من الواجب أن يعاد إنشاء الإنسان الذي أضعفته الحياة العصرية ومقاييسها الموضوعية، كما يجب أن يحدد الجنسان مرة أخرى، يقول الطبيب (ألكسيس كاريل) والحائز على جائزة نوبل.

يجب أن يكون كل فرد إما ذكراً أو أنثى، (يقصد بهذا الكلام أن لا يظهر الذكر صفات جنس الأنثى العقلية وميوله الجنسية وطموحه، وكذلك أن لا تظهر الأنثى صفات الجنس الآخر العقلية وميوله الجنسية وطموحه)، ويجب على الإنسان ـ بعكس ذلك ـ أن يؤكد وحدانيته أي الذكر ذكر والأنثى أنثى (يقصد العالم الآنف الذكر هنا أن لا يتشبَّه، الرجال بالنساء وكذلك لا تتشبه النساء بالرجال) وسوف أعلق على ذلك فيما بعد . . .

كما يرى هذا الرجل والعالم البارع: أننا نعلم أنه من المستحيل أن ننشىء أفراداً بالجملة، وإنه يمكن اعتبار المدرسة بديلاً من التعليم الفردي . . . هذا يعني أنك لا تستطيع توجيه تربية واحدة إلى الذكر والأنثى في كثير من الأمور، فبرامج تعليم البنات يجب أن تشتمل بصفة عامة على دراسة مستفيضة للصغار والأطفال آخذاً بنظر الاعتبار صفاتهم الفسيولوجية والعقلية . . . هذا يعني أن النصيحة والتوجيه التربوي للصغار يجب أن يختلف اختلافاً بين الجنسين فما يلائم البنت في بعض الأمور لا يلائم الطفل الذكر، لاختلاف فسيولوجيتهما. ويرى (ألكسيس كاريل): أن تعاد للمرأة وظيفتها الطبيعية التي لا تشتمل على الحمل فقط بل أيضاً على رعاية الأطفال. أيها القارىء إننا نرى عكس ذلك حتى في بلادنا في العصر الحاضر، فالمرأة والرجل يتركان الطفل للحضانة والمدرسة ويعودان مساءً منهكين فلا مجال لتوجيه أطفالهما . . .

نعم لقد أصاب (ألكسيس كاريل) فيما جاء آنفاً وهو يصرح بآرائه في الستينات، ولكن رسولنا ﷺ لعن المتشبِّهين من الرجال بالنساء، والمتشبِّهات من النساء بالرجال. فقال ﷺ: «**ليس منا من تشبَّهَ بالرجال من النساء، ولا من تشبه بالنساء من الرجال**».

عن أبي هريرة ﷺ قال : (لعن رسول الله ﷺ الرجل يلبسُ لِبسةَ المرأة، والمرأةَ تلبس لبسَة الرجال). وقال ﷺ: « **ثلاثة لا يدخلون الجنة ولا ينظر الله إليهم يوم القيامة: العاق لوالدَيهِ، والمرأةُ المتشبهة بالرجال، والدَيُوث**» انظر أخي القارىء من هو (ألكسيس كاريل)؟ أليس هو رجل غربي؟ أليس رجل عالم وهو عالم في الطب متضلع في علوم النفس، وكان من أبرز الكتّاب في الستينات، ثم حصل على جائزة نوبل في الطب، فهل يستطيع أهل الغرب أن ينكروا ما قاله هذا الرجل، فكتاباتهُ مبنية على أسس علمية رصينة، وهو قد صرح عن هذه الأمور في الستينات، بينما صرح رسولنا قبل أكثر من 1400 عام؟ إذن هل من منكر ؟!!....

انظروا إلى عظمة رسولنا أيها القراء..... ولعل من أهم أسباب هذا النهي هو ما للثياب والأوضاع من أثر خطرٍ في النفس ينتقل إلى السلوك، فإذا تشبهت المرأة بالرجل مالت إلى أعماله وتطبعت بطبعه وفقدت أنوثتها. ولو كان (ألكسيس كاريل) حياً الآن لَجَنَّ مما يراه، حيث تفننت الصهيونية في هذه الأمور، حيث سنت قوانين في الدول الغربية لزواج الرجل بالرجل ولهم حقوق في الدولة ... إنه لأَمر محيِّر لا يمكن أن يفهمه العقلاء والعلماء والصلحاء!!.... أما فيما يخص تَشبّهُ الرجل بالمرأة، وفي ذلك أيضاً ـ كما لا يخفى ـ تبديل الفطرة، وخراب أيّ خراب ! فالمرأة والرجل بفعلتهما هذه قَلبٌ للمفاهيم ومسخ للفطرة، وإضاعة لأعظم طبائعهما.

فالمرأة بفعلتها عندما تتشبه بالرجال تفقد كالرجل، فلا ترضي نفسها ولا ترضي رجلها والعكس صحيح أيضاً

إذا سلك الرجل مسلك الإناث فَتَشَبَّهَ بهن في أوضاعه ولباسه، فقد خصائص الرجل وقوتها، يا ترى هل المرأة السليمة تقبل وتريد مثل هذا الرجل أم تنفر منه، أما تتقزز منه نفسياً، فلتفكر المرأة في مثل هؤلاء الرجال المتشبهات بالنساء هل يقبلن بهم كرجال؟ هل يقبلن بهم كأزواج؟ إنها المصيبة كبرى ما بعدها مصيبة....

الشذوذ الجنسي ... هل هو راجع إلى اختلال بيولوجي أو تفضيل نفسي ....؟

كان مستحيلاً حتى يومنا هذا إعطاء البرهان الدامغ على أن انعكاس الشهوة الجنسية وانحرافها ـ وهو ما نسميه عادة الشذوذ الجنسي ـ راجع إلى اختلال بيولوجي أكثر منه اختيار أو تفضيل نفسي وبتعبير آخر، أكثر بساطة يطرح السؤال هكذا: هل أن مرض الشذوذ الجنسي يعود إلى عوامل خَلقيَّة أم إلى دوافع خُلقُية؟ ينقل لنا الأستاذ محمد مهدي الإسنانبولي[1] حول ما كُتِبَ عن هذا الموضوع، وأنا بدوري سأعلق عَليه بين حين وآخر:

كان مستحيلاً حتى الآن إعطاء البرهان الدامغ على أن انعكاس الشهوة الجنسية وانحرافها ـ وهو ما نسميه عادة بالشذوذ الجنسي ـ راجع إلى اختلال بيولوجي أكثر منه اختيار أو تفضيل نفسي. وبتعبير آخر، أكثر بساطة يُطرح السؤال هكذا: هل مَرَدُّ الشذوذ الجنسي يعود إلى عوامل خَلقيَّة أم إلى دوافع خُلقية؟

يقول الأستاذ (ألفريد جوست) أستاذ (الفيزيولوجيا) في كلية العلوم بباريس: (إن السلوك الجنسي يكون واحداً عند الولادة، ثم يتأثر هذا السلوك بعوامل عدة في مختلف عوامل الحياة، منها العائلة، والوسط الاجتماعي، والتربية، والمستوى الخُلقي) ويضرب الأستاذ (جوست) مثلاً بالطفل يُلبسه أهله زي بنت خلال سنواته الأولى، فإذا ما بلغ سن المراهقة شعر بحنين إلى الدور الذي كان يلعبه في طفولته، واتخذ مسلكه الجنسي هذا الاتجاه!!

وبمناسبة الكلام عن خطر تَشَبُّه الذكور بالإناث أو العكس، نقتطف البحث التالي الرهيب من أحد الكتب الجنسية، وهو يصور قصة طفل نشأته أمُّه على التشبُّه بالنساء منذ صغره، مما أدى حتى إلى ولعه بالشذوذ الجنسي من صغره إلى كبره.

---

(1) تحفة العروس، ص: 316، 201، ناقلاً مقالة البحث من مجلة (طبيبك) عدد 177 س15 - ربيع الأول- أيار 1971، بقلم الدكتور(فرانسوا لاقار).

فقد كان هذا الطفل المدعو(دونالد) عندما كَبُرَ يصاب بنوبات من القلق والكآبة التي تبلغ حدَّ الانهيار العصبي من حين لآخر، وأنه لهذا يتردد على الطبيب النفساني للعلاج، وندرك أنه يحمل عُقداً عميقة، فهو رغم استسلامه للشذوذ الجنسي يقتل نفسه بالشراب وكأنه يريد أن يهرب من شيء مخيف. وهو يحس بأنه شاب فاشل لا يصلح لشيء في الحياة، وكلما زاول عملاً لم يلبث أن يزهد فيه، وهو ما أتمَّ شيئاً بدأه قط.

إن كارثته جاءته من أمه وأبيه ؛ فأمُّه غمرته منذ وُلد بنوعٍ مِنَ الحب الاقتنائي الأعمى الذي دمر حياته. فهي قد دللته ولم تكتف بتدليله حتى بعد أن كبر وبلغ مبلغ الرجال، كانت تخاف عليه من النسيم، ولم تكن تفارقه لحظة واحدة. كانت تأخذه معها كلما ذهبت إلى مسرح الشعر، وهناك تكوي شعره ويعملون له المانيكير كما يعملون لها المانيكير، كان هزيلاً نحيلاً شاحباً، وكانت تحب فيه هزاله ونحوله وشحوبه وتقول دائماً :

(كان ينبغي أن تكون بنتًا يا دونالد) كان لا ينام إلا بين عرائسه ولعبه، ومن حوله زجاجات الماء الساخن، كانت أمه تدلك صدره بالطيوب، وتدهن وجهه بالكريم وتتغزل في عينه الجميلتين وفي شفتيه البديعتين.

وكان يستحم معها في بانيو واحد حتى كبر وصار غلاماً فجعلته ينام معها في فراش واحد حتى بلغ سن الرابعة عشرة، وأخيراً ثار عليها وقرر أن يبتعد عنها رغماً عنها، ولكن بعد أن فات الأوان.

وكان أبوه يرى كل ما يجري له ولا يفعل شيئاً لإنقاذه من حب أمه المجنون، بل كان يأتيه باللعب والعرائس وكل ما يشيع فيه الميوعة. وأخيراً أدرك أن حب أمه له كان لتملأ فراغ الحرمان الذي كانت تعيش فيه. كانت دائماً تقول:

(ستظل دائماً طفلي ولو بلغت السبعين)، إنه الآن في الثلاثين ولكنه مجرد طفل كبير، لقد كانت حياته كلها تدريباً على الضعف والفشل، وهو يحس أنه كلما ازداد ضعفه وفشله ازداد حبُ أمه له، وكأنها تسعد بعجزه حتى لا ينفصل عنها، إن أمه هي أول من قادت خطواته على طريق الأنوثة. وهكذا في لحظات اكتئابه ـ وهي لحظات يقظته الحقيقية ـ كان (دونالد) يرثي نفسه ويقترب من الانتحار، ولكنه لا يلبث أن تبتلعه حياة السكر والشذوذ.

نعم قد يطيب لبعض الجهلة والمغفلين أن ينسبوا أسباب وقوعه في سلوكيات وأفعال معينة إلى ظروف خارجة عن إرادتهم، حتى لا يشعروا بالذنب، الادعاءات كلها تنسب الميل إلى سلوكيات معينة بسبب وجود جينات معينة، لقد كرست دراسات مستفيضة تبحث في هذا المضمار. وأهمهما تنصب حول السلوكيات السيئة، من قتل وسرقة، وشذوذ جنسي، وعنف جنسي! بيد أن أكثر هذه الدراسات الموضوعة واجهت كثيراً من الانتقادات. ولكن يا ترى من يروج هذه الأمور بل إن هذه الأمور تذكر من قبل الكتّاب الصحفيين غير المختصين الذين يلهثون وراء أبحاث جديدة وينشرونها بين الناس وكأنَّ تلك الأمور هي مُسَلَّمات علمية. في يوليو سنة 1993 كتبت صحيفة: «wall street» (الأبحاث تتجه نحو اكتشاف جين الجنسية المثلية) «homosex gene» وبكلمة أخرى أن الأبحاث تشير إلى وجود متغير طبيعي لجينة (اللواط)، ولكن الصحف عادة تزايد على حقيقة الخبر في قصصهم، وحكاياتهم، لكن الشيء الهام هو أن الأغلبية الساحقة من القراء والجماهير، كانت مدعوة للاعتقاد بل للتأكد أن (جينة اللواط حقيقية)، والقارىء العادي غير المتخصص يأخذ انطباعاً بأن الأمر قد حسم وإن جين اللواط مجرد متغير وراثي طبيعي مثل لون العين والشعر.

وليعلم القارىء العزيز أنني أعطيه النتيجة النهائية في هذا المضمار كالآتي:

في سنة 2003 اكتمل مشروع الجينوم البشري ولم يتم العثور على أي: جين المثلية أي: (جينة اللواط).

هذا ما تعرفه جيداً حركات الترويج لأسلوب الحياة المثلي، لذلك لا يوجد على مواقع الأنترنيت لهذه الحركات أي إشارة لأبحاث علمية.

أما الأمر المنطقي في هذا المجال هو: إذا كان هناك (جيناً للمثلية)، فقد كان ينبغي أن يختفي هذا الجين منذ وقت طويل، فالجينات تبقى في المستودع الوراثي البشري من خلال التناسل والمعروف أن أغلب المثليين لا ينجبون، فإذا كان التوجه الجنسي المثلي مستمر طوال هذه القرون، فلا بد أن هناك عوامل تساعد على نشوئه غير العامل الوراثي.

الحوار العلمي الموضوعي والأبحاث العلمية الموثقة لا تجد طريقها إلى جورنال (wall street) أو نيويورك تايمز وغيرها من المجلات والجرائد أو مواقع الأنترنت التي تريد أن تعطي الانطباع عن أن المثليين يولدون هكذا وأن المثلية متغير وراثي طبيعي لا علاقة للبيئة به، ولا يجب التعامل معه على أنه اضطراب من أي نوع يقول السوسيولوجي الأمريكي

ستيفن جولبيرك (steven goldberg) لا أجد شخصاً في الميدان المعملي يناقش فكرة الشذوذ (الواط)، دون العودة للعوامل البيئية وخير دليل يدحض ادعاءات الجهلة على أن الإنسان يولد على الفطرة في قصة قوم لوط الذين كانوا يجاهرون بهذا الفعل المخل بالأخلاق، في قوله تعالى:

﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ [الأعراف:80-81]، والأدلة كثيرة في القرآن لا تحتاج لبحوث علمية ضخمة، تستنزف كل أموالنا، وكل ما نرجوه من خلال عملنا هذا، سوى توجيه دراسات اجتماعية ونفسية في العالم العربي، للوقوف في وجه هذه الفئة المتبقية من آيات قوم لوط. وأخيراً أود أن أوجه عبارات إلى من يرجح أن الشذوذ راجع إلى وجود جينات معينة، وأقول: إذا كان الأمر كذلك كان يجب أن ننسب كل الجرائم ومنها الجنائية، بل وحتى بعض المحرمات الأخرى إلى جينات معينة، وحتى كل عمل نابع من الشهوات كان يجب أن ننسبه على أساس خلل جيني، ولكن هل هذا صحيح؟ و إذا كان الأمر كذلك، فكان في ذلك الحين يصعب أن نجد في الإنسان جينات سليمة، إلّا وفيها خلل معين.

فلنبدأ بأبسط الأمور على سبيل المثال (النظر) إلى المرأة حرام وهذا شرعاً معروف، فلو كان هناك جين يختص عند الرجل والمرأة مسؤولة عن النظر الحرام، فكان يجب في ذلك الحين أن نقول: من كان لديه هذا الجين فلا يجب أن يحاسب على فعلته لا من قبل الله تعالَى ولا من قبل المجتمع، خذ السرقة بعد ذلك، لو كان هناك جين عند شخص أو أشخاص معينين مسؤول عن السرقة لكان الذي يسرق لا يستحق العقوبة لا من قبل الدولة، ولا من قبل الدين، وكان في ذلك الحين يفرض على الدولة أن يُسَنَّ قانوناً يَنُصُّ على أن كل من له جين مسؤول عن السرقة، فلا عقوبة له، وإذا سرق لا يحاسب . . . ربما كان في ذلك الحين يُشكل السارقون جمعيات مشابهة لجمعيات الشذوذ الجنسي و يشكلون حزباً كما للشذوذ الجنسي في بعض الدول الغربية، وكان في ذلك الحين تمتلىء البرلمانات بهذه الأحزاب الشاذة . . . وكانت تلك الأحزاب الشاذة لإشباع رغباتهم يدَّعون أن لهم جين السرقة، جين الشذوذ الجنسي أو جين العنف الجنسي، لذا يجب أن تخصص لهم مقاعد في البرلمانات. . . .

وإذا سار الأمر هكذا كان لربما حتى ينسب فعل القتل إلى جينات مسؤولة عنه. وكان على الدولة أن تنص أيضاً قانوناً مفاده: لا يعاقب على القتل من كانت لديه جينات مسؤولة عن القتل . . .

أَما يسخر القارىء من كل هذه الادعاءات الباطلة؟

أخي القارىء أعلم جيداً أنه زُيِّنَ للنساء حب الشهوات، ولكن على الإنسان أن يهذب تلك الشهوات في حدود الشرع، نعم فالرجل بفطرته يَود النظر إلى نساء جميلات، ولكن المؤمن بالله يجب أن يمتنع عن ذلك ويهذب نفسه إطاعةً لأمر الله تعالى، وهل يدَّعي المغفلون أن هناك جين مسؤول عن حب النظر، فلو كان كذلك كان من المفروض أن لا يحاسب العبد على هذه الفعلة حتى من قِبلِ الله ﷻ وأين كان يبقى جهاد النَّفس؟ ولو كان كل ما يشتهي الإنسان شيئاً ينسبه إلى جين معين فكان الإنسان في ذلك الجين يعيش كحيوان غابة يقتل، وينهب، ويسرق، ويزني، ويهتك الأعراض وإلى آخره من الأمور، والحيوان لا حساب معه . . . كذلك لو فرضنا إن كان لبعض الأشخاص جينات مسؤولة عن حب السرقة، فكان على الدولة من الناحية القانونية عدم محاسبة السارق. إني أرى أن كل إنسان لديه حب الشهوات، وحتى الرغبة ـ ربما ـ للعنف والقتل وغيرها ولكن تهذيب السلوك تهذيباً إلاهياً يجعلنا جميعاً أن نبتعد عن الأمور السيئة بدءاً بالجرائم وانتهاءً ببعض الشهوات كالنظر الحرام. هذا كان رأيي في الموضوع والله أعلم . . .

ثم لو كان هناك جينات للصفات الذميمة في كل إنسان ولم يكن للإنسان قوة روحية للتغلب على ذلك، فكان في ذلك الحين لا يكلف الله فيما لا طاقة لنا به . . . أليس كذلك أيها القراء الأعزاء؟ وقد قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة:286] فما كان الله يكلفنا بما شرعه لنا إن لم يكن ذلك في وسع عباده . . .

عزيزي القارىء: حتى لو كان فرضاً هناك جين مسؤول عن الأفعال الشاذة ـ وهذا خلاف للواقع ـ كان يجب على المرء في ذلك الحين أن يهذب سلوكه في هذا المجال و يجاهد مع نفسه لإماتة هذا السلوك .

تصور أيها القارىء أن عائلة ولدت لها توأمين، أُخذ أحدهما إِثر ولادته إلى(ميونيخ) في ألمانيا، ليتربى هناك والآخر تربى في مكة المكرمة، يا ترى ما هي توقعاتنا؟ إنه لمفاجأة كبرى بعد أن يمضي على تربيتهما عشرون عاماً، فتجد كل واحد تأقلم في المكان الذي تربى

فيه، وقد يصعب أن يتصور المرء أنهما أخَوان حتى لو تشابهت أشكالهما و ألوانهما، ربما لا يستطيع الذي تربى في(ميونيخ) أن يعيش في مكة، إذن ما الذي جعل هذا الفرق بين سلوكيهما؟ طبعاً الجواب: هو التربية و يعني البيئة، يا ترى لو أخذنا أحدهما و ربيناه في مجتمع يسوده الفساد ـ كأن يكون الشذوذ الجنسي ـ أو السرقة . . . و تربى في مثل هذين المجتمعين عشرين عاماً، ماذا نتوقع منه في مثل هذا المجتمع الذي يتصف بهذا النوع من السلوك؟ لا شك أنه يتصف بذلك الطابع، أي إما سارقاً أو شاذاً جنسياً، إذن فهل يعني أن الذي تربى هكذا له جين مسؤول عن السرقة أو الشذوذ الجنسي؟ طبعاً لا . . . فالبيئة أوالتربية لها الدور الحاسم . . .

المصادر:

* - www.noo.problemenes.com.nb/show.hread.php?5 = 57007

* - voir le lien http//www.nath.com/docs/istheregenefr.html voir aussi Dean Hamer: Guy au gene de gaite traduit par Gristian jean mougin Revue dicover. 1997

* - journal، Homosexuality: Nature or nurture Allpsych journal

* - Ryan. D. Johnson

* – مقالة للباحث (زيان محد) ـ الجزائر في الموقع

www.alhaqaea.net

* – شفاء الحب للدكتور أَوسم وصفي.

فشل ارتباط تكوين السلوك الإجرامي بنظرية الصبغيات الجنسية الزائدة.....

لقد فتح علماء البيولوجيا هذا الباب بحثاً عن وسيلة جديدة يدعمون بها نظريتهم التي قد تربط بين الصبغيات الجنسية والسلوك الإجرامي.

لا يخفى على أحد أن كلاً من الحيمن المنوي للذكر وبويضة الأنثى، تحمل 23 زوجاً من الصبغيات الكروموسومات chromosomes أي 46 صبغياً وأن زوجاً واحداً من الثلاث والعشرين زوج تختص بالتكوين الجنسي ويحددان نوع الجنس والـ 44 كروموسوم الباقي يُسمى كروموسومات جسمية وتقوم الكروموسومات الجسمية بالسيطرة على جميع الصفات الفيزيائية ووظائف الجسم المختلفة، فزوج من الكروموسومات المختص بالتكوين الجنسي في الأنثى يحمل صفات الأنوثة، ويتشابه فيه الكروموسومان (الصبغيان)، اللذان يظهران على شكل (xx).

وهو في الذكر يحمل صفات الذكورة، ويختلف فيه الصبغيان، فيظهر أحدهما على شكل (x)، والآخر على شكل (y) والصبغي (y) هو علامة الذكورة، ومصادفة وجوده في خلية الذكر المنقسمة، التي تلقح بويضة الأنثى، هي التي تجعل جنس الجنين ذكراً.

إذن يتبين لنا بأن كروموسومي الجنسي في الأنثى متشابهان وكلاهما (x)، أما في الذكر فإن أحدهما يشبه كروموسومي الأنثى ويسمى (x) كذلك، والثاني أصغر حجماً وشكله معقوف ويسمى (y) ، إذن فكروموسومي الرجل مختلفان وهما (x) و (y) إذن فمن الذي يحدد جنس الجنين؟ فالجواب: هو الرجل فإذا أعطى كروموسوم (y) فالجنين الناتج هو ذكر، وإذا أعطى الكروموسوم (x) فالجنين سيكون أنثى .

فإذا لقح البيضة حيوان منوي يحمل الكروموسوم (y) كان الجنين ذكراً (xy)، أما إذا كان الحيوان المنوي يحمل الكروموسوم (x) فإن الجنين أنثى (xx).

والغريب أن علماء البايولوجيا اكتشفوا أن بعض الذكور يحملون 47 صبغياً، بدلاً من 46 صبغياً، ثلاثة منها صبغيات جنسية، تظهر في نمطين: الأول (xxy)، أي بزيادة صبغي مؤنث واحد. وهو ما يعرف بنمط كلاينفلتر (Klinefelter Syndrome) ويعاني أصحاب هذا النمط عادة من قصور جنسي، أو عقم، ولا تظهر عليهم الصفات الجنسية الثانوية، ويتميزون بنقص شديد في نشاطهم العقلي والنفسي[1]، والنمط الثاني (yyx)، أي زيادة صبغي مذكر واحد. ويتصف حاملوه بطول القامة، وطول الأذرع، وميل نحو العدوان.

كما وجد العلماء عند بعض الأشخاص 48 صبغياً، منها أربع صبغيات جنسية، تظهر على نمط (xxyy)، أي بزيادة صبغيين، أحدهما مذكر والثاني مؤنث. ويوصف الشخص الذي يحمل هذا النمط (ويدعى الرجل المضاعف)، بأنه طويل بشكل ملحوظ، ويعاني في نفس الوقت من انخفاض في مستوى الذكاء إلى درجة البلاهة.

ولقد بدأ علماء الجريمة أبحاثهم بصورة جدية، حول الصبغيات الجنسية، في أواخر الخمسينات، في السجون البريطانية، ومعاهد بورستال (Borstal)، مستندين إلى المكتشفات التي قدمها العالمان (باتريسيا جاكوب) (Patricia A. Jacobs)، حول عدم توازن الصبغيات الجنسية[2] وتركز الاهتمام بصورة خاصة، على دراسة الأشخاص الذين يحملون النمط (xyy)، بعد أن عثر على عدد كبير منهم في المؤسسات العقابية، ومستشفيات الأمراض العقلية، وتبين أن هؤلاء يتصفون بميول عدوانية، وأن معدل عمرهم، عند بدء حياتهم الإجرامية، كان أقل من معدل عمر المجرمين الآخرين ذوي الصبغيات الجنسية الطبيعية، وهم عموماً غير متزنين، وغير ناضجين، ولم يبد عليهم أي شعور بالندم تجاه ضحاياهم، ومما شجع الباحثين في الستينات، على الاستمرار في دراساتهم، هو وقوع عدد من الجرائم الهامة، في دول مختلفة، اتضح بعد فحص مرتكبيها، أنهم يحملون الصبغيات (xyy)، وهكذا انتهى العديد من العلماء، إلى أن وجود الصبغي(y) الزائد في الذكر، يؤثر

---

(1) تزداد الصبغيات الأنثوية في الذكر أحياناً، عن الحد المألوف xxy، وتظهر بنمط xxxy أوxxxxy وهذا لايغير الأمر شيئاً، لأن وجود الصبغيy، وهو صفة قاهرة، يجعل الشخص رجلاً. وبمجرد زيادة صبغي x واحد أو أكثر، يصبح هذا الشخص شاذاً وتظهر عليه الصفات الأنثوية.

(2) P.A. Jacobs and J.A. Strong, A Case of Human Intersexuality Having a Possible xxy Sex- Determining Mechanism., Nature, London, 1959, : 184 - 302 p

بصورة رئيسة، تأثيراً سلبياً على شخصيته، ويهيئه للسلوك الإجرامي[1].

وظن الناس ساعتها أن الجواب قد وجد لسببية الجريمة. وإن إحدى المشاكل الكبرى للإنسان والمجتمعات في طريقها إلى الحل فتوقفت الكثير من البحوث، وعاش أكثر علماء الجريمة في ترقب وانتظار. ولكن سرعان ما تكشف الأمر عن ضعف حجج أصحاب نظرية الصبغيات الجنسية الزائدة. فقد اتضح بعد دراسات طويلة ومعمقة، أن درجة عدوانية المجرمين الذين يحملون الصبغيات (xyy)، لا تزيد عن درجة عدوانية زملائهم في المؤسسات العقابية، وإن أعداداً كبيرة من الأشخاص، بين مجموع السكان العام، الذين يحملون الصبغيات (xyy) لم يرتكبوا أية جريمة في حياتهم، ولم يلاحظ لديهم أي شذوذ عضوي أو عقلي، وهذا الوضع ذكّر الجميع، بأن الصبغيات(xyy) اكتشفت لأول مرة بالصدفة، عند رجل طبيعي، لا يشكو من أي عرض ، ذكاؤه معتدل، وحالته النفسية عادية، ولا توجد لدية أية علامات تشير إلى العدوانية، أو الميل نحو الجريمة [2].

وهكذا انهار من جديد آخر معقل للمدرسة البيولوجية، وتبدد حلم الكثيرين، ممن اعتقدوا بحل مشكلة سببية الجريمة

ولكن إذا كانت المدرسة البيولوجية قد فشلت في إقناع الباحثين عن سبب الجريمة بوجهة نظرها، فما هي الحجج التي قدمتها مدارس علم الإجرام الأخرى؟.

---

(1) راجع في دراسة نظرية الصبغيات الجنسية الزائدة:

Theodore R. Sarbin and Jeffrey E. Miller، Demonism Rivisited: The xyy Chromosomal Anomaly, Issues in Criminology 5:195 - 207 Summer؛ 1970 Richard S. Fox، The xyy Offender: A Modern Myth? The Journal of Criminal law، Criminology، and Police Science, 62:59 - 73 March 1971 Schafer، Introduction to Criminology،P.55-57 ; Sutherland and cressy،Criminology،p.117; Stefani،Levasseur Jammbu-Merlin،Nr. 177-177-1،P.180.

(2) Schafer، Introduction to Criminology، P.55.

المصادر الأربعة السابقة أخذت من كتاب علم الإجرام وعلم العقاب، الدكتور عبود السراج، ص: 243-245, كما أخذت جزء من المعلومات من كتاب العلم والإعجاز (كيف تحدد جنس الجنين ذكر أم أنثى) للدكتور دلاور محمد صابر.

المساواة بين الناس أدت إلى الانخفاض بالجميع إلى المستوى الأدنى ...

هذا هو كلام عالم حائز على جائزة نوبل في الطب وهو من الآخر...

يرى العالم (ألكسيس كاريل) أن هناك اضطراباً غريباً يتعلق بالإنسان والفرد، وهو المساواة الديموقراطية ... إن هذا المذهب يتهاوى الآن تحت ضربات تجارب الشعوب، ومن ثم فإنه ليس من الضروري التمسك بزيفه. هذا الكلام كلام الآخر ـ من الغرب ـ أيها القارىء هل تعلم أن هذا العالم هو من أعلم علماء الغرب؟ فما رأيك أنت إذن بالديمقراطية؟ فهذا العالم قد ذاق طعم الديمقراطية، ونحن في بلادنا قد سمعنا بل وطبقنا الديمقراطية، لكن نحن في بلادنا قد سمعنا وطبقنا الديمقراطية المزيفة ...

يقول (ألكسيس): إن نجاح الديمقراطية قد جعل عمرها يطول إلى أن يدعو للدهشة، فكيف استطاعت الإنسانية أن تقبل مثل هذا المذهب لمثل هذه السنوات الطويلة؟ هذه هي الديمقراطية التي يُريد الآخر أن يجعلها واقعاً فينا وهو لا يصدق ...

يضيف الكاتب الآنف الذكر: إن مذهب الديمقراطية لا يحفل بتكوين أجسامنا وشعورنا ... إنه لا يصلح للتطبيق على المادة الصلبة، وهي الفرد ... صحيح أن الناس متساوون، ولكن الأفراد ليسوا متساوين، فتساوي حقوقهم وَهْمٌ من الأوهام ... وهل يجب أن يتساوى ضعيف العقل مع الرجل العبقري أمام القانون؟ ... كما أنه لا يحق للأغبياء المجردين من الذكاء ومشتتي العقل غير القادرين على الانتباه أو بذل الجهد، في الحصول على التعليم العالي ... ومن خطل الرأي أن يعطوا قوة الانتخاب نفسها التي تعطى للأفراد مكتملي النمو ...

ويقول (ألكسيس) بكل صراحة: كذلك فإن الجنسين لا يتساويان، فإهمال انعدام المساواة أمر خطر جداً...

يا للدهشة، ويا للعجب أن يتفوه عالم بل علاّمة غربي بهذه الآراء!!

ويردف قائلاً: لقد ساهم مبدأ الديموقراطية في انهيار الحضارة بمعارضة نمو الشخص الممتاز...

يا سبحان الله الرجل (ألكسيس كاريل) عالِم يّقول ما في قلبه بعكس الحاقدين الذين يرومون إلى بث الديموقراطية المزيفة في شعوبنا الإسلامية .. حيث إذا كان (كاريل)لا يعترف بالديموقراطية التي لدى دول الغرب، ما رأيه بالديموقراطية المزيفة التي تنادي بها حكومات الشرق؟!!...

يقول (ألكسيس) إذ من الواجب احترام مبدأ عدم تساوي الأفراد، صحيح، إن المجتمع العصري بحاجة إلى القوي و الصغير و المعتدل و المتوسط، ولكن يجب أن لا نحاول تربية الأسمى بنفس الوسائل التي نستخدمها في تربية الطبقات السفلى.....

وبكل جرأة يقول (ألكسيس): لقد أدّت مساواة الناس طبقاً للمثل الأعلى للديموقراطية إلى تغلب الضعفاء، ففي كل مكان يفضل الضعفاء على الأقوياء. أو التعليق على كلام (ألكسيس) وأقول: إذا كان القصد من الضعفاء هم الجهلة والفاسدين، فهل سيطرتهم على القوانين يا تُرى تؤخر المجتمع أو تقدمه؟ ففي هذه الحالة يجب الأخذ بما يسنه الضعفاء ـ أي الأكثرية الحاكمة ـ وإلزام الآخرين بما يسنونه من قوانين أمر خطير، وهل يجوز أن يسيطر الضعفاء على المجتمع؟ يا لهول المصيبة الكبرى في هذه الحالة...

فالضعفاء عادة يتلقون كل مساعدة وحماية وكثيراً ما يكونون موضع الإعجاب، وهم كالمريض والمجرم والمجنون يستدرون عطف الجمهور، هكذا يقول العالم الحائز على جائزة نوبل...

ويردف (ألكسيس) قائلاً: إن مبدأ المساواة، وحب الرمز، واحتقار الفردية مسؤولة إلى حد كبير عن انهيار الفردية، ولما كان من المستحيل الارتفاع بالطبقات الدنيا، فقد كانت الوسيلة الوحيدة لتحقيق المساواة الديمقراطية بين الناس هي الانخفاض بالجميع إلى المستوى الأدنى. وهكذا اختفت الشخصية.

قانون سعادة البشرية يجب أن يكون من هادٍ عالم حكيم محيط بالكون كله، وليس ذلك إلّا الله ﷻ ، لذلك كان على الله أن يرسل من لدنه أنبياء ينقلون إليهم أوامره وإرشاداته، وإلّا لم يفلح الإنسان في الحياة ولم يتم ما خلق له وهي السعادة وعدم اللغو في صنع الله المتعالي عن اللغو.

إذا كان الأخ القارىء ليس مهتماً بأقوال الرسل والأنبياء، فيتحتم عليه أن يصدق ويعترف بالعلماء في هذا المجال، وأكبر العلماء الذين يتمتعون بمختلف جوانب الثقافة الحديثة، وحائز على جائزة نوبل ـ هو (ألكسيس كاريل).

فليسمع القارىء عنه ما قال: وهو يستعرض بعض جوانب الجهل بحياة الإنسان: (لقد بذل الجنس البشري مجهوداً جباراً لكي يعرف نفسه ولكن بالرغم من أننا نملك كنزاً من الملاحظات التي كدسها العلماء والفلاسفة والشعراء وكبار العلماء الروحيين في جميع الأزمان فإننا استطعنا أن نفهم جوانب من أنفسنا إننا لا نفهم الإنسان ككل... و واقع الأمر أن جهلنا مطبق فأغلب الأسئلة التي يلقيها على أنفسهم أولئك الذين يدرسون الجنس البشري تظل بلا جواب لأن هناك مناطق محدودة في دنيانا الباطنية ما زالت غير معروفة ... ثم يقول: فالعقل يتصف بعجز طبيعي عن فهم الحياة).

إن هذه الشهادة ذات قيمة علمية بالغة إذا لوحظت أنها تأتي متزامنة مع شعور متزايد باكتفاء الإنسان عن الوحي. وهذا الرجل هو من الآخر، هذا هو عالم كبير حائز على جائزة نوبل، أما نحن؟ فإنه من عجب العجاب أن نرى بأن مثقفينا ـ مع الأسف ـ قد انبهروا بالآخر، وقد انهزموا أمامهم، وفقدوا هويتهم وتاريخهم وقد أنكروا ماضيهم، وقد تصوروا أن من يحذو حذو الآخر فإنه على طريق الفلاح والنجاح ... إنهم معجبون بالآخر ... بماذا؟ هل بالانحلال الخلقي والفوضى الجنسية والأمراض النفسية والجنون والخواء والانتحار والتفكك الأُسري... و على صعيد آخر نرى أن من الآخر فعلاً من يتطلع إلى ديننا الإسلام كحل ومنهم مفكرون وعلماء وساسة كبار أمثال (هوفمان) و(ليوبولد فايس) و(موريس بوكاي) وغيرهم...

هكذا هو دينك أيها المسلم فيكفينا قوله تعالى عن العلمانيين:

﴿يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ﴾ لقد عجزت الجاهلية المعاصرة التوفيق بين الدنيا والآخرة، وبين المادي والروحي في كيان الإنسان.

واعلم أيها القارىء أن الآخر بالرغم من امتلاكه للقوة المادية والاقتصادية والعسكرية والسياسية، إلّا أنه يفتقد الطمأنينة، والسعادة التي تنشدها البشرية جميعاً في حياتهم، فالجريمة والمخدرات والخمر وحدها دليل صارم وصارخ على أن الآخر فقد السعادة والطمأنينة، وإلّا لماذا شُربُ الخمر؟ ولماذا تعاطي المخدرات؟ ولماذا ارتكاب الجرائم؟. هذا بالإضافة إلى الأمراض النفسية والجنسية والعصبية والانتحار لدى الآخر.

فالآخر يحاول الهروب من الواقع عندما يشرب الخمر، فلو كانوا سعداء في حياتهم فلماذا يسعون للهروب من واقعهم؟!! أمّا سبب الجرائم التي تنفذ في الآخر فسببه هو عدم الرضا عن مجتمعهم .... وهل نرضى في مجتمعنا أن يكون أطفالنا في الحانات ولعب الليل والملاهي؟

كل ذلك ليس دليلاً ابداً على السعادة، انما هو دليل على فقدان تلك السعادة.

فشل الحياة الزوجية في عالمنا الإسلامي

وهل له من أسباب ؟.... ماهي ؟!!

لا شك أن هناك أجهزة كالتلفزة هي مصدر ثقافة للمرء، فالفلاّح الذي لا يقرأ ولا يكتب على سبيل المثال لا الحصر، يمكن له أن يسمع الأخبار وبعض البرامج عن طريق التلفزة، والتلفزة سلاح ذو حدين ففيها برامج مفيدة جداً لا يمكن إنكارها فهي أداة للتقدم، وفي نفس الوقت فيها برامج لا تحمد عقباها، كنا في السابق نقول تَضر التلفزة بعض الأعمار كالشباب والأطفال، ولكن اليوم نقول على الإطلاق: أنه يمكن أن تضر الجميع طفلاً، وشاباً، وشيخاً، وعجوزاً ورجلاً وامرأة دون استثناء.

إذن التلفزة من الأجهزة الصالحة إذا استخدمت في الخير فهي وسيلة للفضيلة إن كانت برامجها توجيهية، دينية، اجتماعية، أو ثقافية،أو علمية. في حين إذا ظهرت على شاشات التلفزة برامج لا توافق ديننا وعاداتنا وتقاليدنا فالتحريم ليس في ذات التلفزيون كآلة بل فيما يظهر على شاشته، ولقد أصابت أطفالنا وبناتنا وشبابنا (بجنون التلفزة) وجنون الأفلام الفاسدة، نعم كما قلت لا شك أن هناك أفلام تمثل معانٍ عالية، ومواقف إنسانية حميدة بل وحقيقية، إلّا أنّ تلك قلة نادرة بين عشرات الأفلام التافهة التي ستأتي ذكرها بعد حين إنها حقاً أفلام سخيفة منحلة وهي مدمّرة للخُلق السامية في مجتمعنا الإسلامي.

لقد فرحت كثيراً في السبعينات من القرن المنصرم عندما وجدت خبراً منشوراً في جريدة (الثورة) العراقية كنت حينئذٍ طالباً لشهادة الدكتوراه في ألمانيا الغربية آنذاك، كان مفاده أن بروفيسوراً غربياً في علوم الاجتماع يقول: كل من تابع الأفلام مهما كان نوعها، فلا شك إذا كان امرأة فإنها تتأثر وتميل إلى ممثل وتكون معجبة به، ولاحول ولا قوة لها في هذا الأمر، ولكن ما هي النتيجة؟

يقول البروفيسور: أن المرأة عندما تكون معجبة بممثل أو أكثر فإن هذا الإعجاب

يكون على حساب زوجها، أي سيسلب قسط من محبة زوجها لأنها أصبحت معجبة بذلك الممثل، وكذلك الرجل إذا تابع الأفلام، فلا بد أن يكون معجباً بامرأة ممثلة لا محالة لذلك، لكن هذا الإعجاب يكون على حساب زوجته، أي أن الممثلة ستقلل عنده قسطاً كبيراً من محبة زوجته... هذه هي النتيجة، وهل يرضى الرجل أو المرأة بهذا الأمر؟ فليقرر كل قراره وحسبما يراه صحيحاً.

يا لهول المصيبة!! ... ففي الحالتين الضرر بليغ والمصيبة كبيرة ... يا ترى هل يرضى الرجل إذن أن تكون زوجته هكذا، وهل الزوجة ترضى أن يكون زوجها كذلك ... إنها مصيبة كبرى لا نحسُّ بها إلا إذا وضحناها بهذا الأسلوب. تمخض أيها القارىء وأيتها القارئة الكريمة أن هذا هو عين الصواب في منظور العالم الاجتماع الغربي... فالمصيبة ها هنا ولا نعلمها إلا إذا نبهنا أحدٌ بذلك، فإذا كان الأمر كذلك، فهل تقبل الزوجة أن ينظر زوجها إلى الأفلام الشنيعة وهل يرضى الرجل أن تنظر زوجته إلى تلك الأفلام؟ ربما يقول بعض البسطاء والساذجين: لماذا لا؟ إذا كان الأمر كذلك فلنعطي مثالاً واحداً لا غير لكي نفيق جميعاً من هذه الآفة التي هي مدمرة للعوائل وينحصر المثال في قصة هي كالآتي:

ورد في تقرير إخباري من قناة الفضائية العربية في 4/7/2008 خبراً مفاده: منحت فتاة بحرينية زوجها الذي لم تُزف إليه بعد، أسبوعاً واحداً فقط ليغير هندامه وتسريحة شعره وسلوكه ليصبح نسخة طبق الأصل في الشكل والتصرفات من (مُهَنَّدْ) ـ وهو كما يقال بطل لمسلسل تركي بعنوان (نور) ـ وإلا فستطلب منه الطلاق، فما كان من الزوج إلا أن منحها ما طلبت وطلقها ليهدم بذلك عشهما الزوجي قبل بنائه، وهناك حالة طلاق آخر في البحرين على نفس المسلسل أيضاً. فأرجو من القارىء أن يقرأها في (العربية ـ نت).

نعم لقد أصاب العالم الاجتماعي وصدق ما قال ... إلى أين وصلت أمة محمَّد ﷺ أيها القرّاء ؟!! أين نحن من الدين؟ بل أين نحن من هذا العالم؟ أنا لا أود أن أعلق كثيراً فيما بعد، ولكن فليفكر كل منا زوجاً وزوجة، نساءً وأطفالاً، شباباً وشيوخاً، كيف ندرء هذه المفاسد ... إذن هذا كان الجانب السيء جداً من جهاز أصم وهو جهاز التلفزة، ولكن المصيبة هي أن هذه المسلسلات يتم بثها وهي موجهة إلى شعبنا المسلم لإفسادها وتحطيم حياتها الزوجية ونشر الشجار والمشاكل بين العائلات، بعد كل هذا، أقول إنني أتحسر على بعض المسلمين الذين ينتسبون إلى الإسلام شكلاً لا حقيقة، اغتالتهم الحضارة المادية بأفكارها وسكتتهم حتى الأحشاء والنخاع.

لا أشك أن الخبر الذي ورد في قناة العربية خبر حقيقي، ولكن لا يشك أحد أن هناك عشرات المشاكل حدثت بسبب هذه المسلسلة وغيرها ولم تعلن . . . . أنا لا أعلم أين للناس هذا الفراغ الذي قضوه لمتابعة هذه المسلسلات؟!! لقد أصاب العالم الحائز على جائزة نوبل عندما قال في كتابه (الإنسان ذلك المجهول) من مظاهر الانهيار في الحضارة الغربية، حيث يعلّلها بأن تلك الحضارة قد أُنشِأَت دون أية معرفة بطبيعة (الإنسان) الذي أُنشِأَت من أَجله!

اعلم أخي القارىء: أن إفساد العقيدة مقدمة لإفساد العقل واحتلال الأرض والسيطرة على الثروات، إنها حلقات متسلسلة تأخذ بعضها برقاب بعض، هكذا يريد الآخر أن يفسد مجتمعنا ويسطير على ثرواتنا.

والآخر له وسائل أخرى غير التي ذكرتها هنا وفي هذا الموضوع بالذات لإفساد هذه الأمة ومنها ما يلي:

وسائل الآخر لإفسادنا

أمر خطير للغاية يُدخله الآخر في بلادنا لقاء دولارات تستثمر في هذه البلاد وشروطه كثيرة ولتلك الدولارات مقابل، وهو إفساد الأمة، بل إفساد خلقها وعزتها وكرامتها وشرفها وحياتها.

مع كل الأسف أن بعضاً من دولنا الإسلامية يقبل ببرامج الآخر لكي يدخلها في طريقةِ ونمط مجتمعاته ويعطينا دولارات مقابل ذلك، أو يحمي من يحكمنا من القادات ويثَبِّت أقدامهم، وإلا سيغير تلك القيادات إن أَبَوْا ذلك . . .

الآخر يود أن يجعل نساءنا رجالاً، ويجعل رجالنا خرفاناً، لا حول لهم ولا قوة إلا بالله فيما يحصل. . . . يتدخل الآخر فينا ليعطي لنسائنا حقوقها التي يعتبرونها أنها ضائعة. . . . لكي تطلق الزوجة زوجها متى ما أرادت وشاءت، حتى إن كان ذلك بدون سبب، بل مجرد رغبة منها. . . . يا لهول المصيبة الكبرى، متى أصبحنا هكذا؟ . . . إن كثيراً من رجال الغرب الذين زاملتهم بل وصادقتهم كانوا يحسدوننا على علاقاتنا الزوجية المتينة في بلادنا، يحسدوننا على وفاء زوجاتنا لرجالنا و وفاء رجالنا لزوجاتنا، وعدم خيانتنا لزوجاتنا وعدم خيانة زوجاتنا لرجالنا. . . . هذا الأمر الحسن الذي يريد الآخر أن يغيره عندنا، وبالخصوص في بيئتنا الإسلامية في داخل مجتمعنا.

الآخر يريد تحليل الزنا في هذه البلاد، فهناك دولة مسلمة قد حللت الزنا بغية التقرب من الدول الأوروبية لقاء ماذا؟ لقاء الدخول في السوق الأوروبية المشتركة، ولحد يومنا هذا لم يسمحوا بدخول هذا البلد المسلم ذات الحكومة العلمانية إلى ذلك السوق .... كيف يرحمنا الله؟ ومتى تنتهي مشاكلنا الاقتصادية والسياسية والاجتماعية ؟... أما الدولارات التي تقدم بالمقابل فهي لا تغني ولا تُسمن من جوع، متى ما انقطعت من تلكم الدول، انهارت على عقبها....

والعجيب أن كل العالم يعيش على خيراتنا .... !! يا ترى إلى أين تذهب تلك الخيرات؟ من يسرقها؟ إلى جيوب من تذهب تلك الأموال الطائلة؟ الجواب متروك للقارىء وأنا لا أبادر بالجواب...

والعجيب أنه حتى السياسة التي نتبعها يجب أن تكون كما يريده الآخر !!....وأعود مرة أخرى للمرأة لأقول:

نعم أعترف وأقول أن المرأة في وقت ما في مجتمعنا الإسلامي ذاته كانت مظلومة، ولكن الذي ظلمها لم يكن الإسلام ! إنما كانت رِدَّةُ جاهلية من المسلمين في نظرتهم إلى المرأة ومعاملتهم لها، فكان التصحيح هو الرجوع إلى الإسلام الصحيح، نسأل بماذا يحكم الآخر يا ترى؟. أحسن الجواب هو قوله سبحانه وتعالى:

﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة:50].

عجيب أمر الآخر فَلَه إشعارات براقة مزيفة ينادي بها لخداع الدول النامية، ذوات الثروات الكثيرة.

فاين نتائج تنفيذ تلك الشعارات المزيفة بحقنا؟ أين الشعارات الإنسانية ورايات العدالة التي يرفعها في نظام عالمه الجديد؟

كيف أمرنا اللّه ورسوله أن نتصرف مع الآخر؟

وهل نحن سائرون في هذا الدرب ؟

في الحقيقة أنا لا أعلم لماذا واقعنا في بعض الأحيان لا يطابق ما أمرنا الله ورسوله، فإذا لم نَسِرْ في هذا الدرب مع الآخر فهل نضع لذلك قوانين خاصة من عندنا ونترك تعاليم ديننا أم ماذا؟

في الواقع أود هنا أن أوضح لكل مسلم وغير المسلم كيف أن نبينا ﷺ أعطى مَثلاً أعلى لمعاملة أهل الكتاب، يا ترى إذا اتبعنا أوامره فهل نجذب الآخرين ليدخلوا أو يعترفوا على الأقل بأن ديننا دين خاتم الأديان. أنسينا في التاريخ أنه ﷺ كان يحضر ولائمهم (أي ولائم أهل الكتاب)، ويعود مرضاهم، ويزورهم ويكرمهم. حتى روي: أنه ﷺ لما زاره وفد نصارى (نجران) فرَشَ لهم عباءته ودعاهم إلى الجلوس عليها . . .

يا لعظمة هذا الخُلُق، هذا كل ما أستطيع أن أقول عنه ﷺ لأن ذلك الوصف هو وصفه جلَّ وعلا، وروي: أنه ﷺ كان يقترض من أهل الكتاب نقوداً ويرهنهم أمتعته، حتى أنه ﷺ توفي ودرعه مرهونة عند بعض يهود المدينة في دَيْنٍ عليه، ولم يخلص درعه إلّا خلفاؤه بعد وفاته. حيث كان يفعل ذلك لا عجزاً من أصحابه عن إقراضه، فكان منهم الأثرياء، وهم المستعدون لأن يضحوا بأنفسهم وأموالهم في مرضاة نبيهم، ولكنه كان يفعل ذلك تعليماً وإرشاداً لأمته. أخي أين نحن اليوم من هذا الإرشاد؟ أين نحن من هذه الأفعال؟ هكذا كانت أفعال أفضل خَلق الله . . . . وهل نأثم إذا خالفنا هذا الدرب؟ الجواب بلا شك هو: نعم . . . أين أهل الفكر الإنساني الذين يتلمسون الطريق السوي لبناء عالم عصري على أساس من الإيمان والخير والحب والسلام؟

نعم لقد سار المسلمون على سيرة نبيهم، فعاشروا غيرهم من أهل الملل والنحل الأخرى بصفاء و وئام، فكان المسيحي واليهودي يجاوران المسلم فيتزاورون ويتهادون لا يفصلهم إلا المسجد والكنيسة والبيعة. روي: أن غلاماً لابن عباس الصحابي الشهير ذبح شاة

فقال له ابن عباس: لا تنس جارنا اليهودي، ثم كررها حتى قال له الغلام: كم تقول هذا! فقال: إن النبي ﷺ قد أوصانا بالجار حتى خشينا أنه سيورثه. فابن عباس بنص هذا الخبر كان مجاوراً ليهودي، وكان يهتم بالإهداء إليه كما يهتم بسواه مراعاة لحرمة الجوار، ومعنى هذا: أن الإسلام لا يفرق في مكارم الأخلاق وحقوق الاجتماع بين مسلم وغيره [1].

انظر أخي القارىء الجملة الأخيرة مهمة جداً في معناها، هذا يعني أننا في العلاقات الاجتماعية يجب أن نتصرف حتى مع من ليسوا في ديننا بالخلق السامية، لكي يقتدوا بنا وبأخلاقنا وقيمنا فهذا هو الأسلوب الذي يجذب الناس إلى ديننا.

ولنمضي أكثر في هذا المجال لكي نعلم ما حدث في تاريخنا الإسلامي . .

دلَّ تاريخ المسلمين على أن تشريعهم يسمح لغير المسلم أن يقاضي أرفع إنسان في المسلمين وينتصف منه، فقد روي: أن يهودياً اشتكى علياً للخليفة عمر بن الخطاب، وعلي ﷺ، كما لايخفى ابن عمّ النَّبي وزوج ابنته وأحد المرشحين للخلافة، فلمّا مَثَلا بين يدي عمر نظر إلى علي وقال له:

قُم يا أبا الحسن واجلس أمام خَصمك، أو قال له: ساوِ خصمك يا أبا الحسن فساوى عليٌّ خَصمه وجلس أمامه وقد بدا التأثر على وجهه، فلما انتهت الخصومة قال عمر: أكرهت يا علي أن تجلس أمام خصمك؟ فأجابه علي:

كلا ! ولكني كرهت أنك لم تسوِ بيننا حين قلت: يا أبا الحسن (يريد أن الكنية تشير إلى التعظيم)[2] يا صاحبي القارىء انظر إلى الخلق العالية لسيدنا علي كرم الله وجهه، إنه انزعج من أن عمر بن الخطاب ناداه بالكنية لأن ذلك يشير إلى التعظيم، هل نحن المسلمين في هذا العصر أفضل مِن سيدنا علي ﷺ؟ هذا خليفة وابن عم سيد الكائنات . . . يا لعظمة أخلاقه ويا لتواضعه المبهر . . . لو حصلت محاكمة في عصرنا هذا لرئيس أو وزير أو لغيرهم من رجال الدولة يا ترى كيف يكون القاضي هل كان يجرؤ حتى طلب حضور ذلك الرئيس أو الوزير إلى قاعة المحكمة؟ كلاَّ . . . فالدنيا مع الأسف قد تغيرت وإذا أردنا أن نمضي في طريق الإسلام فيجب أن نتصرف كما تصرفوا خلفاؤنا الراشدون في القصة الآنفة الذكر.

---

(1) روح الدين الإسلامي، عفيف عبدالفتاح طيارة 1978، وقد تصرفت فيه وعلقت عليه كثيراً بين حين وآخر . . .
(2) نفس المصدر السابق.

وحدث مرة: أن ولداً لعمرو بن العاص ضرب فتى قبطياً، فأقسم هذا ليشكو لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب. فقال له ابن عمرو ما معناه: اذهب فلن ينالني ضرر من شكواك فأنا ابن الأكرمين، فبينما كان الخليفة مع خاصته، وعمرو بن العاص وابنه معهم في موسم الحج، قدم هذا الرجل عليهم وقال مخاطباً عمر: يا أمير المؤمنين إن هذا ـ وأشار إلى ابن عمرو ـ ضربني ظلماً وقال: اذهب فأنا ابن الأكرمين، فنظر إلى عمرو وقال له: (متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً) ثم توجّه إلى الشاكي وناوله درته وقال له: (اضرب بها ابن الأكرمين كما ضربك).

فليقرأ الأقباط في مصر هذه القصة، وليروا بأُم أعينهم عدالة الإسلام ... هكذا علمنا محمّدًا ﷺ، وليسمعوا مني أهل مصر، هكذا يَحترم ديننا الآخر أياً كان دينه ومذهبه... ولو حدثت القصة الآنفة الذكر في زماننا المعاصر، مَنْ كان يتجرؤ أن يشتكي من ابن رجل الدولة، ومن كان يستطيع أن يوصل الخبر إلى الرئيس أو الزعيم القائد ليقص عليه ما حدث .... أين نحن إذن مِن دين محمّد ﷺ أيها القارىء؟!....

هكذا نشأ المسلمون نشأتهم الأولى، والدين أقوى حاكم على شعورهم، فلم يشاهد منهم ما يعابون عليه من جهة التسامح مع مخالفيهم، ثم لما انتشر العلم فيهم ونبغ منهم المؤلفون والباحثون لم تصب هذه النزعة فيهم أدنى انحراف بل زادوها رونقاً بما قاموا به من حماية علماء الملل الأخرى ومكافآتهم، وقد أفاض بذكر ذلك كتاب (الأغاني) الذي سرد كثيراً من أخبارهم. يقول عفيف عبد الفتاح طبارة في المصدر السابق (والفقهاء الأولون لم يهملوا حقوق أهل الذمة فقد نصوا على وجوب الرفق بهم ودفع من يتعرض لأذيتهم، فقال الشهاب القرافي ـ وهو من كبار أئمة التشريع في الإسلام ـ في كتابه الشهير (الفروق): (إن عقد الذمة يوجب لهم حقوقاً علينا، لأنهم في جوارنا، وفي خفارتنا، وفي ذمة الله تعالى، وذمة رسوله ﷺ ودين الإسلام. فمن اعتدى عليهم ولو بكلمة سوء أو غيبة في عرض أحدهم، أو أي نوع من أنواع الأذية، أو أعان على ذلك، فقد ضيّع ذمة الله تعالى، وذمة رسوله ﷺ، وذمة دين الإسلام).

وقال الإمام ابن حزم في (مراتب الإجماع): (أن من كان في الذمة، وجاء أهل الحرب إلى بلادنا يقصدونه وجب علينا أن نَخرج لقتالهم ... ونموت دون ذلك، فإن تسليمه، إهمال لعقد الذمة).

سبحان الله من عظمة قضائنا وشيمتنا وكرامتنا، لقد بلغ الإسلام فينا درجة أننا ندافع

حتى عن أهل الذمة بشكل إذا جاء أهل الحرب إلى بلادنا يقصدونهم ـ أي يقصدون أهل الذمة ـ وجب علينا أن نخرجُ لقتالهم، ونموت دون ذلك فإن تسليمهم، إهمال لعقد الذمة... بعد كل ما مضى كيف يشعر المسيحي واليهودي عندما يسمع هذه القصص السالفة الذكر، وما رأيهم في ديننا، فالمرء لا يجد ديناً في الدنيا إطلاقاً هذا قضاؤه وهذه قيمه ... فديننا إذن خاتم الأديان ....

ومن تسامح الإسلام أيضاً: تسمية أهل الكتاب (اليهود والنصارى) بأهل الذمة. فلفظ الذمة معناه: ذمة الله وعهده ورعايته، فلينظر الإسلام إلى هذه التسمية اللطيفة إن فيها الحماية والاحترام. وقد ورد عن النبي ﷺ قوله في التوصية بهم: «**من آذى ذمياً فأنا خصمه، ومن كنت خصمه خصمته يوم القيامة**» بودّي أن يقرأ كتابي هذا مَن هم مِن غير ديننا ليروا عظمة الدين الإسلامي، وليعلموا أنه كل من خاصم من المسلمين ذمياً فقد خاصمهم رسول الله ﷺ يوم القيامة.

أتسمح لي عزيزي القارىء أن أُعَلق تعليقاً ختامياً لأقول: إذا كان الدين أوصانا بالتعامل هكذا مع مَن هم مِن غير ديننا، يا ترى فكيف يجب أن نتعامل نحن المسلمون فيما بيننا؟ أليس عار وكفر على أن نقتتل فيما بيننا، فالشيعة تقتل السنة والعكس بالعكس، والأغرب من ذلك، أن المذهب الواحد فيه فرق تتقاتل فيما بينها أيضاً .... أين نحن إذن من الإسلام؟ ما محلُّ إعرابنا في الإسلام؟ .... أترك الجواب للقارىء وأكتفي بهذا القدر من التعليق على الموضوع.

أخي القارىء بعد الروايات السابقة الذكر يشعر المرء أن التسامح الإسلامي هو من أبرز صفات الفتح الإسلامي التي أفردته عن كل حركات التوسع في التاريخ، وخير شاهد على التسامح الديني عند المسلمين هوكتاب المستشرق (ت.آرنولد) بعنوان: (الدعوة إلى الإسلام) فاليهود الذين اضطهدوا في أوروبا على يد النصارى ـ بسبب اعتقاد النصارى أنهم تسببوا في صلب المسيح ـ لم يجدوا لهم بلداً يؤويهم ويعيشون فيه مطمئنين إلَّا الأندلس الإسلامية. فلما طُرد المسلمون من الأندلس نزح اليهود معهم إلى المغرب، حيث ما زالوا يعيشون حتى اليوم هناك. كما كان ملجأهم الآخر هو الدولة العثمانية، حيث عاشوا في سلام وأمن في ظل الحكم الإسلامي، وإن كانوا لِخبث طويتهم قد دبّروا لإزالة الحكم الإسلامي الذي نعموا تحت ظله بالسلام والأمن. وأمّا النصارى فالحكم الإسلامي قد حماهم من اضطهاد بعضهم البعض، حيث كان هذا الاضطهاد قائماً في كل الأرض التي تخالف عقائدها عقيدة الدولة الأم، كما أمّنهم وكفل لهم الاستقرار الروحي والمادي فعاشوا أربعة عشر قرناً آمنين.

أليس هذا التسامح الديني للحُكم الإسلامي يكشف عن حقيقة تفردت بها أمّتنا الإسلامية. مَن الذي أخرج هذه الأمة إلى الوجود، وهو الذي جل وعلا أعدَّها لتكون شاهدة ورائدة للبشرية، لهذا جعل فيها صفاتاً تؤهلها لهذه الرسالة السمحاء فربَّاها على العدل حتى مع الذين أساؤوا إليها وخير دليل على ذلك قوله تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة:8] وكذلك قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّواْ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِٱلْعَدْلِ﴾ [النساء:58].

هذا ووجَّه رسول الله ﷺ ليقول لأهل الكتاب: ﴿ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ﴾[الشورى:15] وجعل الإيمان بما أُنزل على الرسل السابقين جزءاً من عقيدة الأمّة:

﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ [البقرة:1-4].

مُنَاظرة مع الآخر (أستاذ ألماني)

حول شكوكه في قدرة اللّه تعالى

الأستاذ: كيف يمكن لله (ربكم) أن يسجل هذه المعلومات الضخمة لمليارات من البشر على مر التاريخ ليجازيهم يوم القيامة؟ . . .

الطالب: أتعجب من سؤالك هذا، وأود أن أقول لك: إذا أنت وأنا سلّمنا أن خالقنا هو الله وهو الذي مكّننا أن نستطيع خزن هذه المعلومات الضخمة في أدمغتنا فهل يصعب على خالقنا أن يُخزن تلك المعلومات على مر العصور؟ . . . .

الأستاذ: ولكن أين يا ترى يُخزنها؟ فنحن نُخزنها في أدمغتنا.

الطالب: أيها الأستاذ أنت وأنا نخزن عشرات بل مئات الكتب الضخمة على قرص مدمج واحد (CD)، وصانع ال (CD) هو البشر، يا ترى إذا كان من استطاعة المخلوق أن يصنع ال (CD) لخزن المعلومات الموجودة في آلاف من الكتب الضخمة، فهل يصعب على الخالق خزن المعلومات لكل إنسان في العالم آخر، بالرغم من أننا لا نعرف عن كنه عظمته؟!!

الأستاذ: أنا أعلم أن معلوماتنا مخزونة في القرص المدمج ولكن أود أن تقنعني أين ترى ستخزن تلك المعلومات، ثم أنا لا أؤمن بما لا أراه.

الطالب: أيها الأستاذ تصور نفسك وأنت في فندق فيه عشرات الغرف، فهل باستطاعتك أن تعرف ماذا يجري في تلك الغرف، إلا إذا دخلت فيها؟ وحتى أنك لا تعرف ماذا يفعل ابنك وأخواتك أو زوجتك إذا كانوا في غرف أخرى داخل بيتك، فإذا كان هذا عجزنا يا ترى، فهل تريد أن ترى شيئاً هو أعظم بكثير ممّا هو في هذه الدنيا ؟!!. . . .

الطالب: أيها الأستاذ: هل تتحس بمعدتك عندما تتحرك حركتها الخاصة لهضم الطعام؟ وهل تشعر بالأعصاب عندما تنتقل النبضات العصبية من وإلى دماغك؟ وهذه الأمور تحدث في داخلك. . .

الأستاذ: طبعاً لا.

الطالب: إذا كنت لا تعلم ما يحدث من بعض الأمور التي تحدث في داخلك، فكيف إذن بما يحدث خارج كيانك ؟!! ثم أيها الأستاذ: هل تشعر بالأمواج التي تصل إلى تلفزتك الخاصة من أقصى دول العالم أو حتى أقربها ؟

الأستاذ: طبعاً لا.

الطالب: إذن إنك مع أنه لا ترى تلك الأمور ولكن تعترف بوجودها، ثم هل تعتقد بأن الصور التي تراها في التلفزة هي بالضبط صور حقيقية لأناس هكذا شكلهم وليست تلك الأشكال خيالاً.

الأستاذ: طبعاً هي حقيقية.

الطالب: إذن إذا كان في قدرة الإنسان كل ما جاء آنفاً، فماذا إذن يا ترى قي قدرة خالقنا. . . .

الأستاذ: لقد أقنعتني نوعاً ما، وأود أن أسرد لك أمراً كنت أسأل عن ذلك دوماً، وهو يجول في مخيلتي، وكانت الإجابة عنه نوعاً ما صعبةً إلا أنها الآن أصبحت أكثر يسراً، والأمر هو:

عندما كان بعض طلاب المسلمين يتحدثون لي بأن نبيكم كان حافظاً لكلمات القرآن في صدره، وكنت أتعجب من هذا الأمر المستحيل. !! ولكن الآن أقول، إذا كان بوسع الإنسان أن يصنع القرص المدمج (CD)، والـ Removable disc ويخزن فيهما عشرات أحجام القرآن من المعلومات، فهل يصعب ذلك على الخالق؟.

الطالب: أيها الأستاذ أنا أودّ أن أطرح عليك سؤالاً وأقول: إذا أراد العلماء جميعاً أن يصنعوا جهاز كومبيوتر سعة خزنه بقدر سعة خزن دماغ الإنسان يا ترى ماذا تتصور أن يكون حجم ذلك الكمبيوتر؟

الأستاذ: ربما يستلزم ذلك حجم عمارة كبيرة مكونة من مئة طابق.

الطالب: إذن اعترفت الآن بقدرة الله، فإذا كان هو قادر على أن يخلق دماغاً صغيراً كدماغ الإنسان ويخزن فيه معلومات تعادل سعتها كومبيوتراً حجمه يعادل حجم عمارة مكونة

من مئة طابق إذا ما أراد الإنسان أن يفعل ذلك بالضبط، يا ترى ما قدرته جلَّ وعلا؟!...

الأستاذ: يا دلاور سلّمت لك نفسي واعترفت بكل ما تقول ... اعلم أستاذي: نحن لا زلنا في عالم المادة، ثم هل تذكر أيها الأستاذ، أنه ليس بوسعك ولا بوسعي أن نرى كلانا لوحاً زجاجياً صافي الأديم، بالرغم من أن الزجاج هو مادة صرفة؟ اعلم أيها الأستاذ: من يدعي الكمال؟ وهل يدعيه إلا مُخرّف أو جاهل؟ .... ثم أن البشر مُنِحوا عقلاً مجالاته وأساليب وصوله محدودة بمعرفة مخلوقات الله وأنواعها المختلفة، أي محدودة بالكون الفسيح، لأن مجال معرفته لا يتعداه العقل، و لأن معرفته جاءت وتجيء عن طريق هذا الكون فقط، هذا الكون وضعته قوة عليا، كحد أقصى لمعرفة جميع عقول المخلوقات البشرية، لأن تلك المعرفة لا تتعدى هذا الكون بحال، أي أنه وضع حداً لأقصى معرفة مجتمعة أي أن تلك القوة الموجودة العليا لا يمكن قطعاً معرفتها ـ حتى لو تمثلنا نهاية قصوى للمعرفة البشرية ـ متجمعة متحددة. وستظل مجهولة في كنهها وفي حدودها لأنه لا حد لواضع الحدود القصوى.

الطالب: أستاذي الفاضل: دعني أوجه إليك سؤالاً كالآتي: هل كنت تتصور أنه من الممكن أن تخزن المعلومات الموجودة في مائة ألف كتاب على سبيل المثال في جهاز موبايل صغير أو قرص مدمج قبل عشرين عاماً من صنعها.

الأستاذ: كلا.

الطالب: وكيف الآن؟

الأستاذ: نعم إنه ممكن وها نحن نرى ونستخدم تلك الأدوات لخزن المعلومات الضخمة.

الطالب: ولكن كنت تكذبُ رجلاً قبل (30) عاماً لو قال لك: إنه بإمكان الإنسان أن يخزن المعلومات الضخمة الموجودة في آلاف الكتب في قرص صغير لا يتعدى وزنه عدة غرامات.

الأستاذ: نعم كنت لا أُصدّق ذلك.

الطالب: ولكن الآن أصبح واقعاً علمياً وفعلياً.

الأستاذ: طبعاً.

الطالب: إذن ألست على خطأ الآن إذا رفضت فيما لو قيل لك أنه بالإمكان أن يتقدم العلم بشكل بحيث أنه قادر على أن يخزن عشرات الكتب في حجم أداة لا تزيد سعتها سعة بطارية صغيرة الحجم لا يتعدى حجمها (2/ 1) سم أو ربما أصغر من ذلك طبعاً تقول: نعم...، لأن مداركك توسعت، حتى لو كان ذلك الأمر صعباً في أيامنا هذه ويستحيل تحقيقه الآن .... لكن قد يحصل في الآتي .... فيا ترى ما جوابك؟

الأستاذ: إنه من الممكن.

الطالب: إذن إذا كانت قدرة العباد هي كما وصِفَتْ آنفاً، فيا ترى ما قدرة خالق العباد؟!! وهل يستحيل أو يصعب على الله شيء؟

الأستاذ: بعد هذه المحاورات جعلتني أن أُغير رأيي كثيراً، فيما يخص قدرة الخالق.

الطالب: أوجه لك أيها الأستاذ سؤالاً وهو: إنه غير معلوم لحد الآن فيما إذا كان الفكر ينتقل عبر الفراغ كما يفعل الضوء، وإنه ليس من المؤكد أن تكون ظواهر تراسل الخواطر تعزى إلى انتقال في وسط مادي، وإنه من الجائز أنه لا يوجد اتصال فراغي بين الأفراد الذين يتصلون ببعضهم البعض،و إن ظاهرة تراسل الخواطر تحمل الرسائل بدون كلمات، إنها المخيلة الخلاقة، إذن إن كل هذه الظواهر موجودة مع أننا جميعاً لا ننكرها بل لا نراها، بالرغم من أننا لا نعلم كيف تحدث تلك الأمور، إذن إذا كانت هذه الأمور تعتقد بها وتعرف أنها حقيقية لا شك فيها، وهذه هي من قدرات الإنسان الذي وهبها الخالق له، فهل بعد كل هذا تنكر قدرة الخالق العظمى، ألم يحن أن تقول: إن الله قادر على كل شيء؟

كيف نكون إذا اتبعنا حديث رسول الله ﷺ

«اللّهم لا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا ولا غاية رغبتنا»

وكيف هو الآخر ؟...

لا شك أن كل مدنيات العالم التي تظهر عند الوهلة الأولى أو النظرة الأولى العابرة، هي مدنيات علمية وعقلية، إلا أنها بعد الفحص الحر والنقد المحايد، تظهر وتثبت أنها مدنيات حسية ومادية محضة، وأكثر هذه المدنيات فتنة بل وخداعاً، هي المدنية الغربية المعاصرة والتي تعتبر بقوة دعاياتها البراقة والساحرة، أكثر المدنيات البشرية عقلية وعلمية في التاريخ الإنساني. هذا يعني أن هذه المدنية الغربية لا تقيم للإيمان وما وراء الحس وزناً، ويعني أن هذه الحضارة يقوم تاريخها على ثورة مادية وعبادة الحس، وهذا يؤكد أن الفلسفة الحديثة انتهت بانتصار المادة على العقل، والحواس على الروح، والتجربة على الإيمان.

مع شديد الأسف لم يجد الإنسان في تاريخ المدنيات والحضارات الطويلة مدنية تستحق بكل معنى الكلمة أن تكون مدنية عقلية خالصة يكون فيها المحك في جميع القضايا، في قبولها ورفضها للأمور، وفي تصرفاتها وسلوكها، العقل فقط، فلا تخطو خطوة، ولا تتخذ قراراً أو موقفاً في الحياة حتى تعرضه على العقل، وتزنه في ميزانه، فإذا حكم العقل بصحته وحسنه قبلته، وإذا حكم بفساده أو ضعفه رفضته.

ولو قامت مثل هذه المدنية العقلية افتراضاً في بلد من بلاد العالم ضاقت الحياة على الناس، وصعب على الناس أن يعيشوا مع هذه المدنية حتى لمدة قصيرة من الحياة، وخير مثال لهذا الموقف هو قول أديب غربي: (إن الإنسان في حياته وأفعاله غير عاقل أكثر منه عاقلاً)، وهذا يعني أن المدنية العقلية لوحدها لا ترفه الناس، ما دام الإنسان في حياته غير عاقل أكثر مما هو عاقل، إذن تكون هذه المدنية العقلية أيضاً غير ملائمة تماماً لترفيه البشرية.

هذا يعني أن العقائد، والعادات والتقاليد، والأفكار والنظريات ومبادىء الأخلاق والثقافة لا يمكن كليةً أن تدخل في إطار العقل، أو تكون معياراً للقبول أو الرفض. وهذا يعني أن العقل إذا أصدر حكمه في هذه القضايا والأمور بالنفي أو التزييف، نبذه المجتمع وأعرض عنه)[1].

ولا ننسى أنه في بعض من الأحيان يرى العقل ـ زعماء العقل وممثلوه مصلحتهم – في أن يؤيده ويمنحه شهادة الصحة، أو يصبح له محامياً بارعاً، فيقيم الدلائل العقلية على صحة هذه التقاليد والعادات، أو المثل والقيم أو العقائد والأفكار، مهما كانت ممعنة في الخرافة والسفاهة، أو مقرونة بالظلم والقسوة، حتى يستريح العقل منها، وتستريح هي منه، فلا يكونان في نضال دائم، وفي عراكٍ دائم، فكم دافع العقل اليوناني عن البغاء الرسمي، وحرفة المومسات، والشذوذ الجنسي، الذي ظهر في المجتمع الإغريقي عندما بلغ أَوْجَهُ في المدينة والفلسفة والرياضيات، وكان من المدافعين عن كل ذلك الذين فلسفوه وشقوا الشعرة في فوائده ومصالحه، كبار فلسفة اليونان الذين لم يكن يرجى منهم الدفاع عن مثل هذه الرذائل [2].

إن الفرد الأوروبي العادي، يعرف ديناً واحداً إيجابياً هو التعبد للرقي المادي، ناهيك ما يكون سواء كان ديموقراطياً، أم فاشياً، أو رأسمالياً، أم مفكراً. هذا يعني أن الفرد يعتقد أنه ليس هناك في الحياة هدف آخر سوى جعل الحياة أَيسرَ فأَيسر، أليس هياكل هذه الديانة إنما هي منحصرة في المختبرات الكيمياوية، وقاعات الرقص والمصانع العظيمة ودور السينما والإنترنيت، ربما يسأل المرء من هم كهنة هذه الديانة؟ إنهم مهندسون، كواكب الأفلام والسينما، والممثلين، وقادات الصناعات وأبطال الطيران، فهنا الكل يسعى ويكدح من أجل بلوغ القوة والمسرة، وذلك بخلق جماعات متخاصمة مدججة بالسلاح ومصممة على أن يفني بعضها بعضاً حيثما تتصادم مصالحها المتقابلة، أما على الجانب الثقافي فنتيجة ذلك خلق طراز بشري تنحصر فلسفته الأخلاقية في مسائل الفائدة العلمية، ويكون أسمى فارق لديه بين الخير والشر، إنما هو التقدم المادي. إننا نجد في التطور الأساسي الذي تخضع له الحياة الاجتماعية في الغرب الآن، تلك الفلسفة الأخلاقية الجديدة المبنية على الانتفاع تبرز للعيان شيئاً فشيئاً، وكل الفضائل التي تتعلق مباشرة برفاهية المجتمع المادية – كالمقدرة الفنية

(1) بين الدين والمدنية : أبو الحسن علي الحسني ص57، 64، 65 . استفدت كثيراً من هذا المصدر وتصرفت فيه مع ما يتلائم مع موضوع بحثي.

(2) نفس المصدر أعلاه.

(العلمية التقنية) والوطنية والشعور القومي - هي اليوم موضع للمديح ولرفع قيمته فوق ما هو معقول، بينما الفضائل التي ظلت تعتبر إلى اليوم المثل العليا من جهة قيمتها الخلقية الخالصة، كالحب الأبوي والعفاف، فهي تخسر قيمتها بسرعة لأنها لا تمنح المجتمع فائدة مادية محسوسة. لقد ولى العصر الذي كانت فيه متانة الروابط التي تربط الأسرة مقياساً لسعادة الأسرة والقبيلة ورفاهيتهما، وخلفه في الغرب الحديث، عصر يعنى بالتنظيم الاجتماعي تحت شعارات أوسع مدى من روابط الأسر والبيوتات. والمجتمع الذي يكون أساسه فنياً آلياً - ويخطو خطى واسعة بسرعة كبيرة إلى غايته الإلٰهية - لا يكون سلوك الابن فيه نحو أبيه ذا قيمة اجتماعية كبيرة، ما دام أفراد هذه الأسرة يعيشون في حدود الاحترام العام الذي فرضه المجتمع لمعاملة هؤلاء الأفراد بعضهم ببعض. وبالتالي، فإن الوالد الأوروبي يفقد في كل يوم شيئاً من سلطته على ابنه، وكذلك الابن يضعف احترامه لأبيه على مرّ الأيام، ولقد أصبحت صلاتهما المتبادلة ضعيفة وفي طريقها إلى الزوال، وذلك لقيام مجتمع آلي يميل إلى إلغاء كل امتياز لفرد ما على آخر،ونتيجته المنطقية أن الحقوق التي كانت تفرضها الأرحام والوشائج الدموية تصبح نسياً منسياً وبساطاً مطوياً[1].

يا ترى من المسؤول عن إعادة هذه القيم الاجتماعية إلى نصابها الأصل؟ الأسرُ والحكومات في الشرق الإسلامي لها دور في ذلك. واعلم أيها القارىء العزيز أنه ليس من الضروري أن يكون التقدم العلمي متماشياً مع القيم الاجتماعية بشكل معكوس، فالخلق والقيم الاجتماعية في اليابان لا تسير بهذا الشكل المعكوس، وإن تغيرت لديهم بعض الأمور التي أدخلتها الدول الغربية وعلى رأسها أمريكا وهذه ماليزيا وقد تقدموا صناعياً، ومع ذلك فقيمهم الاجتماعية لا زالت ثابتة لم تتغير.

بعد كل ما سلف فالدنيا بلا إيمان وعقيدة بالله لا سعادة فيها أبداً بقول معجم (لاروس) لقرن العشرين: (إن الغريزة الدينية مشتركة بين كل الأجناس البشرية، حتى أشدها همجية، وأقربها إلى الحياة الحيوانية ... وإن الاهتمام بالمعنى الإلٰهي وبما فوق الطبيعة هو إحدى النزعات العالمية الخالدة للإنسانية). فالغريزة الدينية هي فطرة الإنسان التي فطر الناس عليها. فمن يستطيع أن يمحو الغريزة ويبدل الفطرة ؟! ....

(1) الإسلام على مفترق الطرق (Islam at the cross roads) للأستاذ محمد أسد Leopold weiss سابقاً.

(إن الحياة الأخرى ـ أيها الناس ـ هي بمثابة ولادة جديدة، وطور آخر من أطوار الحياة، فكما أن الطفل الذي هو لا يزال جنيناً في رحم أمه يشعر بأن محيطه الضيق هو العالم الواسع، ولا يصدق أبداً أن هناك عالم أوسع من عالمه يختلف في كل شيء، وفي كل مظهر من مظاهره، وحتى في أسلوب حياته ومعيشته، كذلك هؤلاء الناس، لا يصدقون بأن هناك عالماً أوسع من هذا العالم يختلف عنه في كل مظهر من مظاهره. وما كانت حجتهم الآ حجة الجنين. أنه ما دام لم يرجع أحد من الناس إلى بطن أمه مرة ثانية ويخبر الجنين بأن العالم الذي يستقبله هو خير من عالمه الذي يعيش فيه، وأن الخير كل الخير في أن يخرج إلى ذلك العالم، ما دام لم يكن ذاك، فلينكر الجنين إذن وجود العالم الكبير، وليتشاءم من خروجه من بطن أمه وليستقبل الدنيا بالبكاء . . . وكذلك هم، ما دام أنه لم يعد أحد من قبره إلى الدنيا يخبرهم بحقيقة الأمر فلينكروا إذن كما ينكر الجنين)[1].

نعم لقد نسي (الآخر) ملكوت الله وحاكميته، إذ ينطبق عليه قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [يونس: 31]

هل ترى أيها القارىء العزيز أن كل ما يؤدي إلى الغفلة في حياتنا الدنيا وما يشغل القلب بالدنيا من أمور هي محرمة لا محالة في المدينة الإسلامية، ولا شك أن الإسلام لا ينظر إلى هذه الأمور بعين الرضا، حيث قال سيدنا محمد ﷺ: «**إن عباد الله ليسوا بالمتنعمين**» كما دعا الرسول ﷺ وقال: «**اللّهم لا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا ولا غاية رغبتنا**» .

فالإنسان العاقل الذي يعتقد أن لهذا الكون ولحياتنا هذه هدفاً وغرضاً، وإنهما لم يخلقا عبثاً، وأن الإنسان تابع ومحكوم بلا ريب، هذه التأملات تنبع في مخيلة الإنسان الذي يشعر بالمسؤولية بقيمة الحياة الحقيقية، ويغتنم كل نفس من أنفاسه ولا يضيّعه سدى، لتتوفر له السعادة في الحياة والتمتع بمباهجها، إن هذا الإنسان الذي وصفته آنفاً يُؤمِّن بأفعاله وصفاته الحياة الآتية لكي يسعد هناك أيضاً، إن الإنسان العاقل هو ذلك الذي يعتبر الحياة وزينتها امتحاناً وبلاء له، فلا يخوض فيها إلا كما يدخل في الاختبار (بدلاً من أن يسرح فيها كما يسرح غافل في منتزه فسيح ويعتقد أن الحياة فرصة طويلة للترف والنعمة) نعم هكذا يفكر الآخر، وكأن خَلقَه جاء عبثاً وأنه لا يرجع إلى الله بعد انتقاله إلى العالم الآخر.

---

(1) نداء الروح، فاضل صالح السامرائي، بتصرف.

إنَّ الاعتقاد بأن الحياة الدنيا فانية وحياة الآخرة باقية خالدة، يبعد المرء من حسد وتركيز اهتمامه وعنايته بنِعَم الدنيا.

حيث إن الأثر الذي يترتب على أعمال الإنسان وأخلاقه بفعل هذه العقيدة يعترف بعمقه وسعته علماء الأخلاق الماديون أيضاً، ينقل صاحب الكتاب السابق الذكر عن ليكي (Lecky) في كتاب (تاريخ أخلاق يورب)[1]. ما يلي :

(لو عرف الإنسان وأيقن أنه سوف يجد جزاء أعماله كثواب دائم أو عذاب خالد في محكمة حاكم خبير وبصير، كانت هذه العقيدة محركاً كبيراً للأعمال الصالحة، ولا يخطر بباله خاطر المعصية) . . .إذن هل ينغمس مثل صاحب هذه العقيدة في ملذات الدنيا ونعيمها؟ طبعاً الجواب هو: كلا، وهل تتولد في مثل هؤلاء الرجال عاطفة المنافسة في جعل هذه الحياة أكثر راحة ورخاءً، إنهم يقضون حياة زهد وفقر لا يمثلها الرهبان والزهاد وسكان الصحارى وهم يملكون زمام الأمور ويتولون الحكم، إن قصة زهد عمر معروفة متواترة في التاريخ وكان إذا أَصَرَّ عليه أحد على أن يتناول طعاماً لذيذاً كان يقول: أخاف أن يقال لي يوم القيامة: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا﴾ [الأحقاف:20] وكان إن قدم إليه أحدٌ طعاماً لذيذاً سأله عمر: أيأكل المسلمون كلهم مثل هذا الطعام أو يستطيعون أن يأكلوه؟ فإن كان الجواب بالنّفي كان لا يصيب منه شيئاً. يا ترى أيها القارىء هل هناك في هذا العصر قائد أو رئيس دولة منذ عشرات السنين يفعل ويفكر ما فعله عمر؟ هناك شعوب مسلمة يموت كثير منها من الفقر، أما رؤساؤها فهيهات هيهات . . . .

إن قصة رحلة عمر رضي الله عنه إلى بيت المقدس بعد فتحها ستخلد في التاريخ، قال أبو العتاهية:

(قدم عمر بن الخطاب رضي الله عنه الجابية على جمل أو رق تلوح صلعته للشمس ليس عليه قلنسوة ولا عمامة، رجلاه بين شعبتي رحله بلا ركاب، وطؤه كساء بنجابي ذو صوف، هو ركابه إذا ركب، وفراشه إذا نزل، حقيبته نمرة أو شملة، محشوة ليفاً، هي حقيبته إذا ركب، ووسادته إذا نزل، عليه قميص من كرابيس قد رسم وتخرق جنبه)[2]. هذه كانت راحلة أكبر حاكم على وجه الكرة الأرضية آنذاك.

---

(1) المصدر السابق الذكر، ص: 154.

(2) البداية والنهاية ج/7، ص: 59-60.

يا سبحان الله، . . . أين نحن اليوم من الحكام في بلادنا، قرأت في إحدى المجلات أن حاكماً في بلادنا يُصنع له حذاء كل شهر في إيطاليا سعره (10000) دولار، شتان بين هؤلاء وبين رحلة عمر وأخلاق عمر، لو اقتدت قيادات هذه الدول بسيدنا عمر لما وصل الحال إلى ما نحن عليه الآن . . . اعلم أيها القارىء أن الإنسان مهما كان ثرياً فإنه لا يركب إلا سيارة واحدة، ولا يحتاج إلى أكثر من مسكن واحد يعيش فيه . . . إذن ما قيمة الدنيا حتى لو ملكها الإنسان كلها، وما قيمة سرقة أموال الشعب للوصول إلى هذه الدرجة من البذخ كما جاء في مثالي الآنف الذكر.

ولو عدنا للتاريخ وقرأنا سيرة الخليفة عمر بن عبد العزيز لاندهشنا من خُلقه العالي، (فيروى عنه أنه كان يصلي العتمة، ثم يدخل على بناته فيسلم عليهن، فدخل عليهن ذات ليلة، فلما أحسنه وضعن أيديهن على أفواههن ثم تبادرن الباب، فقال للحاضنة: ما شأنهن؟ قالت: إنه لم يكن عندهن شيء يتعشينه إلا عدس وبصل، فكرهن أن تشم ذلك من أفواههن، فبكى عمر ثم قال لهن: (يا بناتي ما ينفعكنّ أن تعشن الألوان، ويُأمَر بأبيكن إلى النَّار، قال: فَبَكين حتى علت أصواتهن فانصرفن ثم انصرف)[1].

سأقص على القارىء قصصاً في عالمنا الحاضر بحيث أن تلك القصص تبكي لها ربَّما أقسى القلوب، قصص لم نسمع بها منذ مئات السنين، وهنا أود أن أدرج في موضوعي هذا وثائق عما يجري في عالمنا، وكيف أن الفقر الفاحش قد انتشر في عالمنا المعاصر ونحن غافلون، بل ونحن غارقون في البذخ والترف، قصة طفل يسحب أمه وهو يبكي ولا يدري أن أمه قد فارقت الحياة من الجوع، قصة أبكت جميع العالم بمسلميه، ومسيحييه، ويهودييه، وبوذييه . . . .

أما القصة الأخرى التي هزَّت الكون بأكمله لدرجة يقال أن المصور الذي التقت الصورة من شدة تأثره قد انتحر. . . نعم، فالصورة يظهر فيها نسرٌ ينتظر مَوت طفل ضعيف وهو في طريقه ليفارق الحياة من شدة الجوع.

إذن أين نحن جميعاً من الإسلام؟ كلنا مسؤولون أمام الله يوم القيامة، أغنياؤنا، حكامنا، زعماؤنا، قياداتنا بل وكل فرد لديه لقمة العيش اليومية . . . .

---

(1) سيرة عمر بن عبد العزيز، ص: 55، نقلاً من كتاب بين الدين والمدينة، أبو الحسن الحسني الندوي، ص: 111.

إن كثيراً منا في بلادنا يعيش عيش بذخ، وترف وتبذير . . . . . الحاكم الصحيح هو كعمر ابن عبد العزيز وهل نسينا قصته الآنفة الذكر . . . هكذا يكون من يقتدي بدين محمَّد ﷺ.

أيها الأخ القارىء، أتعجب كثيراً عندما أرى أن الآخر يصرف شهرياً مليارات الدولارات في الحروب في الوقت الذي ينشر الفقر في كثيرمن بلاد العالم، وأتعجب كثيراً من مليارات الدولارات التي تصرف على الكلاب وطعامها والبشر جائع وهذا مصيره كما جاء آنفاً؟ !! أتعجب من عدد الكلاب في اليابان على سبيل المثال وليس الحصر فإنه أكثر من عدد الأطفال دون العاشرة[1].

فالأموال التي تصرف على حياة هذه الكلاب مبالغ خيالية لا تصدق. والمُحيّر أن تكاليف تنظيف أسنان كلب واحد كان قبل (5) أعوام هو (500) دولاراً في أمريكا، في الوقت الذي كان تنظيف أسنان الإنسان يكلف (200) دولاراً. أليس مِن الغرابة أن تعيش العالم بهذه الصورة!؟ . . .

(1) من قناة mbc الفضائية في 13/ 1/ 2008.

قصة رجل مُتَبَحِّرٍ في الكتاب المقدس

أعلن إسلامه وكان أكبر داعية للنصرانية في كندا !!!

هذا الرجل الذي يدعى جرَاي مِلَرْ (Gray Miller) كان أكبر داعية للنصرانية في كندا، يعلن إسلامه ويتحول إلى أكبر داعية للإسلام في كندا، كان من المبشرين النشطين جداً في الدعوة إلى النصرانية وأيضاً هو من الذين لديهم علم غزير بالكتاب المقدس (Bible)[1].

هذا الرجل يحب الرياضيات بشكل كبير، لذلك يحب المنطق أو التسلسل المنطقي للأمور...

ما قصة هذا الرجل؟

في أحد الأيام أراد هذا الرجل أن يقرأ القرآن بقصد أن يجد فيه بعض الأخطاء التي تعزز موقفه عند دعوته للمسلمين إلى الدين النصراني ...

كان يتوقع أن يجد في القرآن الذي هو كتاب قديم و مكتوب منذ 14 قرن يتكلم عن الصحراء وما إلى ذلك... لكنه ذهل مما وجده فيه ... بل واكتشف أن هذا الكتاب يحوي أشياءً لا توجد في أي كتاب آخر في هذا العالم....

كان يتوقع أن يجد بعض الأحداث العصيبة التي مرت على النبي محمَّد ﷺ مثل وفاة زوجته خديجة رضي الله عنها أو وفاة بناته وأولاده. ... لكنه لم يجد شيئاً من ذلك ....

بل الذي جعله في حيرة من أمره أنه وجد أن هناك سورة كاملة في القرآن تسمى سورة مريم، وفيها تشريف لمريم عليها السلام لا يوجد مثيل له في كتب النصارى ولا في أناجيلهم!!

---

(1) www.sesaiah.com بتصرف وإضافات.

ولم يجد سورة باسم عائشة أو فاطمة ﷺ.

وكذلك وجد أن عيسى عليه السلام ذُكِرَ بالاسم (25) مرة في القرآن في حين أن النبي محمد ﷺ لم يذكر اسمه إلا (5) مرات فقط فزادت حيرة الرجل . . . أخي القارىء إن كان القرآن من عند غير الله لاختلف الأمر كثيراً، ألا توافقني على ذلك؟ . . .

أخذ هذا الرجل يقرأ القرآن بتمعن أكثر لعله يجد مأخذاً عليه . . . ولكنه صعق بآية عظيمة وعجيبة ألا وهي :

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء:82].

يقول الدكتور (مِلَرْ) الذي أسلم بعد هذه الآية: (من المبادئ العلمية المعروفة في الوقت الحاضر هو مبدأ إيجاد الأخطاء أو تقصي الأخطاء في النظريات إلى أن تثبت صحتها وهو ما يسمى بـ (Falsification test).

والعجيب أن القرآن الكريم يدعو المسلمين وغير المسلمين إلى إيجاد الأخطاء فيه ولن يجدوا . . . . (يقول أيضاً عن الآية السالفة الذكر: لا يوجد مؤلف في العالم يمتلك الجرأة ويؤلف كتاباً ثم يقول: هذا الكتاب خالٍ من الأخطاء. ولكن القرآن على العكس تماماً يقول لك: لا يوجد أخطاء بل ويعرض عليك أن تجد فيه أخطاء ولن تجد).

يا لعظمة الخالق . . . !!

ومن الآيات التي وقف الدكتور (مِلَرْ) عندها طويلاً هي:

﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنبياء:30] و يقول (مِلَرْ) أيضاً: (إن هذه الآية هي بالضبط موضوع البحث العلمي الذي حصل على جائزة نوبل في عام 1973، وكان عن نظرية الانفجار الكبير وهي تنص أن الكون الموجود هو نتيجة انفجار ضخم حدث منه الكون بما فيه من سمٰوات وكواكب).

فالرَتق هو الشيء المتماسك، في حين أن الفتق هو الشيء المتفكك فسبحان الله . . . ويردف الدكتور(مِلَرْ) قائلاً: الآن نأتي إلى الشيء المذهل في أمر النبي محمَّد ﷺ وادّعاء المشركين بأن محمداً كاهن، وإن القرآن كهانة تلقيها الشياطين على محمَّد كما تلقى على غيره فقال الله تعالى: ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾ إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ﴾ [الشعراء:210-212].

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ [النحل:98]

أرأيتم؟؟ هل هذه طريقة الشيطان في كتابة أي كتاب؟؟ يؤلف كتاباً ثم يقول قبل أن تقرأ هذا الكتاب يجب عليك أن تتعوذ مني؟؟ إن هذه الآيات من الأمور الإعجازية في هذا الكتاب المعجز ! وفيها رد منطقي لكل من قال بهذه الشبهة.

ومن القصص التي أبهرت الدكتور (مِلَرْ) ويعتبرها من المعجزات هي قصة النبي ﷺ مع أبي لهب.

يقول الدكتور(مِلَرْ):

(هذا الرجل أبو لهب كان يكره الإسلام كرهاً شديداً لدرجة أنه كان يتبع محمداً ﷺ أينما ذهب ليقلل من قيمة ما يقوله الرسول ﷺ ، إذا رأى الرسول يتكلم لناس غرباء فإنه ينتظر حتى ينتهي الرسول من كلامه ليذهب إليهم ثم يسألهم: ماذا قال لكم محمد؟ لو قال لكم أبيض فهو أسود ولو قال لكم ليل فهو نهار، والقصد أنه يخالف أي شيء يقوله الرسول الكريم ﷺ ويشكك الناس فيه. قبل 10 سنوات من وفاة أبي لهب نزلت سورة في القرآن اسمها سورة المسد، هذه السورة تقرر أن أبا لهب سوف يذهب إلى النار، أي بمعنى آخر أن أبا لهب لن يدخل الإسلام، خلال عشر سنوات كل ما كان على أبي لهب أن يفعله هو أن يأتي أمام النّاس ويقول: (محمَّد يقول إني لن أسلم وسوف أدخل النار ولكني أعلن الآن أني أريد أن أدخل في الإسلام وأصبح مسلماً) ـ ولو كان قد فعل ذلك لنَسَف القرآن بكامله ـ الآن ما رأيك أخي القارىء، هل محمَّد صادق فيما يقول أم لا؟ هل الوحي الذي أتاه وحي إلٰهي؟. لكن أبا لهب لم يفعل ذلك تماماً رغم أن كل أفعاله كانت هي مخالفة لرسول الله ﷺ لكنه لم يخالفه في هذا الأمر .

يعني القصة كأنها تقول أن النبي ﷺ يقول لأبي لهب: أنت تكرهني وتريد أن تنهيني، حسناً لديك الفرصة أن تنقض كلامي! . . . لكنه لم يفعل خلال عشر سنوات!! لم يسلم ولم يتظاهر حتى بالإسلام!!

عشر سنوات كانت لديه الفرصة أن يهدم الإسلام بدقيقة واحدة ! ولكن لأن القرآن العظيم ليس كلام محمّد ﷺ ولكنه وحي ممن يعلم الغيب ويعلم أن أبا لهب لن يسلم

ومات ولم يسلم، إذن أليس هذا الأمر معجزة؟.... كيف لمحمد ﷺ أن يعلم أن أبا لهب سوف يثبت ما في السورة، إن لم يكن هذا وحياً من الله؟؟ أيها القارىء أليس علينا إذن أن نتباهى بديننا وبالقرآن العظيم؟

كيف يكون هذا الرسول ﷺ واثقاً من نفسه خلال عشر سنوات أن ما لديه حق لو لم يكن يعلم أنه وحيٌ من الله؟؟

لكي يضع الشخص نفسه في مأمن من هذا التحدي الخطير ليس له إلا أمر واحد وهو أن ما يقوله هو (وحي مِن الله):

﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝٤ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾ [المسد: 1-5].

يقول الدكتور (مِلَز) عن آية أبهرته لإعجازها الغيبي:

(من المعجزات الغيبية القرآنية هو التحدي للمستقبل بأشياء لا يمكن أن يتنبأ بها الإنسان وهي خاضعة لنفس الاختبار السابق ألا وهو (falsification tests) أو مبدأ إيجاد الأخطاء حتى تتبين صحة الشيء المراد اختباره، وهنا سوف نرى ماذا قال القرآن عن علاقة المسلمين مع اليهود والنصارى، القرآن يقول: أن اليهود هم أشد الناس عداوة للمسلمين وهذا مستمر إلى وقتنا الحاضر فأشد الناس عداوة للمسلمين هم اليهود).

ويكمل الدكتور (مِلَز):

(إن هذا يعتبر تحدٍ عظيم ذلك أن اليهود لديهم الفرصة لهدم الإسلام بأمر بسيط، ألا وهو أن يعاملوا المسلمين معاملة طيبة لبضع سنين ويقولون عندها: ها نحن نعاملكم معاملة طيبة والقرآن يقول أننا أشد الناس عداوة لكم، إذن القرآن خطأ! ولكن هذا لم يحدث خلال أكثر من 1400 سنة!! ولن يحدث لأن هذا الكلام نزل من عند الذي يعلم الغيب وليس كلام بشر !!)

يكمل الدكتور (مِلَز):

(هل رأيتم أن الآية التي تتكلم عن عداوة اليهود للمسلمين تعتبر تحدٍ للعقول؟)

﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [المائدة: 82-84]

وعموماً هذه الآية تنطبق على الدكتور (مِلَر) حيث أنه من النصارى الذي عندما علم الحق آمن و دخل الإسلام وأصبح داعية له . . . وفقه الله.

يكمل الدكتور (مِلَر): عن أسلوب فريد في القرآن أذهله لإعجازه قائلاً:

(بدون أدنى شك يوجد في القرآن توجه فريد ومذهل لا يوجد في أي مصدر آخر، وذلك أن القرآن يعطيك معلومات معينة ويقول لك: لم تكن تعلمها من قبل!! مثل :

﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ ۖ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ [آل عمران: 44]، و﴿تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۛ فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [هـــــود: 49]، و﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۖ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓا۟ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾ [يوسف: 102].

يستمر الدكتور (مِلَر) ليقول:

(لا يوجد كتاب مما يسمى بالكتب الدينية المقدسة يتكلم بهذا الأسلوب، كل الكتب الأخرى عبارة عن مجموعة من المعلومات التي تخبرك من أين أتت هذه المعلومات، على سبيل المثال الكتاب المقدس (الإنجيل المحرف) عندما يناقش قصص القدماء فهو يقول لك: الملك فلان عاش هنا وهذا القائد قاتل هنا معركة معينة وشخص آخر كان له عدد كذا من الأبناء وأسماءهم فلان وفلان الخ. ولكن هذا الكتاب (الإنجيل المحرف) دائماً يخبرك إذا كنت تريد المزيد من المعلومات يمكنك أن تقرأ الكتاب الفلاني أو الكتاب الفلاني لأن هذه المعلومات أتت منه).

ويضيف الدكتور (مِلَر):

(بعكس القرآن الذي يمد القارىء بالمعلومة ثم يقول لك هذه معلومة جديدة بل ويطلب منك أن تتأكد منها إن كنت متردداً في صحة القرآن بطريقة لا يمكن أن تكون من

عقل بشر. والمذهل في الأمر هو أهل مكة في ذلك الوقت -أي وقت نزول هذه الآيات - ومرة تلو مرة كانوا يسمعونها ويسمعون التحدي بأن هذه معلومات جديدة لم يكن يعلمها محمّد ﷺ ولا قومه، بالرغم من ذلك لم يقولوا: هذا ليس جديداً بل نحن نعرفه، أبداً لم يحدث أن قالوا مثل ذلك ولم يقولوا: نحن نعلم من أين جاء محمّد بهذه المعلومات، ولكن الذي حدث أن أحداً لم يجرؤ على تكذيبه أو الرد عليه لأنها فعلاً معلومات جديدة كلياً!!! وليست من عقل بشر، ولكنها من الله الذي يعلم الغيب في الماضي والمستقبل).

يذكّرني إسلام دكتور (مِلَرْ) بالآيتين الكريمتين ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ﴾ [التكوير:27-28] بدليل أننا نرى العباقرة والمفكرين الذين كانوا على غير الإسلام، حينما يريدون أن يبحثوا هذه المسألة بحثاً عقلياً، فإنهم يفاجئون العالم بدخولهم في دين الإسلام، كما فاجئنا البارحة الفيلسوف الفرنسي (رينيه جينو) المختص في الفلسفة، ويفاجئنا هذه الأيام الدكتور (مِلَرْ) الكندي الجنسية، والله أعلم من سيكون نصيبه الهداية غداً وبعد غد. والسؤال هنا هو: لماذا هؤلاء العلماء بالذات يدخلون الإسلام؟ لأنهم يريدون أن يصلوا إلى الحقيقة، فإنهم بحثوا عن الحقيقة فوجدوها ووصلوا إليها....

أخي القارىء الكريم لا بد أنك تسأل: ما الذي حفّز هذا الرجل الغربي إلى البحث عن بديل؟ إني على يقين أن هذا الرجل المتبحر في الكتاب المقدس قد عكف كسائر أقرانه الغربيين إلى دراسة علمية نقدية لنصوص الكتاب المقدس بحثاً عن قيمته العلمية والتاريخية، فانتهى من دراسته تلك إلى ارتياب في مصادرها، بل إلى يقين بأن تلك الكتب المقدسة ليست كما يقال: نصوص منزلة من مشكاة الوحي، بل إنها أفكار بشرية ينقصها البرهان العلمي.

جزاك الله خيرا يا دكتور (مِلَرْ) على هذا التدبر الجميل لكتاب الله في زمن قلَّ فيه التدبر، وقد تنطبق عليك وعلى أمثالك الآيات القرآنية:

﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر:28]

﴿رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ﴾ [البينة:8]

﴿هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾ [الأعراف:154]

لعِلم القارى إنَّ الدكتور(مِلَرْ) هو أستاذ للرياضيات بجامعة الملك فهد للبترول والمعادن. .كندي الأصل. .كان قسيساً يدعو للنصرانية وبعد أن مَنَّ الله عليه بالإسلام وقف يخطب في الناس قائلاً:

(أيها المسلمون، لو أدركتم فضل ما عندكم على ما عند غيركم، لحمدتّم الله أن أنبتكم من أصلاب مسلمة، وربّاكم في محاضن المسلمين وأنشأكم على هذا الدين العظيم، إن معنى النبوة.. معنى الألوهية.. معنى الوحي.. الرسالة.. البعث.. الحساب.. كل تلك المعاني - عندكم وعند غيركم - فرق ما بين السماء والأرض).

ثم يضيف قائلاً:

(لقد جذبني لهذا الدين وضوح العقيدة، ذلك الوضوح الذي لا أجده في عقيدة سواه).

ولكي يطمئن القارىء على صحة هذه القصة فليقرأ بأم عينيه موجزاً بسيطاً جداً لتلك القصة باللغة الإنجليزية وكالآتي:

About Gary Miller، the author

Gary Miller (Abdul - Ahad Omar) shows how we can establish true faith by setting standards of truth. He illustrates a simple but effective method of finding out the right direction in our search for truth.

G.R. Miller is a mathematician and a theologian. He was active in Christian missionary work at a particular point of his life but he soon began to discover many inconsistencies in the Bible. In 1978، he happened to read the Qur'an expecting that it، too، would contain amixture of truth and falsehood.

He discovered to his amazement that the message of the Qur'an was precisely the same as the essence of truth that he had distilled from the Bible. He became a Muslim and since then has been active in giving public presentations on Islam including radio and television appearances. He is also the author of several articles and publications about Islam.

وإذا أراد المرء أن يتواصل مع الدكتور (مِلَر) فليتواصل معه عن طريق البوابة الإلكترونية الآتية:

sa.edu.gmiller@kfpum

يقول وزير الداخلية الإيطالي: العذراء محجبة

كيف أمنع ارتداء الحجاب في إيطاليا !؟

أمر غريب لم يكن يتوقع المرء وقوعه

هل سَمِعتْ بهذا التصريح الكاتبة الروائية المسلمة (مع الأسف) - التي تنادي برفع حجاب المرأة؟ إن هذا التصريح ليخزي كثيراً الدول المسلمة التي نظامها علماني وشعوبها مسلمة، وأقصد منها تركيا على سبيل المثال وليس الحصر. لا شك أننا كشعوب مسلمة نعلم أن فينا متطرفين علمانيين ينادون برفع الحجاب. فيا ترى ما موقفهم الآن وهم يستمعون إلى تصريح وزير الداخلية الإيطالي (جوليانو أماتو) كلام هذا الوزير هو ضربة موجهة في وجوه الذين يمنعون ارتداء الحجاب. يقول هذا الوزير: إذا كانت مريم العذراء محجبة إذن فكيف أمنع الحجاب في إيطاليا؟

أعلن وزير الداخلية الإيطالي (جوليانو أماتو) [1] أنه لا يمكن معارضة ارتداء المرأة المسلمة في بلاد إيطاليا للحجاب، وذلك لسبب واضح و بسيط و هو: أن السيدة مريم العذراء والدة نبينا عيسى عليه السلام كانت تضع الحجاب على رأسها أيضاً، وهي أقدس امرأة عرفها التاريخ. نعم، إنها واحدة من أربعة نساء هن الأكمل في بني الإنسان كما ورد في القرآن الكريم و في أحاديث رسولنا الكريم محمد ﷺ، والنساء الأربعة هن: خديجة، وابنتها السيدة فاطمة الزهراء، ومعهما أم سيدنا عيسى عليه السلام (السيدة مريم العذراء) وزوجة فرعون مصر السيدة (آسية).

بعد كل ما سلف أما تستحي بعض الدول المسلمة منع ارتداء الحجاب وهو أمر إلهي لا شك فيهِ؟ ما جزاء حكام هذهِ الدول يوم القيامة بل وحتى في هذه الدنيا؟ لقد جاء التصريح السالف الذكر من وزير الداخلية الإيطالي عندما كان يواجه النزعات العلمانية المتطرفة إلى تنادي بالتصدي لظاهرة الحجاب التي انتشرت بين النساء المسلمات في إيطاليا وحتى النساء الإيطاليات اللاتي أسلمن، واعتبروا ذلك اختراقاً خطيراً للثقافة المسيحية.

---

(1) / uaesm.maktob.com/vb/aue311613 - بتصرف مني بين حين وآخر.

وبالطبع اعتبر وزير الداخلية الإيطالي هذا المطلب غير لائق وتطرف ثقافي حسب قوله، وأنه شخصياً لا يستطيع الاستجابة له، وبالتالي لا يملك أي منطق أو حجة دينية أو ثقافية لمنع الحجاب في بلاده . . . نعم هذا هو تصريح وزير الداخلية الإيطالي في القلعة الكاثوليكية.

أليس من حقي أن أقول: نقبل فكرة أن الغرب الذي لا يعرف عن الإسلام بدقة كثيرة ويحاربنا في حجابنا، لكن ما يحز في النفس هو أن نجد من أبناء المسلمين من يقف أيضاً ضد الحجاب في الوقت الذي نجد فيه رجلاً غربياً مسيحياً بل وزيراً في إيطاليا يقف مع الحجاب . . . هذه مأساتنا!! وفي الآتي عنوان تصريح وزير الداخلية الإيطالي باللغة الإنجليزية هو:

Italy's Minister of Interior (Juliano Amato) Says:

I cannot ban Muslim ladies from wearing Hijab while Mary، Mother of our Prophet Jesus was wearing one .

رفيقي القارىء العزيز، دعني أطرح التساؤل التالي: هل ينتقم الله من الذين يقفون ضد الحجاب عاجلاً كان أم آجلاً؟ لعل أحسن الأجوبة على ذلك هو: هل نسي العالم كيف دمرت القاعدة البحرية التركية تدميراً كاملاً، بل إنها غرقت في البحر سنة 1999، ألم يسمِ (جليز كيبل) في إحدى كتبه: إن ذلك «انتقام من الله»؟

ربما لا يخفى على الكثير منا أن تركيا تعرضت لأسوأ هزة أرضية استمرت لفترة قليلة وذلك في الساعة الثالثة وثمان دقائق صباحاً يوم 17/9/1999، وقد بلغت قوة الزلزال 7,8 درجات على مقياس (ريختر). يا ترى أين كان مركز الزلزال من جولوك (Glucuk) القاعدة البحرية التركية على بحر مرمرة قريبة من إزميت (Izmit) والسؤال المهم. هو متى وقع ذلك الزلزال؟! عندما أقيمت حفلة لكبار الضباط الأتراك بمناسبة الاحتفال بالنصر العسكري في الحرب ضد الحجاب، وقد دُمرت القاعدة البحرية بمن فيها تدميراً كاملاً، بل إنها قد غرقت في البحر، هكذا يكون «انتقام الله ﷻ » . . . . أيها القارىء، اقرأ في الآتي ، ألا ترى أنه ينطبق تماماً على حادث الزلزال الآنف الذكر: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ

أَثْقَالَهَا ﴿٢﴾ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ﴿٣﴾ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴿٥﴾ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾ [الزلزلة: 1-8]

هذا هو مصير من يقف ضد ما أنزله الله على العالمين وقد جاء هذا الانتقام عاجلاً، هذا علماً بأن (مراد ويلفريد هوفمان) المسلم الألماني قد ذكر هذا الحدث في كتابه "رحلة إلى الإسلام" بدقة، حيث كان متواجداً أثناء ذلك الحدث في تركيا.

obeikandl.com

علماء من الآخر يقتربون من الإسلام

ويبحثون عن الحقيقة

يا ترى ماذا عنا نحن المسلمون؟!

إننا كمسلمين نتباهى كثيراً بديننا عندما نجد أن خيرة المفكرين في العالم ـ وعلى رأسهم علماء الأديان غير الإسلامية ـ يدخلون في ديننا الحنيف .

لعل أسئلة كثيرة تمر على أذهان المرء مهما كان دينه ولغته شرقياً كان أم غربياً، حاقداً أم غير حاقد على الإسلام، ومن تلكم الأسئلة:

لماذا يا ترى أن العلماء وخاصةً الذين يمتلكون عقولاً كبيرة يدخلون في دين الله ـ الإسلام ـ ؟

إن الإجابة عن هذا السؤال ليس يسراً وخاصةً إلى من هم من غير ديننا. ولعل المسيحي العادي يقول: لماذا يدخل بعض الرهبان الكاثوليك في الإسلام، وقد فعل ذلك منهم كثير وعلى سبيل المثال هناك اثنين من أبرشية (أسقفية) باريس، قد اعتنقا الإسلام مؤخراً.

دعني أشيد بعد قليل برأي المسلم الألماني الشهير (مراد ويلفريد هوفمان)[1] وأنا أوافقه كلياً على ما يقول لأني عشت في الغرب فترة قصيرة ورأيت الغربيين كما يراه الأخ المسلم الألماني (مراد ويلفريد هوفمان).

إني متأكد أن الحكومات الغربية وأقلامها لها دور في ستر حقيقة الإسلام عن مواطنيها وكل ما يعلمونهم عن الإسلام وما تكتبه جرائدهم ومجلاتهم حول الإسلام هو تعدد الزوجات، هضم حقوق المرأة في الإسلام وغيرها من الأمور . . .

---

(1) الرحلة إلى الإسلام، يوميات دبلوماسي ألماني 1951-2000 م، نقله إلى العربية د. محمد سعيد دباس 2006، ص: 216.

إلا أن علماء الغرب ورجالهم الفطاحل ليسوا بتلك السذاجة كي يقتنعوا بما وسائل إعلامهم المغرضة تنشره حول الإسلام، إنهم يتحققون بأنفسهم عن دين الإسلام في المصادر.

ولنقرأ معاً ما يقوله (هوفمان) في كتابه الآنف الذكر

على الرغم من قلة المثقفين الغربيين والفنانين الذين اكتشفوا الإسلام «وتعرفوا عليه» أمثال كل من: النمساوي ليونيد ويس (محمد أسد)، والبريطانيين: ريتشارد بورتون، ومارمادو كبكتل، ومارتن لينغز، وكات ستيفنس، والفرنسيين: رينيه غونون، وإيفا دو فيتري ميروفيتش، وروجيه جارودي، وموريس بيجارت، على الرغم من كل هؤلاء، فإن تقديرات عالم الأديان المشهور البروفسور الدكتور هانز كونغ (Hans kung) ـ هو المدير الحالي لمعهد البحوث المسكوني في توبنجن (Tubingen) في ألمانيا الذي أصبح على خلاف مع الكاثوليك التقليديين فترة ليست بالقصيرة ـ بأن الغربيين لا يعلمون عن الإسلام إلا القليل جداً، هي تقديرات صحيحة، بل إن كثيراً من "علماء الاستشراق الغربيين" أخفقوا بالفعل في فهم الإسلام بشكل متعمق، ويضيف المسلم الألماني (هوفمان) قائلاً: بعد كل هذا، نرى ألم يكن - يقصد علماء الاستشراق الغربيون ـ بشكل عام يخدمون الأطماع الاستعمارية، سواء كان ذلك بوعي، أم دون وعي، وذلك عندما يقيمون الإسلام حسب المسطره العالمية الافتراضية للمدنية الغربية ونظامها الأخلاقي؟

ولنسمع الكثير عن عالم الأديان الشهير البروفسور الدكتور (هانز كونغ)، حيث أنه أصبح على خلاف مع الكاثوليك التقليديين لفترة ليست بالقصيرة كما ذكرنا ذلك سابقاً، إلا أنه مع صدور كتابه بعنوان. «النصرانية وأديان العالم، 1984»، وصل في خلافه مع روما إلى مستوى جديد. فقد أصبح (كونغ) ميالاً تماماً أن يقبل محمّداً ﷺ، على أنه «نبي» وهو بعمله هذا يتابع العمل الذي بدأه من قبل الأستاذ الدكتور رودولف بولتمان (Rudolf Bultmann) في جامعة ماربورغ بعنوان «إزالة خرافات العهد الجديد» وقد تابع (كونغ) عمله بشكل منطقي ليشمل كافة الأديان الرئيسة في «حوار مسكوني» كان من قبل حكراً على المذاهب النصرانية فقط.

وقد بين (كونغ) خلال مؤتمر عُقد في شتوتغارت عام 1985 حول (العالم الإسلامي بين التقليد والتقدم)، بيّن أن الكنيسة لم تعد تدافع عن حكمها التقليدي عام 1442، أنه لا نجاة خارج نطاق تعاليمها (extra ecclesiam nulla salus).

ومن هذا التطور بالذات، ومخالفة للنتيجة العامة لمجلس الفاتيكان الثاني 1962 - 1965، فقد استنتج (كونغ) أن الأطروحة التالية وهي: «لا يوجد أنبياء خارج نطاق الكنيسة»، يجب أن يصبح هو الآخر لاغياً أيضاً. سبحان الله علماء الأديان من (الآخر) يثبتون أخطاء أديانهم المحرفة يوماً بعد يوم.

ويبين (كونغ) أنه حتى لو أدركنا (ولو متأخرين) أن الإسلام كان، وما زال طريقاً أصيلاً للنجاة، فإنه ليس بوسع الكنيسة ألا تدرك أن محمداً ﷺ، وهو الهادي والدليل على ذلك المسار، إنما هو«نبي ورسول حقيقي».

ويعتقد كونغ أيضاً بصحة وجهة نظر المسلمين أن العهد الجديد قد تنبأ بمجيء نبي آخر، وأن «كلاً من رسالة الإنجيل والقرآن الكريم، دون أدنى شك، يتفقان معاً من حيث المبدأ والإطار العام (315ff. Zeitschrift fuer Kulturausch - 198513 - pp)».

ثم طلب كونغ، بهدوء، من مناظريه الغاضبين في الكنيسة الكاثوليكية أن يدرسوا هذه الديانه العالمية التي أهملوها إلى حد كبير. ويبدو أن بعض الرهبان الكاثوليك قد فعلوا ذلك فعلاً، حيث إن اثنين منهم من أبرشية (أسقفية) باريس، قد اعتنقا الإسلام مؤخراً.

ويقتبس (برويز منظور) في مقاله في مجلة «مراجعات الكتاب الإسلامي العالمي (المجلد 6، العدد1، الصفحة 5)» ما كتبه إجناز جولدزهاير(Ignas Goldziher): ترى ماذا سيبقى من الأناجيل لو أن الطرق القرآنية (في تحقيق النصوص) قد طبقت عليها؟ ولعل الجواب السليم على هذا السؤال الذي أصاب عين الحقيقة سيفتض أولاً دراسة تشكل وتفسير العهد الجديد من حيث النواحي الفلسفية والأساطير الخرافية (الميثولوجية) التي كانت سائدة في ذلك العصر.

ويمكن أن تشمل هذه الدراسة على كل مما يلي:

العلاقة بين إلٰه الشمس مثراس (Mithras) والعبادات السرية الغامضة، واللاتينية ـ النصرانية (dies soli) ويوم «الأحد» في الأساطير الخرافية النصرانية.

العلاقة بين آلهة المصريين «إيزوس» (على أنها «نجمة البحر» / Stella maris وهي شخص من «الثالوث» المصري للآلهة)، والآلهة ـ الأم الرومانية ماجنا ماتار (Magna

Matar) التي تعرف أيضاً باسم وكيبلا وديبيه وديبيا، (Kybela - Dea - Dia) والعبادة النصرانية للسيدة مريم (التي يعتبرونها أُم الإله).

وأخيراً: العلاقة بين التقاليد الرومانية التالية الإمبراطورات الأموات بناء على قرارات مجلس الشيوخ وقرار مجلس نيقيه لترقية عيسى عليه السلام إلى مقام الربوبية (الألوهية) عام 325 «أستغفر الله». فإذا تم تطبيق طرق البحث التاريخي على كل من المصادر الدينية والمفاهيم، فإنه ليس هناك ما يمكن أن يقلق عليه الإسلام أو يخافه، بل وإن النصرانية تخشى على كل شيء فيها (فهو مهدد تماماً). إن (هانز كونغ) يرى هذا «جلياً»، وهو يتابع طريقه على مسار سيؤدي به إلى اعتناق الإسلام شخصياً، إن شاء الله [1].

أيها القارىء العزيز، أليس من العجب العجاب أن يفتش أكبر عالم في الأديان ـ وهو مسيحي ـ عن حقيقة الإسلام، وهذا التوجه للإسلام من قبل الغربيين هو الخطر الكبير على الآخر (الغرب) وعلى ديانتهم ولأن الآخر يخشى على دينه المحرف، لهذا نجد أن الآخر من جهته بدأ ينشر السموم والفساد في شرقنا الإسلامي، وبدأ الغرب يدخل حتى في مناهجنا المدرسية ووصل تدخله حتى حذف كثير من مواضيع الدين في الدروس الدينية وما تلك الأساليب إلا لبثّ الفوضى والخنى والفساد بين أمتنا ونحن عن كل ذلك غافلون، وإذا ما تم تنفيذ تلك المآرب فسوف تمر أمتنا بأصعب الويلات، وستذوق الأمرّين بعد سنوات، فحذف الدين في المدارس هو الذي يولد العنف والتطرف ـ فكلاهما لا دين له ـ وليس العكس، وسيندم الآخر (الغرب) على فعلته هذه في المستقبل القريب أو البعيد لكن بعد فوات الأوان. أنا شخصياً ترعرعت في أحضان الدين، ونحن المسلمون ضد التطرف الذي يصفه الغرب، لكن مع الأسف الشديد فإن كثيراً من القيادات في شرقنا في هذا العصر يحاولون إرضاء الغرب وحكوماتها التي تبث بيننا الفساد الخلقي والاجتماعي وتحثنا على حذف دروس الدين من المدارس، وكلنا نرى ونتحسس كيف يُدخلون الأمة في الفساد بكل أشكالها، وهمُّهم الوحيد هو أن نبتعد عن قيمنا التي علمنا إياها الله ورسوله . . . إذن أيها المسلم أنت لك هذا الدين العظيم وتحاول الابتعاد عنه ولكن أمثال الأستاذ الدكتور (هانز كونغ) المُتَبَحِّرون في دينهم يريدون الدخول في الإسلام وشتان بينكما. . .

---

(1) بارك الله في (مراد هوفمان) الألماني الجنسية في تأليفه المصدر السابق الذكر حيث جمع هذه المعلومات اللطيفة.

نص ما كتبه الفيزيائي الباكستاني (شانافاس) في ولاية (ميشيغان)

بعنوان:

هل كانت عائشة عروساً وهي في السادسة؟ باللغة الإنجليزية.

كيف توصل (شانافاس) إلى هذه الدراسة المباركة؟ يقول الكاتب المسلم شانافاس: (T.O Shanavas) سألني مرة صديق مسيحي، إن كنت سأزوّج ابنتي ذات الأعوام السبعة، لرجل في الخمسين من عمره. أجبته بالصمت. استمر وقال: إذا كنت لا تريد ذلك، فكيف تقبل زواج الطفلة البريئة عائشة ابنة السبع سنوات، من النبي. قلت له: بأني لا أملك إجابة. ابتسم صديقي، وترك في قلبي جرحاً. يظهر أن هذا المسلم الباكستاني أثّر فيه هذا السؤال وبحث إلى أن توصل إلى الجواب الشافي. فاقرأ عزيزي القارىء هذا النص لتعلم الجواب الشافي...

****

Was Ayesha A SixYear Old Bride? The Ancient Myth Exposed by T.O. Shanavas

A Christian friend asked me once: "Will you marry your seven year old daughter to a fifty year old man?" I kept my silence. He continued: "If you would not, how can you approve the marriage of an innocent seven year

(1) وجدت هذا المقال بالإنجليزية في موقع أشار إلى رابطه السيد نادر قريط جزاه الله خيراً.

old, Ayesha, with your Prophet? "I told him: " I dont have an answer to your question at this time." My friend smiled and left me with a thorn in the heart of my faith. Most Muslims answer that such marriages were accepted in those days. Otherwise، people would have objected to Prophet's marriage with Ayesha.

However, such an explanation would be gullible only for those who are naive enough to believe it. But unfortunately, I was not satisfied with the answer.

The Prophet was an exemplary man. All his actions were most virtuous so that we, Muslims، can emulate them. However, most people in our Islamic Center of Toledo, including me, would not think of betrothing our seven years daughter to a fifty - two - year old man. If a parent agrees to such a wedding, most people, if not all, would look down upon the father and the old husband.

In 1923, registrars of marriage in Egypt were instructed not to register and issue official certificates of marriage for brides less than sixteen and grooms less than eighteen years of age. Eight years later, the Law of the Organization and Procedure of Sheriah courts of 1931 consolidated the above provision by not hearing the marriage disputes involving brides less than sixteen and grooms less than eighteen years old. (Women in Muslim Family Law, John Esposito, 1982). It shows that even in the Muslim majority country of Egypt the child marriages are unacceptable.

So، I believed, without solid evidence other than my reverence to my Prophet, that the stories of the marriage of seven year old Ayesha to 50 year old Prophet are only myths. However، my long pursuit in search of the truth on this matter proved my intuition correct. My Prophet was a gentleman. And he did not marry an innocent seven or nine year old girl. The age of Ayesha has been erroneously reported in the hadith literature. Furthermore, I think that the narratives reporting this event are highly unreliable. Some of the hadith (traditions of the Prophet) regarding

Ayesha's age at the time of her wedding with prophet are problematic. I present the following evidences against the acceptance of the fictitious story by Hisham ibn' Urwah and to clear the name of my Prophet as an irresponsible old man preying on an innocent little girl.

EVIDENCE #1: Reliability of Source

Most of the narratives printed in the books of hadith are reported only by Hisham ibn 'Urwah، who was reporting on the authority of his father. First of all، more people than just one، two or three should logically have reported. It is strange that no one from Medina، where Hisham ibn 'Urwah lived the first 71 years of his life narrated the event، despite the fact that his Medinan pupils included the well - respected Malik ibn Anas. The origins of the report of the narratives of this event are people from Iraq، where Hisham is reported to have shifted after living in Medina for most of his life.

Tehzib ul Tehzib، one of the most well known books on the life and reliability of the narrators of the traditions of the Prophet، reports that according to Yaqub ibn Shaibah: "He [Hisham] is highly reliable، his narratives are acceptable، except what he narrated after moving over to Iraq" (Tehzib ul tehzib، Ibn Hajar Al 'asqalani، Dar Ihya al turath al Islami, 15 th century. Vol 11، p. 50).

It further states that Malik ibn Anas objected on those narratives of Hisham which were reported through people in Iraq: "I have been told that Malik objected on those narratives of Hisham which were reported through people of Iraq" (Tehzib ul tehzib، Ibn Hajar Al 'asqalani، Dar Ihya al turath al Islami، Vol.11، p. 50).

Mizan ul ai'tidal، another book on the life sketches of the narrators of the traditions of the Prophet reports: "When he was old، Hishams memory suffered quite badly" (Mizan ul ai'tidal، Al Zahbi، Al Maktabat ul athriyyah، Sheikhupura، Pakistan، Vol. 4، p. 301).

CONCLUSION: Based on these references، Hisham's memory was

failing and his narratives while in Iraq were unreliable. So, his narrative of Ayesha's marriage and age are unreliable.

CHRONOLOGY: It is vital also to keep in mind some of the pertinent dates in the history of Islam:

- o pre 610 CE: Jahiliya (pre Islamic age) before revelation
- o 610 CE: First revelation
- o 610 CE: AbuBakr accepts Islam
- o 613 CE: Prophet Muhammad begins preaching publicly.
- o 615 CE: Emigration to Abyssinia
- o 616 CE: Umar bin al Khattab accepts Islam
- o 620 CE: Generally accepted betrothal of Ayesha to the Prophet
- o 622 CE: Hijrah (emigation to Yathrib، later renamed Medina)
- o 623/624 CE: Generally accepted year of Ayesha living with the Prophet.

EVIDENCE #2: The Betrothal

According to Tabari (also according to Hisham ibn Urwah، Ibn Hunbal and Ibn Sad), Ayesha was betrothed at seven years of age and began to cohabit with the Prophet at the age of nine years.

However, in another work, Al Tabari says: "All four of his [Abu Bakrs] children were born of his two wives during the pre Islamic period" (Tarikh ul umam wal mamluk, Al Tabari (died 922), Vol. 4, p. 50, Arabic, Dar al fikr, Beirut, 1979) .

If Ayesha was betrothed in 620 CE (at the age of seven) and started to live with the Prophet in 624 CE (at the age of nine), that would indicate that she was born in 613 CE and was nine when she began living with the Prophet. Therefore, based on one account of Al Tabari, the numbers show that Ayesha must have born in 613 CE, three years after the beginning of revelation (610 CE). Tabari also states that Ayesha was born in the pre Islamic era (in Jahiliya). If she was born before 610 CE, she would have been at least 14 years old when she began living with the Prophet.

Essentially, Tabari contradicts himself.

CONCLUSION: Al Tabari is unreliable in the matter of determining Ayesha's age.

EVIDENCE # 3: The Age of Ayesha in Relation to the Age of Fatima

According to Ibn Hajar, "Fatima was born at the time the Ka'bah was rebuilt, when the Prophet was 35 years old... she was five years older that Ayesha" (Al isabah fi tamyizi l sahabah, Ibn Hajar al Asqalani، Vol. 4, p. 377, Maktabat ul Riyadh al haditha, al Riyadh، 1978).

If Ibn Hajars statement is factual, Ayesha was born when the Prophet was 40 years old. If Ayesha was married to the Prophet when he was 52 years old، Ayeshas age at marriage would be 12 years.

CONCLUSION: Ibn Hajar, Tabari and Ibn Hisham and Ibn Humbal contradict each other. So, the marriage of Ayesha at seven years of age is a myth.

EVIDENCE # 4: Ayeshas Age in relation to Asmas Age

According to Abdal - Rahman ibn abi zannad: "Asma was 10 years older than Ayesha (Siyar A'lam al-nubala، Al-Zahabi، Vol. 2، p. 289, Arabic, Muassasat ul - risalah, Beirut,1992).

According to Ibn Kathir: "She [Asma] was elder to her sister [Ayesha] by 10 years" (Al - Bidayah wal - nihayah, Ibn Kathir, Vol. 8, p. 371, Dar al - fikr al-arabi، A-jizah1933).

According to Ibn Kathir: "She [Asma] saw the killing of her son during that year [73 AH], as we have already mentioned، and five days later she herself died. According to other narratives, she died not after five days but 10 or 20, or a few days over 20, or 100 days later. The most well known narrative is that of 100 days later. At the time of her death, she was 100 years old." (Al - Bidayah wal - nihayah, Ibn Kathir, Vol. 8, p. 372, Dar al-fikr al'- arabi, Al - jizah, 1933).

According to Ibn Hajar Al - Asqalani: "She [Asma] lived a hundred years and died in 73 or 74 AH." (Taqrib ul - tehzib, Ibn Hajar Al-Asqalani,

p. 654, Arabic, Bab fil - nisa, al - harful - alif, Lucknow).

According to almost all the historians, Asma, the elder sister of Ayesha was 10 years older than Ayesha. If Asma was 100 years old in 73 AH, she should have been 27 or 28 years old at the time of the hijrah.

If Asma was 27 or 28 years old at the time of hijrah, Ayesha should have been 17 or 18 years old. Thus, Ayesha, being 17 or 18 years of at the time of Hijra, she started to cohabit with the Prophet between at either 19 to 20 years of age.

Based on Hajar, Ibn Katir, and Abdal - Rahman ibn abi zannad, Ayesha's age at the time she began living with the Prophet would be 19 or 20. In Evidence # 3, Ibn Hajar suggests that Ayesha was 12 years old and in Evidence # 4 he contradicts himself with a 17 or 18 - year - old Ayesha. What is the correct age, twelve or eighteen?

CONCLUSION: Ibn Hajar is an unreliable source for Ayesha's age.

EVIDENCE # 5: The Battles of Badr and Uhud.

A narrative regarding Ayesha's participation in Badr is given in the hadith of Muslim ،(Kitab ul-jihad wal-siyar, Bab karahiyat il - isti'anah fil - ghazwi bi kafir). Ayesha, while narrating the journey to Badr and one of the important events that took place in that journey, says: "when we reached Shajarah". Obviously, Ayesha was with the group travelling towards Badr. A narrative regarding Ayesha's participation in the Battle of Uhud is given in Bukhari (Kitab ul - jihad wal - siyar, Bab Ghazw il - nisa wa qitalihinna ma'al rijal): "Anas reports that on the day of Uhud, people could not stand their ground around the Prophet. [On that day], I saw Ayesha and Umm - i - Sulaim, they had pulled their dress up from their feet [to avoid any hindrance in their movement]." Again, this indicates that Ayesha was present in the Battles of Uhud and Badr .

It is narrated in Bukhari (Kitab ul-maghazi, Bab Ghazwat il - khandaq wa hiyal - ahzab): "Ibn' Umar states that the Prophet did not permit me to participate in Uhud, as at that time, I was 14 years old. But on the day of

Khandaq, when I was 15 years old, the Prophet permitted my participation."

Based on the above narratives, (a) the children below 15 years were sent back and were not allowed to participate in the Battle of Uhud, and (b) Ayesha participated in the Battles of Badr and Uhud.

CONCLUSION: Ayesha's participation in the Battles of Badr and Uhud clearly indicates that she was not nine years old but at least 15 years old. After all, women used to accompany men to the battlefields to help them، not to be a burden on them. This account is another contradiction regarding Ayesha's age.

EVIDENCE # 6: Surat al-Qamar (The Moon)

According to the generally accepted tradition, Ayesha was born about eight years before hijrah. But according to another narrative in Bukhari, Ayesha is reported to have said: "I was a young girl (jariyah in Arabic)" when Surat Al-Qamar was revealed (Sahih Bukhari, kitab ul - tafsir, Bab Qaulihi Bal al - sa'atu Maw'iduhum wal-sa'atu adha wa amarr).

Chapter 54 of the Quran was revealed eight years before hijrah (The Bounteous Koran، M.M. Khatib 1985), indicating that it was revealed in 614 CE. If Ayesha started living with the Prophet at the age of nine in 623 CE or 624 CE, she was a newborn infant (sibyah in Arabic) at the time that Surat Al - Qamar (The Moon) was revealed. According to the above tradition, Ayesha was actually a young girl, not an infant in the year of revelation of Al - Qamar. Jariyah means young playful girl (Lane's Arabic English Lexicon). So, Ayesha, being a jariyah not a sibyah (infant), must be somewhere between 6 - 13 years old at the time of revelation of Al-Qamar, and therefore must have been 14 - 21 years at the time she married the Prophet.

CONCLUSION: This tradition also contradicts the marriage of Ayesha at the age of nine.

EVIDENCE # 7: Arabic Terminology

According to a narrative reported by Ahmad ibn Hanbal, after the death of the Prophet's first wife Khadijah, when Khaulah came to the Prophet advising him to marry again, the Prophet asked her regarding the choices she had in mind. Khaulah said: "You can marry a virgin (bikr) or a woman who has already been married (thayyib)". When the Prophet asked the identity of the bikr (virgin)، Khaulah mentioned Ayesha's name.

All those who know the Arabic language are aware that the word bikr in the Arabic language is not used for an immature nine-year-old girl. The correct word for a young playful girl, as stated earlier, is jariyah. Bikr on the other hand, is used for an unmarried lady without conjugal experience prior to marriage، as we understand the word "virgin" in English. Therefore, obviously a nine-year - old girl is not a "lady" (bikr) (Musnad Ahmad ibn Hanbal, Vol. 6, p. .210, Arabic, Dar Ihy'a al - turath al-'arabi, Beirut).

CONCLUSION: The literal meaning of the word, bikr (virgin), in the above hadith is "adult woman with no sexual experience prior to marriage." Therefore, Ayesha was an adult woman at the time of her marriage.

EVIDENCE # 8. The Qur'anic Text

All Muslims agree that the Quran is the book of guidance. So, we need to seek the guidance from the Quran to clear the smoke and confusion created by the eminent men of the classical period of Islam in the matter of Ayesha's age at her marriage. Does the Quran allow or disallow marriage of an immature child of seven years of age?

There are no verses that explicitly allow such marriage. There is a verse، however, that guides Muslims in their duty to raise an orphaned child. The Quran's guidance on the topic of raising orphans is also valid in the case of our own children. The verse states: "And make not over your property (property of the orphan), which Allah had made a (means of) support for you, to the weak of understanding, and maintain them out of

it، clothe them and give them good education. And test them until they reach the age of marriage. Then if you find them maturity of intellect, make over them their property..." (Quran، 6-5:4)

In the matter of children who have lost a parent, a Muslim is ordered to (a) feed them, (b) clothe them ،(c) educate them, and (d) test them for maturity "until the age of marriage" before entrusting them with management of finances.

Here the Quranic verse demands meticulous proof of their intellectual and physical maturity by objective test results before the age of marriage in order to entrust their property to them.

In light of the above verses, no responsible Muslim would hand over financial management to a seven - or nine-year - old immature girl. If we cannot trust a seven - year - old to manage financial matters, she cannot be intellectually or physically fit for marriage. Ibn Hambal (Musnad Ahmad ibn Hambal, vol.6, p. 33 and 99) claims that nine - year - old Ayesha was rather more interested in playing with toy - horses than taking up the responsible task of a wife. It is difficult to believe, therefore, that AbuBakr, a great believer among Muslims, would betroth his immature seven-year-old daughter to the 50 - year - old Prophet. Equally difficult to imagine is that the Prophet would marry an immature seven - year - old girl.

Another important duty demanded from the guardian of a child is to educate them. Let us ask the question، "How many of us believe that we can educate our children satisfactorily before they reach the age of seven or nine years? "The answer is none. Logically, it is an impossible task to educate a child satisfactorily before the child attains the age of seven. Then، how can we believe that Ayesha was educated satisfactorily at the claimed age of seven at the time of her marriage?

AbuBakr was a more judicious man than all of us. So, he definitely would have judged that Ayesha was a child at heart and was not satisfactorily educated as demanded by the Quran. He would not have

married her to anyone. If a proposal of marrying the immature and yet to be educated seven-year-old Ayesha came to the Prophet, he would have rejected it outright because neither the Prophet nor Abu Bakr would violate any clause in the Quran.

CONCLUSION: The marriage of Ayesha at the age of seven years would violate the maturity clause or requirement of the Quran. Therefore، the story of the marriage of the seven-year-old immature Ayesha is a myth.

EVIDENCE # 9: Consent in Marriage

A women must be consulted and must agree in order to make a marriage valid (Mishakat al Masabiah, translation by James Robson, Vol. I، p. 665). Islamically, credible permission from women is a prerequisite for a marriage to be valid.

By any stretch of the imagination, the permission given by an immature seven-year-old girl cannot be valid authorization for marriage.

It is inconceivable that AbuBakr, an intelligent man, would take seriously the permission of a seven-year-old girl to marry a 50 - year - old man.

Similarly, the Prophet would not have accepted the permission given by a girl who, according to the hadith of Muslim, took her toys with her when she went live with Prophet.

CONCLUSION: The Prophet did not marry a seven-year-old Ayesha because it would have violated the requirement of the valid permission clause of the Islamic Marriage Decree. Therefore, the Prophet married an intellectually and physically mature lady Ayesha.

SUMMARY:

It was neither an Arab tradition to give away girls in marriage at an age as young as seven or nine years, nor did the Prophet marry Ayesha at such a young age. The people of Arabia did not object to this marriage because it never happened in the manner it has been narrated .

Obviously, the narrative of the marriage of nine-year-old Ayesha by

Hisham ibn' Urwah cannot be held true when it is contradicted by many other reported narratives. Moreover, there is absolutely no reason to accept the narrative of Hisham ibn' Urwah as true when other scholars, including Malik ibn Anas, view his narrative while in Iraq, as unreliable. The quotations from Tabari, Bukhari and Muslim show they contradict each other regarding Ayesha's age. Furthermore, many of these scholars contradict themselves in their own records. Thus, the narrative of Ayesha's age at the time of the marriage is not reliable due to the clear contradictions seen in the works of classical scholars of Islam.

Therefore, there is absolutely no reason to believe that the information on Ayesha's age is accepted as true when there are adequate grounds to reject it as myth. Moreover، the Quran rejects the marriage of immature girls and boys as well as entrusting them with responsibilities.

T.O. Shanavas is a physician based in Michigan. This article first appeared in The Minaret in March 1999.

في الختام

أشكر الدكتور بشير القاضي الأستاذ في كلية الهندسة جامعة صلاح الدين على مراجعته للكتاب مباشرة بعد طبعه على الكومبيوتر وذلك لدرء الأخطاء الناجمة عن الطباعة، كما حثني لتوضيح بعض الأمور بتفصيل أكثر لكي يفهمها عامة القراء، جزاه الله خيراً.

obeikandl.com

من مؤلفات الكاتب:

1 ـ أمراض العصر، أسبابها والوقاية منها بالغذاء.

2 ـ العلم والإعجاز.

3 ـ الكيمياء الحياتية التطبيقية.

4 ـ نفحات من القرآن والسنّة.

5 ـ قبسات من القرآن والسنة.

6 ـ كتاب عن الغذاء باللغة الكردية.

7 - بحوث مقارنة بين العلم الحديث والكتاب والسنة.

8 - المعجزات الثلاث / الشاي الأخضر والخميرة وخل التفاح.

9 - أغذية مُدهشة.

10 - التفسير الدقيق لكيمياء وتفاعلات الأحماض الأمينية والبروتينات.

11 - الغذاء المدهش.

12 - المرأة الحنون . . . مكانة المرأة في الإسلام وعظمة هذا الدين.

13 - الهالة الضوئية حول جسم الإنسان حقيقة في المختبر و الشريعة.

14 - الإعجاز القرآني في الوجود الكوني.

15 - شباب دائم بالغذاء والأعشاب و العلاج الطبيعي.

16 - بالقوى الفائقة والغذاء نؤخر شيخوخة العقل والجسد.

17 - شبهات معاصرة حول ديننا الحنيف. . .حقيقتنا وحقيقةالآخر ـ وهو هذا الكتاب.

السيرة الذاتية والعلمية للمؤلف

- من مواليد أربيل ـ إقليم كردستان العراق.

- أكمل دراسته الابتدائية والثانوية في أربيل.

- حصل على شهادة الدبلوم العالي في هيئة علوم الغذاء والطب النظري في ألمانيا الغربية سابقاً.

- نال على شهادة الدكتوراه في الكيمياء (الأَنزيمات) في كلية الكيمياء من جامعة شتوتجارت في ألمانيا منذ سنة 1979 .

- عمل كعضو هيئة تدريسية في جامعات الإقليم منذ سنة 1980. وقام بتدريس الكيمياء الحيوية والطبية في جامعات: السليمانية، ودهوك، وأربيل في الدراسات الأولية والعليا.

- أشرف على عديد من طلبة الماجستير والدكتوراه .

- له أبحاث منشورة في المجلات العالمية والمحلية.

حصل على لقب (الأستاذ) منذ سنة 2003 وما زال مستمراً في الخدمة في جامعة صلاح الدين ـ كلية العلوم.

فهرس المحتويات

المقدمة 6

لغوٌ قيل في حق زواج سيدنا محمد ﷺ بعائشة 12

مراحل المراهقة الكبرى عند الفتاة 13

مراحل المراهقة الكبرى عند الفتاة وبلوغها 13

تقدير نسبة الذكاء 15

البلوغ والحيض عند الفتاة 17

معايير الشخصية الناضجة 19

استنباط صائب وجدير بالاهتمام ـ من قبل بعض الكُتاب 29

سبق (عباس محمود العقاد) الباحثين 36

لتفنيد رواية السن لزواج السيدة عائشة 36

لماذا لا يضحك الآخر على نفسه؟ 41

يطرح البعض سؤالاً 44

الزوجات الخمس الزائدات؟ 44

هل ميز القرآن النبي بهذا الزواج؟ 45

هل ميز النبي ﷺ نفسه بشيء وحرمه على أمته؟ 46

هؤلاء زوجات الرسول ﷺ 46

1 - السيدة عائشة 46

2 - السيدة حفصه بنت عمر 46

3 - السيدة سودة بنت زمعة 47

4 - السيدة أم سلمة 47

5 - السيدة زينب بنت خزيمة 48

6 - السيدة جويرية بنت الحارث 48

7 - السيدة صفية بنت حيي بن أخطب ، سفيرة من مملكة اليهود. 49

8 - السيدة زينت بنت جحش 50

مايقوله أبله البلهاء **53**
أبواق معادية تقذفنا بالآيتين الكريمتين **60**
الرد على الإعلام المغرض 67
أن المال والأولاد قد ذكرهما القرآن 67
منزلة المال في الدنيا 68
ديننا يرى أن في المال سَمٌّ وترياق 70
الاستعانة بالمال على العبادة 70
هكذا صنف الدين فائدة المال فبماذا يقذفنا أعداؤنا؟ **71**
آفات المال الدينية والدنيوية وهي ثلاث **71**
فتنة الأولاد . . . وهل هم كذلك؟ 75
كيف صنَّف ديننا الأولاد؟ 75
هل النساءُ فتنة؟ وما المقصود بالفتنة هنا؟ **76**
كيف يجوز أن يقول أعداء الدين أنّ ديننا اعتبر المرأة شرًا؟ 77
العجز العاطفي **79**
المرأة والعجز العاطفي 80
هل هو مرض فينا أم تسرب إلينا من الآخر؟ 80
استفيدي من هذه القصص لتنقذي حياتك لأنك مربية الأجيال. **80**
هل تسرب العجز العاطفي إلينا؟ **85**
مَن السَّبَبُ في كل ذلك؟ 85
أليس ابتعادنا عن قيمنا هو السبب الرئيس في ذلك؟ **85**
هل لنا أن نتقي هذا المرض، ونعود إلى تراثنا؟ 85
الرجال . . . وهل هم ناجون من العجز العاطفي؟ **86**
أستاذ ألماني: يستفسر من طالبه ويقول: عجيب أمر المنقبات! 88
لماذا هذا اللباس؟ . . . . . وهل هو عادة أم موجود في القرآن **88**
فضول النظر **92**
حوار بين أستاذ ألماني وطالبِهِ المسلم 92
توسيع أُسلوب الإسلام الحضاري **94**
يضيف رئيس ماليزيا عبد الله بدوي قائلاً: 96
نحن ودول الغرب التي تؤوي مواطنينا **99**
حوار بين أم وطفلها في الغربة، وفي دول الغرب 101

تعليق على الموضوع 103
رجال من أمة محمد ﷺ لا زالوا على سنته 108
يقول كثيرمن الناس: هناك الإسلام ولكن أين المسلم؟ 108
حوار بين أستاذ ألماني وطالبه 113
حول وضع المرأة في ديننا الحنيف من زواجها و تبرجها وتعطرها. 113
حوار عن الزواج بين أستاذ في الغرب وطالبه 118
حول نسائنا ونساء الغرب .... أيهما أسعد حالاً ؟ 118
حرية الفرد في الإسلام 124
كيف يتصرف المسلم مع الآخر؟ 124
حوار بين والد و ولده حول حرية الفرد أو الذات في الإسلام 124
هل في صالح الغرب حذف الدين في مدارس دولنا الإسلامية؟ 133
هل الدين جمعنا نحن المسلمين أم فرّقنا؟ 133
الغرب إذا آمن ماذا سيكون ؟ وكيف حاله الآن ؟.... 139
دراسة لجامعة هارفارد الأمريكية. 142
الاحتشام وراء ندرة الإيدز بالمجتمعات الإسلامية 142
هل تبحث نساء الغرب عن الحقيقة؟ 146
كاتبة روائية مسلمة تنتقد تعاليم الدين. 146
قصة (ماريا جو) البرتغالية 146
قصة كارلا (Karla) المرأة الأمريكية 154
المثقفة التي اعتنقت الإسلام، وتحجبت، وهل الدين يظهر المرأة؟ 154
الأستاذ الجامعي (خوليو سيزار بينو) الكوبي الجنسية 158
(وارنسبي علي) الرجل الكندي 161
(قصة ياسمين رحمان) البريطانية الجنسية 165
كريستيانا باكر(Christiana Backer) 167
السيدة الألمانية والإعلامية المشتهرة 167
ازدواجية الحضارة الغربية ... والمرأة 170
يعجز القلم عن وصف وفاء المرأة لزوجها 173
هكذا يربي ديننا المرأة 173
نساؤنا ونساء الآخر ..، فطنة نسائنا ونساء الآخر.... 173

عقيدة نسائنا ونساء الآخر...، وفاء نسائنا ونساء الآخر 173
قصة امرأة غربية تقشعر منها الجلود 176
هل يتمنى رجالنا أو نساؤنا أن تصل تلك القوانين إلينا؟ 176
امرأة من معارفي هذه قصتها 178
هل يلقى الإنسان هذا الوفاء في الآخر؟ 178
أولادنا وأولاد الآخر..... 179
نصف الولادات في ألمانيا غير شرعية 179
التكافل والضمان الاجتماعي في الإسلام 186
حوار بين طالب مسلم وأستاذ ـ من الآخر ـ في الغرب 186
الزكاة وتشويهها من قبل المغرضين والمتحايلين 193
من الآخر ـ أو من بعض المغفلين عندنا، بأنها ذلٌّ 193
هل «التصدق» على الآخرين يعزز الإحساس بالسعادة 193
دراسة بريطانية حديثة 193
دراسة بريطانية: (التصدق) على الآخرين 196
واشنطن ـ المصريون (رصد): بتاريخ 22-3-2008 196
مناظرة في جامعة ألمانية - حول تنفيذ الأحكام 198
في الإسلام ـ بين طالب مسلم وأستاذه (الآخر)... 198
القوى الإجرائية في الإسلام 199
بصورة معكوسة تمامًا نجد القوانين البشرية (الجاهلية): 200
جريمة القتل وعقابها 204
هل تنفيذها صحيح كما جاء في شرعنا؟ 204
مقارنة بين مؤيدي تنفيذ الإعدام ومعارضيه 206
أليس المؤيدون لذلك العقاب منصفون؟ 206
عقوبة السرقة وهل يرضى بها الآخر؟ 212
الغرب ينتقد عقوبة الزنى في الإسلام 216
هل يحق له ذلك، أم هو على صواب؟ 216
حوار حول عقوبة السرقة 220
لماذا يسرق السارق في ظل هذا النظام؟ 221
مسيحيو دارفور 229

تعليق على أمر العلمانية ... والزنا 231
هل وضع الأطفال في سن مبكرة جداً في مدارس 233
هل الأم مسؤولة عن ذلك؟ 233
تقرير عالم حائز على جائزة نوبل في الطب في هذا المجال.... 233
إعادة إنشاء إنسان في تمام شخصيته 236
رأي الدين في ذلك 236
الشذوذ الجنسي هل هو راجع إلى اختلال 238
فشل ارتباط تكوين السلوك الإجرامي 244
بنظرية الصبغيات الجنسية الزائدة..... 244
المساواة بين الناس أدت إلى الانخفاض 247
كلام عالم حائز على جائزة نوبل في الطب وهو من الآخر... 247
فشل الحياة الزوجية في عالمنا الإسلامي 251
هل له من أسباب ؟.... ماهي ؟!! 251
وسائل الآخر لإفسادنا 253
كيف أمرنا الله ورسوله أن نتصرف مع الآخر؟ 255
هل نحن سائرون في هذا الدرب؟ 255
مناظرة مع الآخر (أستاذ ألماني) 260
كيف نكون إذا اتبعنا حديث رسول الله 264
كيف هو الآخر؟... 264
قصة رجل مُتَبَحِرٍ في الكتاب المقدس 271
ما قصة هذا الرجل؟ 271
يقول وزير الداخلية الإيطالي: العذراء محجبة 278
كيف أمنع ارتداء الحجاب في إيطاليا!؟ 278
أمر غريب لم يكن يتوقع المرء وقوعه 278
علماء من الآخر يقتربون من الإسلام 281
يا ترى ماذا عنا نحن المسلمون؟! 281
لنقرأ معاً ما يقوله (هوفمان) في كتابه الآنف الذكر 282
نص ما كتبه الفيزيائي الباكستاني (شانافاس) 285
هل كانت عائشة عروساً وهي في السادسة؟ باللغة الإنجليزية. 285

في الختام 296
من مؤلفات الكاتب: 296
السيرة الذاتية والعلمية للمؤلف 297
فهرس المحتويات 298

obeikandl.com

obeikandl.com

ISBN 9953-85-251-0

التنفيذ الطباعي: دار القماطي للطباعة
٠١١٤٥٠٤٥٤-٠١١٤٥٠٤٦٧ - بيروت، لبنان